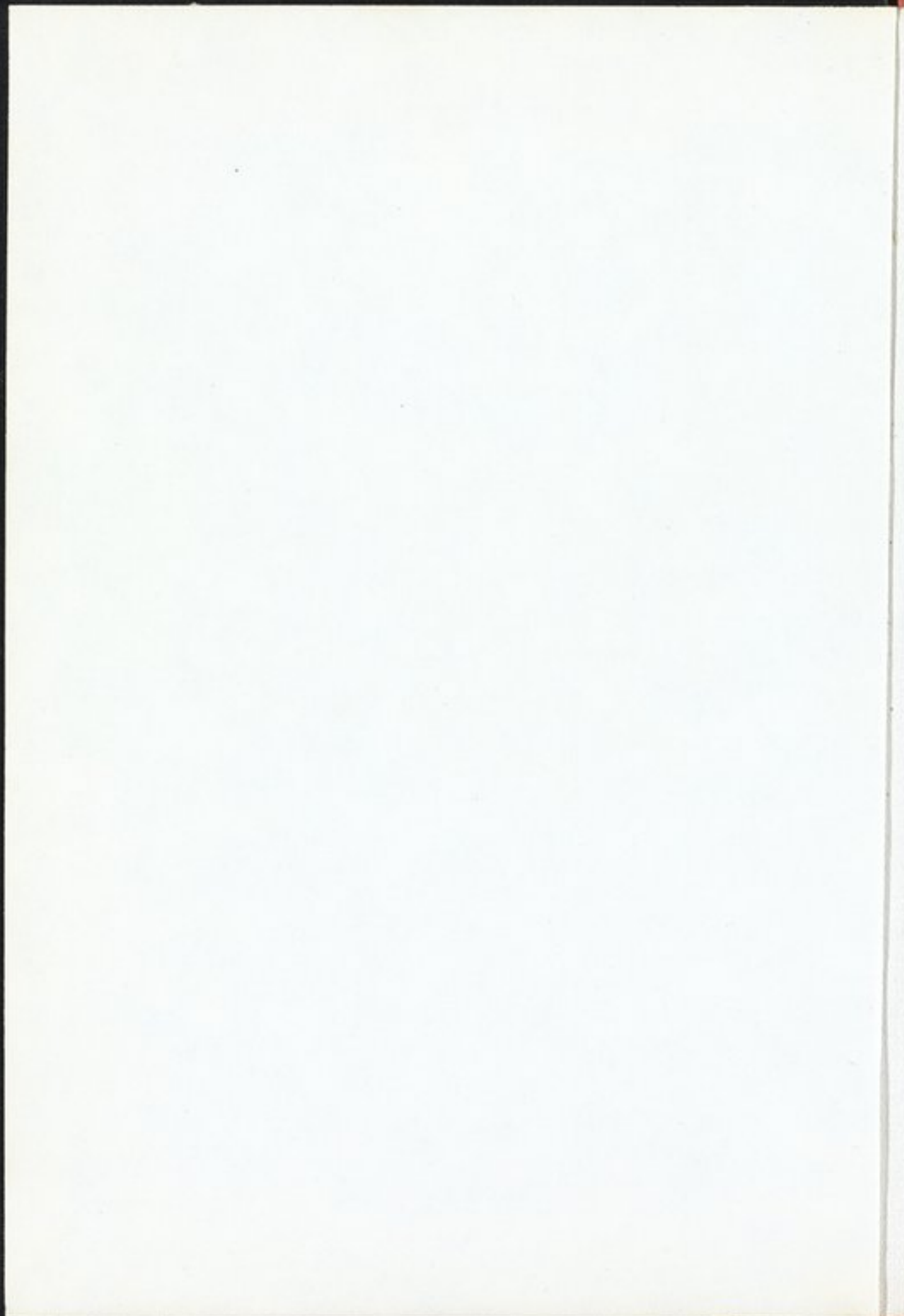
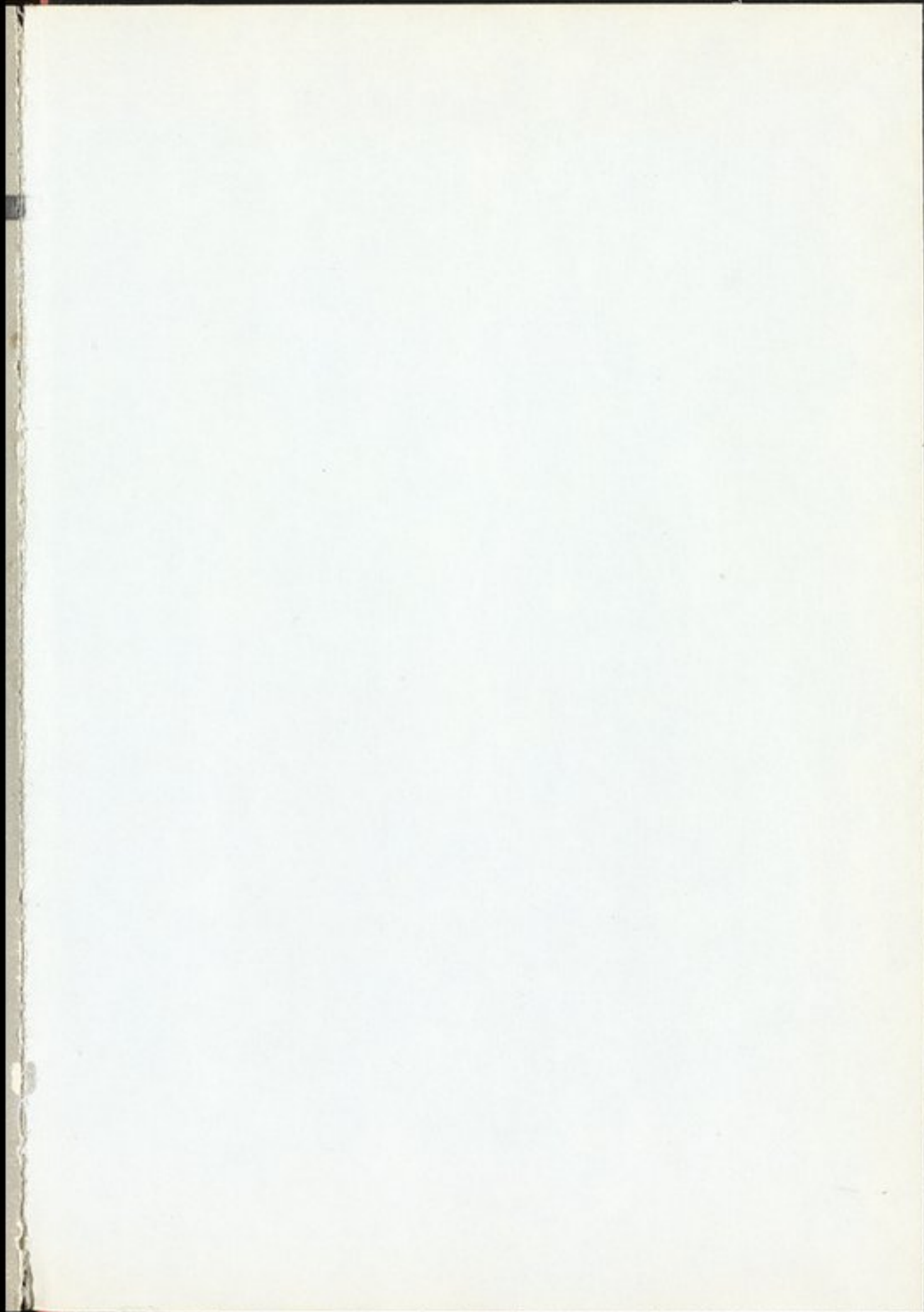


THE LIBRARIES  
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY







جمال بن محمد العبيدي

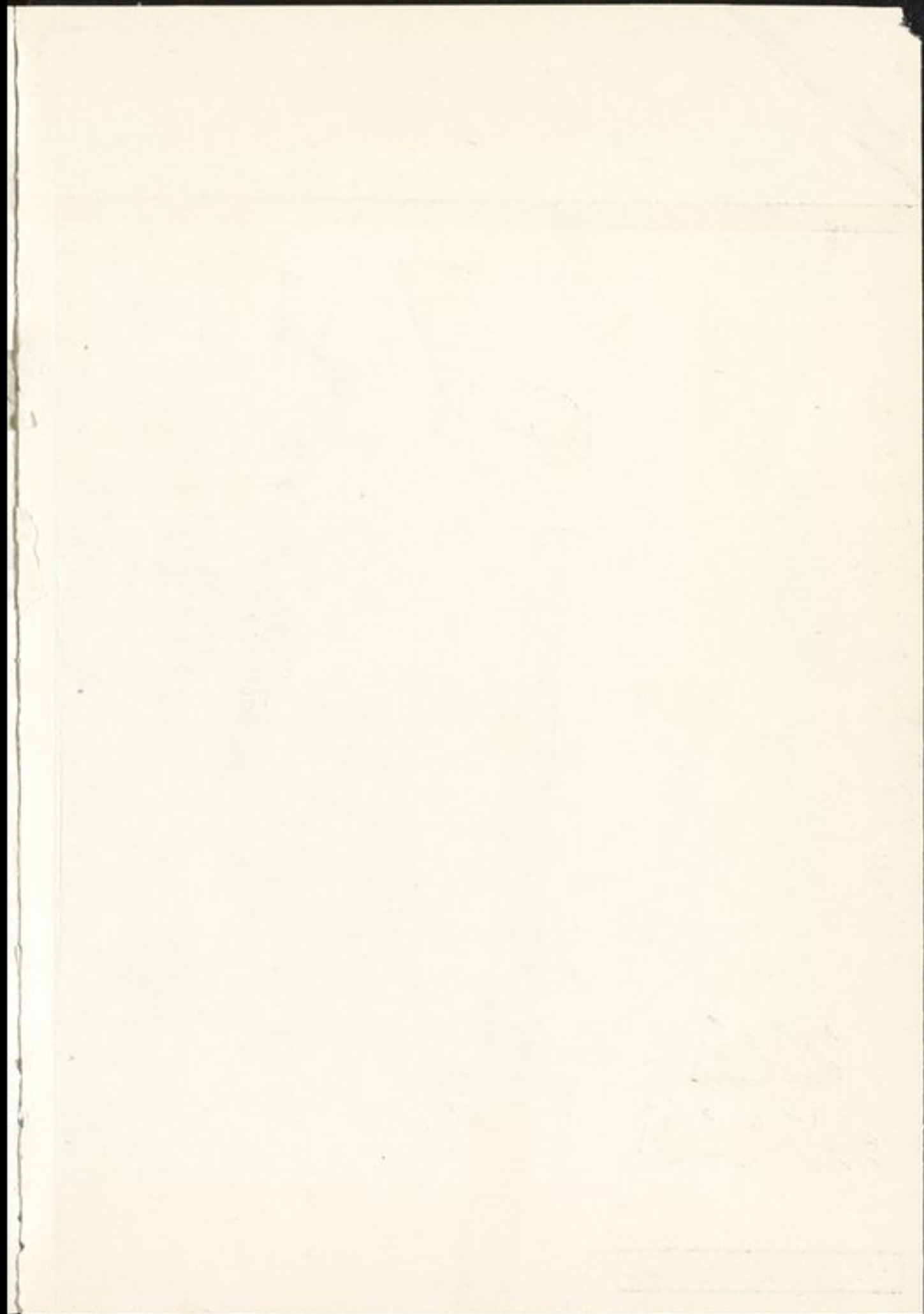


نشأته  
أشهر شعرائه

تأليف

الراجز

ماعدت وزارة التربية والتعليم على نشره



جمال نجم العبيدي

# الرجز

نشأته ، أشهر شعراته

الرسالة التي حصل بها المؤلف على شهادة الماجستير في الآداب من  
جامعة بغداد سنة ١٩٦٩

« ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره »

---

مطبعة الأديب البغدادية

تلفون ٩٤٢١٢

PJ

7543

.U2



# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسير غور الامم ويقاس رقيها بما خلد من تراثها ، وماشخص من  
آثارها ، إذ يعد ذلك معيار سموها ورمز رفعتها .

والعرب - كباقي الامم العظيمة - خلدوا تراثاً ضخماً صارح الايام  
وطوى الزمن ، انه تراث حضاري شمع بعلو هامته على كثير من حضارات  
الامم . وقد ضم بين دفتيه مختلف العلوم والفنون ، وكان للشعر القدح  
المعلى في هذا التراث .

ومن يتصفح امهات الكتب ، ويطوف بين المجلدات الضخمة ،  
يجدها زاخرة بفيض عظيم منه ، الى جانب ما فقد منه بفعل عوامل



الزمن وعواديته .

وشعر العرب قديم النشأة ، بعيد الغور ، ممتد الجذور ، لكنه مجهول الولادة ، إذ لا يعرف على وجه الدقة متى رأى نور الحياة ، ولا من سقاه لبان الوجود . وكل ما قيل حول نشأته إنما هو رجم بالغيب ، ذلك أننا عدنا الأدلة التي توضح ذلك ، وفقدنا المراجع الأولية التي تنير لنا المسالك . أما تلك الاشارات التي وردت في ثنايا بعض الكتب فهي قاصرة ، لأنها لم تقم الحجة ، ولم تثبت البرهان . وأقصى ما جاءت به أنها ذكرت أن فلاناً أول من قال الشعر ، وأن فلاناً أول من رجز . لكن هذا لا يكفي ، إنما يتطلب اثباتاً وبياناً . إذ يحتمل أن يكون غيره قد سبقه إلى ذلك ، كما أنه لم يتقدم أحد من الأدباء والكتاب يبحث مفصل حول هذه المسألة . إنما سيقت عبارات مقتضبة ، وطرحنا آراء موجزة في ثنايا كتب الأدب وتاريخه .

ومن هنا وجدت أن القيام ببحث موسع في هذا الموضوع يسد ثغرة واسعة في أدبنا العربي . ولما كنت بحاجة إلى موضوع أقدمه لنيل شهادة الماجستير من جامعة بغداد ، فقد رأيت من المستحسن أن أبحث في موضوع الشعر العربي القديم . ولما كان الرجز من ذلك الشعر الذي حفلت به أمهات الكتب القديمة ، وامتلت به صفحات الأماشي وكتب اللغة ، وانفردت به دواوين خاصة ، واشتهر به شعراء مشهورون ، فقد دفعني ذلك إلى الكتابة فيه . فرحت أقلب صفحات الدواوين ، واستشير المعاجم ، واستخير المجاميع ، حتى أحطت بأبيات من الرجز لا تحصى ، وتجمعت لدي وفرة منه هائلة . لكنني لم أجد من آراء العلماء حول فن الرجز إلا نزراً ، وهي لاتعدو كونها تنفأ من الآراء متفرقة في بطون

الكتب ، يتفق بعضها حيناً ، ويختلف أحياناً أخرى .

أما منهج البحث فقد تسلسلت فيه تسلسلاً منطقياً ، فكان لا بد لي أولاً من شرح معاني الرجز اللغوية والاصطلاحية ، وذكر المواضيع التي استعملت فيها هذه الكلمة ومادلت عليه من المعاني . ثم اخذت بعد ذلك ببحث كل ما يتعلق بالرجز محاولاً استقصاء الآراء التي تطرح حول كل مسألة ، لكي اخرج بعد ذلك برأي واضح صريح يحدد الابعاد تحديداً كاملاً دون ان يدع القاريء في حيرة وتساؤل ودون ان يتركه يتخبط وسط آراء لانتيجة بعدها .

وهكذا تحدد الباب الاول بما حوى من فصول ستة بالدراسة الفنية ، والتي شملت البحث في اولى الشعر وزمن نشوئه ، ومحاولة ايضاح الفترة التي بدأ فيها نظم الشعر ، ثم بيان الفترة التي نضج فيها واكتمل . وقد تطرق الحديث الى البحث عن أول من قال الشعر ونطق به ، وأول شاعر ظهر واشتهر .

وقد كانت آراء العلماء حول ذلك مضطربة لا يستند أكثرها الى ادلة علمية أو منطقية . وكان معظمها بعيداً عن الحقيقة ولا يمت اليها بصلة . بل ان بعضها تطرف تطرفاً كبيراً حينما نسب ابياتاً من الشعر الى آدم والى بعض الملائكة والى أقوام هلكوا وبادوا . وكان ذلك واقع لا يشوبه شك . ولكن لم يفتني تحليل هذه الآراء وتفنيدها .

ومما شملته الدراسة الفنية كذلك شعرية الرجز ، اعني بذلك هل الرجز شعر أم ليس بشعر ؟

والذي قادني الى البحث في هذه المسألة ، ما ذكره بعض علماء اللغة والأدب من ان الرجز ليس بشعر وان مجازه مجاز السجع . ولهذا

لم أر مناصاً من دراسة هذا الجانب دراسة وافية عميقة ، واستقصاء ما قيل حولها من آراء ، وقد صنفتها الى قسمين : - آراء من ينفون شعرية الرجز بجانب ، وآراء من يشبثونها بجانب آخر . وقد رجحت رأي من يقول بان الرجز من الشعر .

والرجز - كأي مولود آخر - لا بد ان يمر بمراحل مختلفة وأدوار متباينة . فدور ولادته يتمثل في سذاجته وقصر آيانه ، ثم ملامته لفطرة العرب واستمداد الفاظه من ييئتهم ، وتلبية معانيه لحاجاتهم ورغباتهم ، ومطابقتها لاغراض حياتهم الواقعية .

كل هذا كان مرحلة أولية احتضنت الرجز ورعته حتى انتقل الى مرحلة ثانية اشد فيها عوده ، وصلب جذعه ، وامتدت قامته ، فكان من ذلك ان طالت آيانه ، وتنوعت اساليبه ، وتعمقت معانيه ، وتعددت الاغراض التي عالجها . مما هيأه لدخول مرحلة اخرى اصبح فيها مكتملاً ناضجاً . ومن ذلك ان طالت قصائده فاضحت الواحدة منها تحوي اكثر من مائة بيت . كما تولدت اوزان جديدة كان انبثاقها ضرورياً لاستيفاء ما استجد في حياة العرب من أمور . وتبع ذلك ازدياد الاغراض التي عالجها الشعر ، حتى اصبحت القصيدة تضم أكثر من غرض ، وقد تمثل هذا في المعلقات التي عدت من اجود شعر العرب .

واستمر الشعر في النمو والتطور ، الا أن فن الرجز قد تخلف عن موكبه هذا في العصر العباسي واتجه وجهة خاصة ، ذلك انه سخر في التعليم . فراح المعلمون يصوغون مختلف العلوم والفنون بمنظومات رجزية تعليمية ، مما كانت سبباً في تحاشي كثير من الشعراء النظم بالرجز .



ومع هذا فقد احتل الرجز مكانة خاصة عند كثير من الناس .  
فكان بعضهم يحفظ آلاف الارجيز ، وكان اللغويون يكثرون من الاستشهاد  
بالرجز ، لانه امتاز بميزات جعلته اثيراً لديهم ، من ذلك كثرة استعمال  
الغريب والشاذ فيه ، كما كان الرجز مولعين باستعمال الالفاظ الصعبة  
والكلمات الخارجة على القياس .

أما ما تدور حوله الارجيز من وصف فكاد يقتصر على الصحراء  
وما فيها من ظواهر طبيعية ومن حيوانات ونباتات ، وملاح فيها من  
سراب ورمال . على ان الاغراض التي تطرق اليها الرجز كانت اغراضاً  
واسعة كادت تشمل كل الاغراض الشعرية من مدح وهجاء وفخر وثناء .  
كما عالج الرجز اموراً سياسية وطبيعية واجتماعية ، الى جانب الاغراض  
التي اشتهر بها أكثر من غيره من بحور الشعر الاخرى وذلك كالصيد  
والمتح والحداء . ثم أن وزن الرجز كان أكثر الاوزان في اقسامه  
وتفريعاته ، ففيه المشطور والتام والمجزوء والمنهوك .

وهكذا شملت الدراسة الفنية كل ما يتعلق بالرجز وما قبل حوله ،  
والتي خصص لها الباب الأول . اما الباب الثاني فشمل البحث في الاغراض  
التي عالجها الرجز سواء كانت مقتصرة عليه ، ام كانت عامة تناولتها  
كل الفنون والاوزان الشعرية الاخرى .

اما الباب الثالث والأخير فجاء تعريفاً بأشهر شعراء الرجز من  
الذين اقتصر نظمهم عليه كالمعجاج ورؤبة ، أو الذين كان أكثر شعرهم  
به كالاعلم وأبي النجم وأبي نخيلة .

كان هذا منهجي في اثناء بحثي لموضوع الرجز . اما المصادر التي

اعتمدها فكانت مختلفة متنوعة ، وبرزها ثلاث مجاميع : - المجموعة الاولى تتمثل في كتب اللغة والقواميس والمعاجم وكتب التفسير . وكان للسان العرب الاهمية الكبرى سواء في الدراسة الفنية ، ام في كثرة اشعار الرجز التي شحن بها . كما كان كتاب النوادر في اللغة لابي زيد الانصاري مورداً استقيت منه بعض الرجز . اما كتابا أمالي القاضي والمرتضى فقد امداني بكثير من شعر الرجز المختلف الاغراض .

والمجموعة الثانية من المصادر تشمل كتب تاريخ الادب والنقد وكتب الادب الاخرى ، اذ كانت هذه المجموعة من الكتب تبحث عن الرجز بحثاً فنياً ولكنه بحث مقتضب ، فالمستشرق نلينو يتكلم في كتابه تاريخ الادب العربية عن الراجيز في العصر الاموي فقط دون ان يتطرق الى البحث في بداية الرجز وأصل نشوئه . اما بروكلمن فلم يذكر الا تنقياً بسيطة عن الراجاز ثم نقل بعضاً من اقوال العلماء القدماء في الرجز .

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف نقلاً مهمة عن الرجز في بعض كتبه . ثم ترجم للراجاز رؤبة بن العجاج وبين خصائص رجزه .

اما الرافعي وجرجي زيدان فقد تكلما عن الرجز من حيث النشأة ومدى صحة الاقوال التي تذهب الى ان الرجز نشأ عن الحداء .

ومن بين كتب الادب كتب الجاحظ مثل الحيوان والبيان والتبيين اذ كانت في هذه الكتب ( لا سيما كتاب الحيوان ) كمية كثيرة من الرجز الذي تناول مختلف الاغراض .

اما المجموعة الثالثة فهي دواوين الراجاز والمقصدين الذين نظموا في



الرجز . واهم تلك الدواوين شرح ديوان المعراج وشرح ديوان رؤبة  
المخطوطين ، فقد كان اعتمادي عليهما كبيراً ، وكان مرجعي الاصيلي في  
كثير من اغراض الرجز .

اما دواوين المقصدين فقد اعتمدت عليها في الحصول على الرجز  
الذي تعاطاه اولئك المقصدون .

هذه فكرة موجزة عن اهم المصادر والمراجع التي اعانتني في اثناء  
بحثي هذا ولا يفوتني هنا ان انوه بالمحاولات الاولى في بحث الرجز التي  
قام بها الدكتور حسين نصار في مؤلفه الصغير الموسوم بـ ( الشعر الشعبي  
العربي ) في سلسلة المكتبة الثقافية ، والذي تحدث فيه عن الرجز واصل  
نشأته ومراحله الاولى . ثم تبعه في هذه المحاولة السيد شاكرا الجودي  
فألف كتاباً سماه ( المأمة بالرجز في الجاهلية و صدر الاسلام ) وقد  
بحث في هذا الكتاب بصورة بسيطة عن معاني الرجز ونشأته وهل هو  
من الشعر ، وقد تطرق الى ذكر قسم من الاغراض التي عالجها الرجز .

ولكن كل هذه الكتب لم تعط الرجز حقه في البحث الشامل  
والتفصيل الكامل ، ولهذا وجدتني مضطراً الى ان اتوسع في هذا الموضوع  
على الصورة التي تجدها في هذا البحث ، على اني لا اقول انني بلغت  
الغاية والممت بكل جوانب الموضوع ، لكنني بذلت اقصى ما في وسعي  
أملأ ان اكون قد وفيت الرجز بعض حقه ، راجياً ان يحظى هذا  
الموضوع ببحوث اكثر سعة واعظم شمولاً لكل جوانبه المختلفة .

ان هذا البحث الذي اضعه بين ايدي القراء الكرام وما بذلت فيه  
من جهد ، انما يمثل مرحلة معينة من مراحل الانسان بما تحويه من

خطأ وصواب . وما يتمثل فيها من قوة وضعف فأرجو ان يتكرم علي  
القاريء الكريم بعذره اذا ما وجد هفوة او طالع رأياً مخالفاً لما يراه .  
ومجال البحث في هذا الموضوع ما زال واسعاً امام من يريد ان يتحف  
ادبنا العربي ببحوث اخرى عن الرجز ، ليتجلى وجهه بصورة اوضح ،  
وتظهر ملامحه بشكل اوسع .

هذا وانني لانضرع الى الله العلي القدير ان يمدنا بقوة منه لنتمكن من  
الاسهام بصورة اكبر في مجال البحث ، لنعيد لامة العرب سالف مجدها .  
وتليد عزها . انه سميع مجيب .

جمال نجم العبيدي

بغداد في ١/١/١٩٦٨

الباب الاول



.

.

.

.

.

## الفصل الأول

### معنى الرجز

في اللغة : —

وردت كلمة ( رجز ) في كل المعاجم وبعض كتب اللغة ، وهي في جميعها تفيد معنى واحداً إن لم يكن صريحاً فإنه يفهم ضمناً ، وبعض العلماء يذكر — ان لم يعط نفس اللفظ — مستلزمات ذلك اللفظ .

فاين فارس يقول : — ان هذه الكلمة أصل يدل على اضطراب<sup>١</sup> وابن منظور لا يخرج عن هذا المعنى في قوله : — واصل الرجز في اللغة تتابع الحركات<sup>٢</sup> لأن تتابع الحركات هذا ينتج عن اضطراب وقلقلة .

---

١ — معجم مقاييس اللغة — ابن فارس — مادة ( رَجَزَ ) .

٢ — لسان العرب — ابن منظور — مادة ( رجز ) .



اما صاحب تاج العروس فلم يرَ بدأ من أن يجمع بين التعريفين  
ويجعلهما تعريفاً واحداً وذلك حين قال :- واصل الرجز في اللغة  
الاضطراب وتتابع الحركات <sup>١</sup> .

اما العرب فقد استعملوا كلمة ( رجز ) في كل ما فيه حركة  
مستمرة متجددة واضطراب وعدم ثبات على حال واحدة . واستعمالهم  
هذا يؤيد ما جاء به اصحاب المعاجم من تعريف الرجز ، لأنهم لم  
يستعملوا هذه الكلمة الا في شيء غير مستقر ، وعدم الاستقرار يعني  
الحركة المتواصلة ، ومن متطلبات هذه الحركة ان يصاحبها اضطراب .

ولا بد لي من ذكر الامور الذي استعمل العرب فيها كلمة ( رجز )  
ليكون سبب استعمالهم لهذه الكلمة واضحاً .

لقد اطلقوها على الداء الذي يصيب الأبل في اعجازها فأذا ثارت  
الناقة ارتعشت فخذها ساعة ثم تنبسطان ، لهذا قالو :- بعير ارجز  
وناقة رجزاء <sup>٢</sup> .

وقالوا :- ناقة رجزاً أي ضعيفة العجز اذا نهضت من مبركها لم  
تستقل الا بعد نهضتين أو ثلاث ، قال الشاعر <sup>٣</sup> :-

---

١ - تاج العروس - الزبيدي - مادة رجز .

٢ - مادة ( رجز ) في : الصحاح ومقاييس اللغة والمخصص ١٦٠/٧ واللسان  
والقاموس المحيط والتاج وجمهرة اللغة .

٣ - هو اوس بن حجر يهجو الحكم بن مروان بن زنباع ، وكان وعده بشيء  
ثم اخلفه وبعده البيت التالي :

منعت قليلاً نفعه وحرمتني قليلاً فهبها عثرة لا تقالها

هممت بخير ثم قصرت دونه كما نامت الرجاءُ شد عقابها

يقول : لم تتم ما وعدت كما ان الرجاء اذا ارادت النهوض لم تنهض الا بعد ارتعاد شديد<sup>١</sup> .

ان الاضطراب واضح كل الوضوح في تلك الحالة التي تكون فيها الناقة عندما تريد القيام والتي تجعلها بين حركة وسكون .

وسموا العذاب والقذر رجزاً<sup>٢</sup> . وابن فارس يرى ان هذا من باب الابدال لأن اصله السين<sup>٣</sup> . بينما قال ابو اسحاق في تفسير قوله تعالى : ( لئن كشفت عنا الرجزَ ) قال : هو العذاب المقلقل لشدة وله قلقلة شديدة متتابعة . وقيل الرُّجْز في قوله تعالى : ( والرُّجْزَ فأهجر )<sup>٤</sup> الشرك ، ما كان تأويله ان من عبد غير الله فهو على ريب من امره واضطراب من اعتقاده<sup>٥</sup> .

وكل هذه الامور يلازمها ذلك الاضطراب ، وان كان في حالة الشرك اضطراباً معنوياً أي أنه غير محسوس ، فلا تراه يضطرب ويتحرك امامك انما يضطرب اضطراباً فكرياً فلا يستقر على رأي ولا يثبت على حال ، وهذه صفة المشرك فأن عقيدته مزعزعة وايمانه مضطرب .

---

١ — اللسان والتاج مادة ( رَجَزَ ) وجمهرة اللغة — باب الجيم والراء .

٢ — الصحاح والتاج واللسان — مادة ( رجز ) .

٣ — معجم مقاييس اللغة — ابن فارس ٤٩٠/٢ .

٤ — سورة المدثر — آية ٥ .

٥ — اللسان والقاموس المحيط والتاج — مادة ( رجز ) .

والرجازة ، التي هي مركب للنساء اصغر من الهودج <sup>١</sup> ، يكون الاضطراب فيها حسياً ملموساً ، وتكون الحركة فيها مستمرة مع سير الناقة . وقيل : ان الرجازة كساء يجعل فيه احجار يعلق بجاني الهودج اذا مال وهو يضطرب ، سمي بذلك لأضطرابه <sup>٢</sup> .

وفي التهذيب : هو شيء من وسادة وادم اذا مال احد الشقين وضع في الشق الآخر ليستوي ، سمي رجازة الميل <sup>٣</sup> .

وعلى هذا المعنى ايضاً تبقى صفة الحركة والاضطراب ملازمة للرجازة ، وربما تكون صورتها اوضح في المعنى الاخير من معناها الأول بما عدَّ سبباً في تسمية هذا الكساء او الوسادة باسم الرجازة .

ولسبب وجود الحركة الدائمة قالوا : ارتجز الرعد اذا تدارك صوته أي تتابع قال الشاعر : -

كثيرُ المساء مرتجزُ الرعودِ

وترجز السحاب اذا تحرك بطيئاً لكثرة مائه ، قال الراعي :

ورجافاً تحنّ المزنُ فيه      ترجز من تهامة فاستطارا

وغيث مرتجز : ذو رعد ، وسحابة رجازة ، أي راعدة ، قال

---

١ - الصحاح واللسان والقاموس المحيط والتاج - رجز - .

٢ - مادة ( رجز ) في : الصحاح ومقاييس اللغة واللسان والقاموس المحيط والتاج والجمهرة .

٣ - السان والتاج - مادة ( رجز ) .



الفرزدق :

اناخت به كل رجازة وساكة الماء لم ترعد  
أي كل راعدة وغير راعدة .

والبحر يرتجز باديه ويتجز : أي يرمي به ، قال الشاعر :

وما مترجز الأذى جون له حُبك يطمّ على الجبال (١)

ويقال للريح اذا كانت دائمة : انها لرجزاء (٢) .

والمرتجز : فرس للنبي (ص) سمي به لحسن صهيله وجهارته (٣) .

وسموا القدر الكبيرة الثقيلة : رجزاء نظراً لما يحدث فيها من  
غليان وحركة ، قال الراعي بصف الأثافي :

ثلاث صلين النار شهراً وارزمت عليهن رجزاء القيام هدوج

يعني بها ريحاً تهدج ولها رزمة أي صوت ويقال أراد برجزاء

---

١ — اساس البلاغة والقاموس المحيط واللسان والتاج — رَجَزٌ —

الأذى : الامواج .

٢ — اللسان ومعجم متن اللغة — رجز ،

٣ — ( رجز ) في : الصحاح واللسان والقاموس المحيط والتاج ومعجم متن

اللغة .

القيام قدرأ كبيرة ثقيلة وهدوج أي سريعة الغليان (١) . وعلى كلا المعنيين  
فان الصوت المتتابع والاضطراب واضح فيهما .

وأطلقوا اسم الرجز على هذا النوع من الشعر ، لأنه مقطوع مضطرب  
واجزاؤه متقاربة وحروفه قليلة .

والملاحظ أن كل هذه المسميات التي اطلقوا عليها اسم الرجز أو  
ما اشتق منه تظهر فيها صورة الحركة والاضطراب والدوي واضحة . كما  
ان في بعضها قلقلة وشدة ، فتتابع صوت الرعد وتحرك السحاب ودوام  
هبوب الرياح وجهارة الصوت وغليان القدر ، كل هذه سميت رجزاً لما  
فيها من حركة متتابعة وارتجاج شديد .

### الرجز في الاصطلاح : -

الرجز ضرب من الشعر ونوع منه معروف ، يكون كل مصراع منه  
منفرداً (٢) وهو ايضاً بحر من بحور الشعر العربي وزنه « مستفعلن »  
ست مرات ، وابتداء اجزائه سيبان ثم وتد ، وهو وزن يسهل في السمع  
ويقع في النفس (٣) وبمضهم يرى ان الرجز عند العرب كل ما كان  
على ثلاثة اجزاء ، وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم وحدائهم ،

---

١ - انظر مادة ( رجز ) في : اللسان والناج .

٢ - اللسان والقاموس المحيط والناج - مادة ( رجز )

٣ - المصادر السابقة .



ومن هؤلاء الاخفش (١) .

وهم بهذا لا يشترطون ان يكون من بحر الرجز ، انما يعدون القطع القصار المصرية الشطور رجزاً من أي بحر كانت .

في حين يرى آخرون انه لا يسمى رجزاً الا ان يكون من احد انواع بحر الرجز المعروفة ، وابن رشيق القيرواني من هؤلاء (٢) .

ثم ان الناس خصوا باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما (٣) . ولم يوجبوا كونها من بحر الرجز ، وعلى هذا تعد القطع القصار ، والتي يكون كل مصراع منها منفرداً ، رجزاً .

والواقع ان رأي ابن رشيق ربما يكون اكثر صحة من غيره ، ذلك لان المعروف ان الرجز بحر قديم من بحور الشعر العربي ، وله اشكال وانواع متعددة ، منها القصيرة ومنها الطويلة .

اما ان تسمى كل اشكال الشعر القصيرة رجزاً دون النظر الى وزنها ، فهذا ما لا يمكن الاطمئنان اليه . وهو رأي ابعد من غيره عن الصحة .

#### العلاقة بين المعنيين : —

قيل : ان بحر الرجز سمي بهذا الاسم لتقارب اجزائه وقلة

---

١ — اللسان والتاج — مادة ( رجز ) .

٢ — العمدة — ابن رشيق ١٨٢/١ ط ٣ .

٣ — المصدر السابق ١٨٢/١ .

حروفه (١) .

وقالوا : لأنه مقطوع مضطرب (٢) وذهب بعضهم الى انه سمي بذلك لأنه تتوالى في أوله حركة وسكون ثم حركة وسكون الى ان تنتهي اجزأؤه يشبه بدء الرجز في رجز الناقة ورعدتها ، وهو ان تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن (٣) .

وقيل : لأنه اقصر ايات الشعر والانتقال منه من بيت الى بيت سريع نحو قوله : صبراً بني عبد الدار

وكقوله : ما هاج احزاناً وشجواً قد شجا (٤)

ويذهب آخرون من لغويي العرب الى انه من ( الرجزة ) وهي ما عدل به ميل الحمل (٥) . وهناك رأى آخر يقول : لأنه صدور بلا أعجاز (٦) .

اما المستشرقون فقالوا : خير الآراء فيما يبدو لنا هو ما ذهب اليه

---

١ — الجماهرة والصحاح والمختص واللسان والتاج — رجز .

٢ — معجم مقاييس اللغة — مادة ( رجز ) .

٣ — اللسان والتاج — رجز — .

٤ — اللسان — رجز — .

٥ — دائرة المعارف الاسلامية — رجز — .

٦ — اللسان والتاج — رجز — .

نولدكه من ان الرجز شيء من الصلصلة ( أي الصلصلة التي تصحسب  
الهجاء وهو الغرض الشعري الذي كثيراً ما استخدم فيه هذا البحر في  
الجاهلية ) .

ويخالف الفارت AHLWARDT هذا الرأي بعض المخالفة  
فيقول في مقدمته لديواني الراجزين العجاج والزفيان اللذين قام بنشرهما :  
ان الرجز هو تصويبات انفعالية (١) .

والملاحظ في هذه الآراء انها تأخذ الرجز من ناحيتين : اولاهما :  
انه نوع من الشعر يكون كل مصراع منه منفرداً فيكون بيته قصيراً ،  
والانتقال منه سريعاً .

والناحية الاخرى : انه بحر من بحور الشعر العربي تتكون تفعيلته  
المتكررة في البيت الواحد ست مرات من حركة وسكون ، وشبهوه بحر  
الناقة الرجزاء ورعدتها ثم سكونها المتعاقب مع تلك الحركات .

وعلى كلا الأمرين فان الحركة والاضطراب جلية فيه ؛ لأن حركة  
هذا البحر وسكونه تشبهان تماماً حركة الناقة الرجزاء وسكونها .

كما ان فلة حروفه وتقارب اجزائه وقصر ابيانه يجعل فيه حركة  
دائمة بتخللها سكون وهدوء بين البيت والآخر وهو بهذا ايضاً يشبه  
حركة الناقة الرجزاء .

وحتى آراء المستشرقين توحى بشيء من الحركة والاضطراب يظهر

في تلك الأصوات الانفعالية وفي تلك الصلصلة الهجائية .  
والتأمل في هذه الآراء جيداً لا يشك في وجود مثل هذه الحركة  
المتتابعة وذاك الاضطراب الشديد .

والحقيقة ان جميع هذه الآراء تدل على ان هناك اصلاً واحداً هو  
الخفة والحركة التي يتميز بها هذا النوع من الشعر .

ولكن عباراتهم قد تنوعت واساليبهم قد تعقدت ! وهي لا تعدو ان  
تكون فروعاً لأصل واحد أو اغصاناً لشجرة واحدة .





## الفصل الثاني

### الرجز هل هو شعر . . ؟

#### تعريف الشعر :

الشعر ابرز الفنون الجميلة التي اولاهها الناس اهتماماً شديداً منذ القدم ، فهو يخاطب العاطفة ويستفيض المشاعر والوجدان ، والشعر جميل فيما يتناول من الفاظ متخيرة وكلمات متناسقة ، لهذا فإن له وقعاً جميلاً في النفس ورنيناً عذباً في الأذن فتسمعه موسيقى ونغماً منتظماً ، ولأجل ذلك كان الشعر أجمل صور الكلام (١) ، ولذلك ايضاً كان ديوان العرب وسجلاً خالداً لمآثرهم ، دونوا فيه كل ما عَنَّ لهم من أفكار وخواطر ، وما جد لهم من حوادث ووقائع .

---

١ — موسيقى الشعر — ابراهيم منصور ص ٥ .

أما تعريف الشعر فقد ذهب فيه الأدباء كل مذهب وانقسموا فيه  
قديماً ومحدثين ، وكان الكل من هؤلاء رأى خاص في تعريفه ، لأن كلا  
منهم نظراً إليه من جانب غير الجانب الذي نظر منه الآخر إليه .

فالذين نظروا إليه من جانب الشكل والالفاظ عرفوه بأن الموزون  
المقفى . وقد أشار بعضهم الى المعنى في تعريفاتهم هذه ، فقال قدامة  
ابن جعفر : الشعر قول موزون مقفى دال على معنى (١) .

والذين نظروا إليه من حيث المعنى والمحتوى وما يتضمن من  
أحاسيس وعواطف فقد عرفوه بعدة تعريفات ، يلتقي بعضها عند نقطة  
واحدة ويفترق البعض الآخر . واذكر الآن طرفاً من هذه التعريفات ،  
لكي نستطيع بعد ذلك معرفة المكانة التي يحتلها الرجز من هذه  
التعريفات ، كما نستطيع بذلك تحديد العلاقة بين الرجز والشعر .

روى الجاحظ أن مهادية بن ابي سفيان قال لصحار بن عياش  
العبدى : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورنا  
فتقذفه على الستتنا (٢) . وهو بهذا الجواب يعطي تعريفاً للبلاغة التي  
شمل الشعر وغيره ، وقد لمح الى ناحية المعنى ، وأوماً اليها ايماءة  
قصيرة .

وعرف ابن خلدون الشعر بقوله : - ( هو الكلام البليغ المبني على

---

١ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر - تحقيق كمال مصطفى / ١٥ .

٢ - البيان والتبيين - الجاحظ ٩٦/١ هارون ط ٢ .

الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به ) (١) .

وهذان تعريفان للشعر من ناحية المعنى ، ولكنهما مع ذلك تناولا الشكل ، أي اللفظ والوزن والقافية .

أما المحدثون فكانت لهم تعريفات كثيرة عرفوا بها الشعر ، وأكثرها - إن لم أقل كلها - تناول الشعر من جانب المعنى وما فيه من أسلوب وخيال وعاطفة . قال العقاد رئيس مدرسة الديوان : - ( الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، وكل ما دخل في هذا الباب ... فهو شعر ) (٢) ويقول أيضاً في تعريفه : - ان ( كل ما نخلع عليه من احساسنا ونفيض عليه من خيالنا وتخلله بوعينا ونبت فيه هواجسنا واحلامنا ونخاوفنا ، هو شعر وموضوع للشعر ، لأنه حياة وموضوع للحياة ) (٣) .

هذا مثال لتعريف الشعر عند المحدثين العرب ، أما الافرنج فإن قدماءهم ومحدثهم يعرفون الشعر من ناحية المعنى ، ويركزون فيه على الخيال ، حيث يجعلون له المكانة الاولى في تعريف الشعر ، وربما اشترطوا في الشعر ان يكون معبراً عن الخيال ، يقول « برس بيش شلي » :

---

١ - مقدمة ابن خلدون ص ٥٧٣ .

٢ - الشعر بين الجمود والتطور - العوضي الوكيل ص ١١ .

٣ - المصدر السابق ص ١٢ .



( ويمكن ان يعرف الشعر بوجه عام بأنه المعبر عن الخيال ) . (١)

ويقول وليم هازلت : ( ان اصدق تعريف يمكن ان اعرف به الشعر هو أنه الصورة الطبيعية لأي غرض أو حادثة ، فإن قوته تولد الخيال والعاطفة بحركة غير ارادية وتبعث رخامة في الاصوات المعبرة عنها ) (٢) .

ويذهب ماثيو آرنولد الى مثل هذا التعريف فيقول : ( ان الشعر هو نقد الحياة والكشف عن القيم التي يراها الشاعر في هذه الحياة أو في جزء منها يهتم به الشاعر ) وشبلي يصف الشعر بأنه ( خير كلمات صفت في خير نظام ) ومن الأدباء من يصف الشعر بأنه عاطفة بتذكرها الشاعر وقت الهدوء . ومنهم من يقول في الشعر أنه ذلك الكلام الخالد وبعضهم يشير الى الشعر قائلاً : أنه طريقة خاصة من طرق استعمال اللغة (٣) .

وكل تعاريف الشعر هذه تدخل الرجز ضمن أطارها ، لأن الرجز كلام يعتمد الخيال ويستثير العاطفة ويبني على الاستعارة والأوصاف . اما الشعر التعليمي - كمنظومات العلوم والفنون - فأنها تخرج من هذه التعريفات وتأخذ لها معنى خاصاً .

والحقيقة ان المنظومات التعليمية ليست من الشعر في شيء ، فلا

---

١ - مهمة الناقد - وليم هازلت - ترجمة نظمي خليل ص ٧٦ .

٢ - المصدر السابق ص ٥٦ .

٣ - موسيقى الشعر - الدكتور ابراهيم منصور ص ١٣ .



تحتوي على عاطفة ولا تعبر عن خيال ، اما الشعر فإنه لون من الأدب  
يتصل بالعاطفة والشعور والخيال .

ونستطيع ان نسمى الشعر التعليمي نظماً فحسب ، ذلك لأن  
النظم ليس كالشعر ، فالشعر يعتمد كثيراً على الخيال والعاطفة اما النظم  
فهو كلام عادي انتظمه الوزن ، ولكنه خال من الشعور والعاطفة . ويمكن  
ان ندخل هذه التعليمات ضمن أطار النظم ، لأنها كلام علمي انتظمه  
الوزن وقصد به الى تدوين العلوم وتعليم الناشئة وغيرهم قواعد تلك العلوم  
ولا يتضمن الشعر التعليمي أي عاطفة أو خيال أو شعور ، ولا يبعث في  
النفس طرباً أو نشوة أو أريحية والا فما الذي يهزك في هذا القول :

كلامنا لفظ مفيد كأستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم

لاشيء ! لأنه خال من الشعور والعاطفة والخيال .

ولهذا نستطيع ان اقول ان الكلام البليغ الجميل المعبر عن الشعور  
والعاطفة والذي يحتوي على وزن وقافية شعر ، ومادام الرجز يحتوي على  
هذه الصفات فلنا ان نعدده أحد نوعي الشعر وفناً من فنونه .

اما الذين يرون ان الشعر يجب ان يكون موزوناً مقفى فقط فقد  
اخرج بعضهم - وعلى رأسهم الاخفش - الرجز من نطاق الشعر وعده  
في دائرة النثر ، واحتجوا بأنه لا فرق بين الرجز والنثر سوى الوزن ، اما  
القافية فهي سجعيات ، وقد ذهب بعض المحدثين الى أكثر من هذا فعده  
الرجز وزناً كأوزان السجع (١) .

---

١ - تاريخ آداب العرب - الرافعي ٢ / ٣٢٤ .

ومثل هذا يقبل لو صدر عن انسان لم يقطع شوطاً بعيداً في العلم ،  
اما ان يأتي مثل هذا الرأي من رجل عالم وأديب كبير اخذ نصيباً وافراً  
من العلم كالاخفش ، فهذا مدعاة للعجب ومثار للنساول ، إذ ما الذي حدا  
بمثل هذا العالم ان يرى هذا الرأي ويقول به ؟ لابد ان تكون هناك  
دوافع وأسباب حملته على القول بمثل هذا الرأي وهي إما ان تكون  
علمية أو دينية .

اما ما يتعلق بالدافع الأول فأنتي لم ار في كلاهم ما يستند الى حقائق  
علمية تمنحه شيئاً من الصحة ، لأنهم يقولون : ان الرجز كالنثر يتكون  
من سجعيات متساوية في الطول ، وهذا غير صحيح ، لأن سجعيات النثر  
لا تكون متساوية الطول فقد تكون احداها سطرأً كاملاً وتأتي الاخرى من  
كلمتين ، وهذا مثال من أشهر السجع المعروف وننقله من مقامات  
الهمذاني قال في المقامة الجاحظية : ( وقوم قد اخذوا الوقت بين أس  
مخضود ، وورد منضود<sup>(١)</sup> وقال أيضاً ( ثم عكفنا على خوان قد ملئت  
حياضه ونورت<sup>(٢)</sup> رياضه ) .

فكما ترى جاءت السجعة الأولى بعد سبع كلمات ، بينما جاءت  
الثانية بعد كلمتين ، ومثل هذا لا يحدث في الرجز اطلاقاً .

كما ان السجعيات لا تكون متفقة الحروف في جميعها ، انما تكون  
كل فاصلتين أو اكثر متفقة في مخارج الحروف . والبك مثلاً من المقامة

---

١ — مقامات الهمذاني — شرح محمد عبده ص ٧٣ .

٢ — مقامات الهمذاني — شرح محمد عبده ص ٧٤ .

الأسدية للبديع ، قال : ( فاذا السبع في فروة الموت ، قد طلع من غابه منتفخاً في اهابه ، كاشراً عن انياه ، بطرف قد مليء صلفاً ، وأنف قد حشي أنفا ، وصدر لا يبرحه القلب ولا يسكنه الرعب ، وقلنا خطب ملم ، وحادث مهم ) ( ١ ) .

فهنا جاءت السجعات مختلفة متباينة في الحرف الأخير ، انما كان الاتفاق بين كل سجتين أو ثلاث ، فهي ذات قواف متعددة ، وانما قلت ذات قواف تشبيهاً لها بالشعر ، أما الرجز فليس كذلك ، لأنه يكون - في الغالب - متفق الحروف في جميع الأبيات ، وتضم ابياته قافية واحدة ، وهذا خلاف جوهرى بين النثر والرجز .

وإذا انتفى وجود سبب علمي ، فلا بد ان يكون الدافع دينياً ، وقد كان لهذا الدافع أثر كبير بين الناس ، لما للدين من منزلة في نفوس المسلمين . ذلك انه حينما جاء النص القرآني ينفي الشعر عن النبي (ص) ذهب بعض المسلمين الى اخراج ما قاله النبي ( ص ) من حضيرة الشعر لكيلا يخالف النص .

ولما كان قد جرى على لسان النبي ( ص ) شيء قليل من الرجز كان من البديهي ألا يعدوا الرجز شعراً ، ولما خولفوا في ذلك ، استشهدوا بادلة هي في الحقيقة لا تثبت ما يدعون ، لأن القصد فانهم من هذه الأدلة الذي استشهدوا بها ، أو انهم فهموا لها معنى غير معناها المقصود ولما كانت المسألة دينية خشي المسلمون الخوض فيها والتعرض لها ، فما

---

١ - مقامات الهمذاني - شرح محمد عبده ص ٣١ .



كان منهم الا الاعتقاد بها دون مناقشة أو معارضة ، لأن ذلك يعرضهم الى الكفر حسب ظنهم ، ومستحيل ان يقتربوا من مسألة فيها كفر أو مساس بالدين ، والى هذه الناحية يشير الخليل بقوله : -

( لأحتجّن عليهم بحجة ان لم يقرّوا بها كفروا ) ( ١ ) .

وفعلماً اقرّ بعضهم بها ولم يخالفها خشية الكفر والاحقاد .

ولكن لم يؤمن كل العلماء والأدباء الذين جاءوا فيما بعد بهذا الرأي ، وانما ناقش بعضهم الأدلة مناقشة صحيحة نزيهة ، وبينوا الرأي الحق في ذلك فذهبوا الى ان الرجز ضرب من الشعر .

ولا يفوتنا ان نذكر ان من بين هؤلاء الأدباء من كان عالماً نقياً ورعاً كالسيوطي ومن كان من المحدثين والمفسرين كابي هريرة .

فالمسألة اذن - لا تدعوا الى كفر ولا تمسه من قريب أو بعيد ، انما علة ذلك هو عدم فهمهم ما المقصود بالآية الكريمة « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ( ٢ ) ثم عدم معرفة قصد الرسول ( ص ) في انشاده الرجز ، هل كان يقصد من ذلك الى قول الشعر ، أو أن ذلك جاء صدفة وبدون قصد . كما انهم لم يدركوا معنى الشعر ، هل يقصد به ما جاء وزنه عقواً أو ما كان عن قصد الى قوله وتأليفه على تلك الصورة ؟

---

١ - العمدة - ابن رشيق ١/١٨٥ .

٢ - آية ٦٩ من سورة يس .



وقد راحوا يبحثون عن ادلة يثبتون بها ما يدعون ، روى انهم  
قالوا : -

( صح من مذهب الخليل - وهو ينبوع العروض - ان المشطور  
ليس بشعر ) (١) . وقالوا أيضاً : - ( زعم الخليل ان الرجز ليس  
بشعر ) (٢) .

صحيح ان الخليل ينبوع العروض وواضع اساسه ورافع اركانه ،  
وانه اول من فتح للناس باب هذا العلم ، وفجر معينه ، وقدمه عذباً  
سائغاً للطالبيين لكن فاتهم ان الخليل قد عرف الحقيقة وقالها مسبقاً ،  
وأعلن رأيه صريحاً حيث ذهب الى ان الرجز من الشعر ، وقد اشار  
الى ذلك ابن منظور قائلاً : « وقد اختلف فيه ( أي في الرجز ) فزعم  
قوم انه ليس بشعر وان مجازه مجاز السجع وهو عند الخليل شعر صحيح  
ولو جاء منه شيء على جزء واحد لاحتمل الرجز ذلك الحسن بنائه » (٣) .

والملاحظ ان الخليل قد تطرف في هذه المسألة حتى عد ما جاء  
من الرجز على جزء واحد شعراً ، مستنداً في ذلك الى حسن بناء الرجز  
وخفته على اللسان . وقد كان الخليل يرى ان معنى قوله تعالى « وما  
علمناه الشعر وما ينبغي له » اي لم نعلمه الشعر فيقوله ويتدرب فيه حتى  
ينشئ منه كتباً ، وليس في انشاده (ص) البيت والبيتين لغيره ما يبطل

---

١ - الفائق - الزمخشري ٤٧٨/١ .

٢ - مادة ( رجز ) في اللسان والتاج .

٣ - مادة ( رجز ) في اللسان .

هذا ، لأن المعنى فيه انا لم نجعله شاعراً ، وهذا هو المعنى المراد بالآية  
الكريمة ، وقد ايدته الطبري وابن كثير في تفسيريهما (١) . كما وافقه  
صاحب صبح الاعشى في قوله : « وحرّم نظمه ( أي الشعر ) على  
نبيه ( ص ) تشريفاً لمحلّه وتنزيهاً لمقامه » (٢) إذ اشار الى تحريم النظم  
ولم يشر الى تحريم الانشاد .

ولكن الاخفش ( سعيد بن مسعدة ) اعترض على الخليل مدعياً عدم  
صحة جعل الرجز من الشعر ، وحجته في ذلك ان النبي ( ص ) جرى  
على لسانه رجز ، والنبي لا ينطق بشعر فدل هذا على ان الرجز ليس  
بشعر ، فأضطر الخليل الى التنازل عن رأيه والاعتقاد برأي الاخفش ،  
جاء في لسان العرب (٣) : ( قال الاخفش : قول الخليل ان هذه الاشياء  
شعر قال : وأنا أقول انها ليست بشعر ، وذكر انه هو الزم الخليل  
ما ذكرنا ، وان الخليل اعتقده ) .

والظاهر ان الخليل اعتقد ذلك خوفاً من ان يوصم بالكفر أو ينعت  
به ، وقد استعمل هذا السلاح هو أيضاً مع من خالفه فيما بعد ، روى  
ابن رشبِق في عمدته ان الخليل قال : ( لاحتجّن عليهم بحجة  
ان لم يقرّوا بها كفروا ، قال : فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته ) (٤)

---

١ — جامع البيان — الطبري ٢٣/٢٧ ط ٢ وتفسير ابن كثير ٣/٥٧٨ .

٢ — صبح الاعشى — القلقشندي ١/٥٩ وزارة الارشاد .

٣ — مادة ( رجز ) .

٤ — العمدة ١ / ١٨٥ .

وقد ردد بعض من خشي الخوض في هذه المسألة رأى الأخفش -  
والذي اعتقده الخليل فيما بعد - دون تمحيص أو مناقشة ، وقد دفعهم  
الى ذلك اعتقادهم بأن الذي لا يقر الأخفش والخليل على رأيهما  
يكون كافراً .

وبحسن بي أن اعرض الآراء المؤيدة للأخفش والمعارضة له ،  
ليتسنى لي بعد ذلك الموازنة بين تلك الآراء ومناقشتها ثم استخلاص رأي  
خاص في هذا الموضوع . واذكر أولاً آراء الذين يؤيدون الأخفش مبتدئاً  
برأي الخليل الذي استمد منه .

جاء في التهذيب : زعم الخليل أن الرجز ليس بشعر ، وإنما هو  
انصاف أبيات وأثلاث . ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي (ص)  
أنه انشد بيت طرفه على الوجه الآتي :-

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وبأنيك من لم تزود بالأخبار

قال الخليل : لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان  
النبي (ص) : ( ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ) وجاء بالنصف الثاني  
على غير تأليف الشعر لأن نصف البيت لا يقال له شعر ولا بيت ، ولو  
جاز ان يقال لنصف البيت شعر لقبيل لجزء منه شعر ، وقد جرى على  
لسان النبي (ص) : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . قال بعضهم :  
انما هو لا كذب - بفتح الباء على الوصل - قال الخليل : فلو كان  
شعراً لم يجر على لسان النبي (ص) قال تعالى « وما علمناه الشعر وما  
ينبغي له » أي وما يتسهل له . (١) كما جرى على لسانه (ص) قوله

١ - الفائق - الزمخشري ٤٧٨/١ واللسان مادة (رجز) .



في رواية جندب أنه دميت اصبعه فقال :-

هل انت الا اصبع دُميتِ وفي سبيل الله مالقيتِ (١)

أن النقطة الوحيدة التي جعلوها محوراً بدور عليه احتجاجهم هي ان النبي (ص) منزه عن قول الشعر ، ولما جرى على لسانه (ص) قوله : أنا النبي لا كذب . . . الخ وقوله : هل انت الا اصبع . . . الخ ، دل ذلك على أن الرجز ليس بشعر ، لأنه لو كان شعراً ما جرى على لسان النبي المنزه ، فإنه عندما اراد الاستشهاد ببيت شعر لم يقمه على وزنه لكيلا يدخل في مفهوم الشعر .

هذا أهم ما احتج به الاخفش والذي اعتقد به الخليل فصار رأياً له . ولكني أقول : أن الرجز من صميم الشعر العربي ونوع من أنواعه ، وأساس بني عليه الشعر ، وادعاهم أن الرجز ليس بشعر مكابرة ، لان رجز العرب قد رواه الخليل وغيره وعدوه ضمن الشعر العربي .

اما احتجاجهم فيمكن الرد عليه من عدة وجوه ، وهي :

أولاً : - أنه روى أن النبي (ص) قال : أنا النبي لا كذب - بفتح الباء على الوصل - قال ابن العربي : والأظهر من حاله أنه قال (لا كذب) الباء مرفوعة وبخفض الباء من ( عبد المطلب ) على الاضافة ، قال النحاس : قال بعضهم : انما الرواية بالأعراب ، واذا كانت بالأعراب لم

---

١ - اللسان مادة ( رجز ) والفائق ٤٧٨/١ والعمدة ١٨٥/١ والعقدة الفرديد



يكن هذا الذي قاله النبي (ص) شعراً ، لأنه اذا فتح الباء من البيت الأول أو ضمها أو نونها ، وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر . (١)

اما قوله ( هل انت الا اصبع دميت الخ ) فقد جاء في احدي الروايات بسكون التاء وتحريك الياء قبلها بالفتح . (٢) ولا يكون اذ ذاك من الشعر . وقد قال بعضهم ( أنه من بحر السربيع ، وذلك لا يكون الا اذا كسرت التاء من « دميت » فأن سكن لا يكون شعراً بحال ) . (٣) فاذا صحت رواية سكون التاء في قوله « دميت » وفتح الباء في قوله « لا كذب » أو اعرابها ، خرج ذلك عن كونه شعراً ، ولم يبق وجه للأحتجاج بهذا الكلام ، لأن النبي (ص) لم يقل رجزاً انما قال كلاماً منشوراً .

ثانياً : — أن البيتين « هل أنت الا اصبع . . . الخ » ليست للنبي (ص) وانما هي للوليد بن المغيرة على ما قاله ابن هشام في السيرة ، أو لابن رواحة على ما صححه الجوزي (٤) وتمثل بها النبي (ص) والانشاد ليس محرماً عليه (ص) انما الذي حرم عليه النظم والتأليف وقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ليس فيه ما يدل على أن النبي (ص)

---

١ — الجامع لاحكام القرآن — القرطبي ٥١/١٥ .

٢ — العمدة — ابن رشيق ١٨٥/١ .

٣ — الجامع لاحكام القرآن — القرطبي ٥١/١٥ .

٤ — روح المعاني — الألويسي ٤٥/٢٣ .

لا ينبغي له التكلم بشعر قاله بعض الشعراء والتمثل به (١) ولكن يقول  
تبارك وتعالى أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له ، أي ما هو في طبعه فلا  
يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته (٢) أو ما علمنا محمداً الشعر وما ينبغي  
له أن يكون شاعراً. (٣) وهذا لا يمنع أن ينشد شيئاً من الشعر لغيره ،  
وان التمثيل بالبيت النزر واصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن  
يكون قائلها عالماً بالشعر ولا يسمى شاعراً باتفاق العلماء ، قال النحاس :  
وهذا من احسن ما قيل في هذا . وكان هذا رأي أبي اسحاق  
الزجاج أيضاً .

وقال قوم : انما الذي نفاه الله عن نبيه عليه الصلاة والسلام فهو  
العلم بالشعر واصنافه وأعارضه وقوافيه والاتصاف بقوله ، ولم يكن  
موصوفاً بذلك بالاتفاق . (٤)

وقد كان عليه السلام ربما انشد البيت المستقيم من غير الرجز في  
النادر روي أنه انشد بيت عبد الله بن رواحة . (٥)

بيت يجافي جنبه عن فراشه كما استثقلت بالمشركين المضاجع  
وثبت في الصحيح أنه (ص) تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله

١ — روح المعاني — الألويسي ٤٥/٢٣ .

٢ — تفسير ابن كثير ٥٧٨/٣ .

٣ — جامع البيان — الطبري ٢٧/٢٣ .

٤ — الجامع لاحكام القرآن — القرطبي ٥٢/١٥ .

٥ — الجامع لاحكام القرآن ٥١/١٥ وتفسير البحر المحيط ٣٤٥/٧ وروح

المعاني ٤٥/٢٣ .

ابن رواحة ولكن تبعاً لقول اصحابه (رض) فانهم كانوا يرتجزون وهم  
يحفرون فيقولون :

لأهمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فانزان سكينه علينا

وثبت الاقدام ان لقينا والمشركون قد بغوا علينا  
اذا ارادوا فتنه أيينا

ويرفع صوته بقوله : « أيينا » ويمدها . . . ، وكل هذا لابناني  
كونه (ص) ما علم شعراً أو ما ينبغي له . (١)

ثالثاً : — أن تعريف الشعر عند بعض العلماء يمكن ان يتخذ  
رداً على هؤلاء فقد قال الدمهوري : ( الشعر هو كلام موزون قصداً  
بوزن عربي ) (٢) .

فقوله « قصداً » يخرج ما كان وزنه اتفافاً ، أي لم يقصد وزنه .  
كما مر من اقوال النبي (ص) فلا يكون شعراً . (٣) وقد جعل ابن رشيق  
النية شرطاً أساسياً في تعريفه للشعر (٤) .

وهناك قول زعم صاحبه انه اجماع من أهل اللغة ، وذلك انهم

---

١ — تفسير ابن كثير ٥٧٩/٣ .

٢ — الارشاد الشافي على متن الكافي — الدمهوري / ٢٠ .

٣ — فن الشعر — عبد المنعم خفاجي / ١٦ .

٤ — العمدة ١١٩/١ ط ٣ .



قالوا : — كل من قال قولاً موزوناً لا يقصد به الشعر فليس بشعر (١) .

وكذلك قالوا : ان ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعراً وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه ، فقد يقول القائل : حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ، ولا يعد هذا شعراً (٢) .

وقال ابن فارس في فقه اللغة : ( الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت ، وانما قلنا هذا لأنه جائز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر من غير قصد فقد قيل أن بعض الناس يكتب في عنوان الكتاب :

للامام المسيب بن زهير من عقاب بن شبه بن عقاب

فأستوى هذا في الوزن الذي يسمى « الخفيف » ولعل الكاتب لم يقصد به شعراً (٣)

ويقولون : ان الشعر انما يطبق متى قصد الفاصد اليه على الطريق الذي يتعمد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله الا من الشعراء ، دون ما يستوي فيه العامي والجاهل ، والعالم بالشعر واللسان وتصرفه وما يتفق من كل واحد ،

---

١ — الجامع لأحكام القرآن — القرطبي ٥٢/١٥ ،

٢ — المصدر السابق ٥٢/١٥ .

٣ — المزهر — السيوطي ٤٦٩/٢ .



فمثل هذا لا يكتب أسم الشعر ولا يسمى صاحبه شاعراً ، لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه الفاظ تترن بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض الأعراب : شاعراً كان الناس كلهم شعراء . لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد يترن بوزن الشعر وينتظم بانتظامه (١) .

وكل هذا الذي يتأتى بهذه الطريقة إنما هو من المنثور الذي يوافق المنظوم وأن لم يتعمد به فائله المنظوم ، ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوزن ، مثل قول عبد مملوك لمواليه ، اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا قد اکتوى .

ومن ذلك قول القائل : من يشتري باذنجان ؟ تقطيعه : مستفعلن مفعولات ومثله كثير من كلام العامة مما يأخذه الوزن ولا يراد به الشعر .

كما ان في أي الكتاب كثيراً قد انتظمه الوزن ولكنه مع هذا لا يسمى شاعراً لأنه لم يقصد به الشعر ، من ذلك قول الله تعالى : « ومن الليل فسبحه وادبار النجوم » ومنه « وجفان كالجواب وقدور راسيات » (٢) الى كثير من الآيات .

فكل هذا مما يوافق الشعر في الوزن ولكنه ليس منه ، لأنه جاء اتفاقاً وبدون قصد وإنما يكون الشعر شعراً اذا عمد صاحبه

١ — اعجاز القرآن — الباقلاني ٨١ .

٢ — العقد الفريد — ابن عبد ربه ٢٨٢/٥ .

الى ذلك .

وبهذا يكون النبي (ص) خارجاً عن مفهوم الشعر ، لأنه لم يقصد ذلك ولا نواه ، واصابته الوزن احياناً لا توجب أنه يعلم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه مما يدخل في وزن ، لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ولم يقصد به الى الشعر ليس بشعر ، ولو كان شعراً لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعراً (١) .

وبهذا يمكن رد كلامهم وابطال دعواهم .

ومن الذين تابعوا الاخفش في رأيه فلم يجعلوا الرجز شعراً مصطفى صادق الرافعي ، والذي دفعه الى ذلك - فيما أرى - حب الرفاع عن النبي (ص) ونفي الشعر عنه ، أما ما جري على لسان النبي (ص) من رجز ، فلم ير الرافعي مجالاً للدفاع عنه الا ان ينفي كون الرجز من الشعر .

ولكننا نجد بنافض نفسه فيعد الرجز شعراً وهو لا يشعر بذلك فيينما هو يقول : ( وانما اتفق له ذلك ( أي النبي (ص) ) لأن الرجز في أصله ليس بشعر ، انما هو وزن كأوزان السجع ، وهو يتفق للصبيان والضعفاء من العرب يتراجزون به في عملهم وفي لعبهم وفي سوقهم ، ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء ، فقد يتسق لهم الرجز الكثير عفواً غير

مُصَوِّدٌ حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَى الشَّعْرِ انْقَطَعُوا (١) نَرَاهُ يَقُولُ : ( وَانْمَأْ  
جَعَلَ الرَّجْزَ مِنْ الشَّعْرِ تَتَابَعُ آيَاتِهِ وَجَمَعَ النَّفْسَ عَلَيْهِ وَاسْتَعْمَالَهُ فِي  
الْمُفَاخِرَاتِ وَالْمَمَائِنَاتِ وَنَحْوِهَا وَأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي اهْتِدَائِهِمْ إِلَى أَوْزَانِ  
الشَّعْرِ ) (٢) .

فَهُوَ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ الرَّجْزَ مِنَ الشَّعْرِ ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي قَوْلِهِ الْمَتَقَدِّمِ  
كَمَا أَنَّ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ الرَّجْزَ أَصْلُ الشَّعْرِ وَأَوَّلُ  
نَوْعٍ ظَهَرَ مِنْ أَنْوَاعِهِ . وَفِي قَوْلِهِ الْآتِي مَا يُوَكِّدُ هَذَا ، فَهُوَ يَذْكَرُ تَعْلِيْقًا  
فِي الْهَامِشِ يَقُولُ فِيهِ أَنَّ الرَّجْزَ شَعْرٌ وَأَنَّهُ يَجْرِي بِجَرَى الْقَصِيدِ وَأَنَّهُ  
الْأَصْلُ فِي اهْتِدَائِهِمْ إِلَى الشَّعْرِ وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ( اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي  
ذَلِكَ ، وَأَرَادُوهُمْ فِي تَعْلِيلِهِ مَضْطَرِبَةً ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّجْزَ شَعْرًا وَهُوَ  
جَمْعُهُمْ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْفِي أَنَّ يَكُونَ مِنَ الشَّعْرِ ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ ضَرْبٌ  
مِنَ الْوِزْنِ لَمْ يَجْعَلْهُ مِنَ الشَّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ الْأَصْلُ فِي اهْتِدَائِهِمْ إِلَيْهِ ، ثُمَّ  
أَخَذَ فِيهِ الشُّعْرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاجْرَوْهُ بِجَرَى الْقَصِيدَةِ فَجَعَلْتَهُ الْعَادَةَ شَعْرًا  
أَمَّا هُوَ فِي أَصْلِهِ وَحَقِيقَتِهِ فَلَيْسَ مِنَ الشَّعْرِ ) (٣) .

يَلَاحِظُ فِي كَلَامِهِ هَذَا أُمُورٌ مِنْهَا : -

أَنَّ جَمْعِيَّةَ الْعُلَمَاءِ عَدَّوْا الرَّجْزَ شَعْرًا . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمَّا عَدَّهُ  
هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ شَعْرًا .

---

١ - تَارِيخُ آدَابِ الْعَرَبِ - الرَّافِعِيُّ ٣/٢٢٤ .

٢ - الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٣/٢٢٤ .

٣ - تَارِيخُ آدَابِ الْعَرَبِ - الرَّافِعِيُّ ٣/٢٢٤ فِي الْهَامِشِ ،



ويقول : ( أنه الأصل في اهتدائهم اليه ) وإذا كان هو الأصل في  
الاهتداء الى الشعر وأنه هو النبع والاساس ، فمن الأولى ان يكون  
شعراً .

ثم يقول في ومضع آخر : ( فكان الشعر قبل مهلول رجزاً وقطعاً فقصدته  
مهلول ثم جاء أمرؤ القيس فأفتن فيه (١) ومن هذا يتبين لنا انه بعد الرجز شعراً .

لقد ذكرت أهم آراء من لا يرون الرجز شعراً ، وهي في حقيقتها  
لا تعدو رأياً واحداً ودليلاً بسيطاً حاوالت جهدي الرد عليه وتخريج  
الوجوه التي يحتملها . وإذا انتهيت من الرد عليها ، أبدأ الآن بذكر  
الآراء التي تقول بان الرجز شعر .

مر بنا في تعريف الرجز أن جميع اصحاب المعاجم عدوه شعراً  
إذ قالوا أنه ( ضرب من الشعر ) (٢) كما قالوا ( ومنه سمي الرجز من  
الشعر ) (٣) .

وقال ابن دريد في جمهرته : (٤) ( والرجز من الشعر معروف )  
ومثل ذلك قول ابن سيده ( الرجز شعر ابتداء اجزائه سيبان  
ثم وتد ) (٥) .

---

١ — تاريخ آداب العرب — الرافعي ١٥/٣ .

٢ — مادة [ رجز ] في : الصحاح والقاموس المحيط والتاج ومعجم متن  
اللغة .

٣ — مادة [ رجز ] في الصحاح ومعجم مقاييس اللغة والمختص واللسان .

٤ — جمهرة اللغة — ابن دريد ٧٥/٢ .

٥ — انظر مادة [ رجز ] في اللسان .

وهذا كله يدلنا على أنهم عدوه شعراً ، وكلامهم صريح في الإشارة  
الى هذا القصد ولندع اصحاب المعاجم ولنأت الى الادباء والرواة والكتاب  
لنتبين آراءهم في هذه المسألة .

واول من ابدأ به الخليل الذي اعترف ضمناً أن الرجز شعر ،  
روى صاحب الأغاني باسناد عن يعقوب بن داود أنه قال : « لقيت  
الخليل بن احمد يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله ، دفنا الشعر  
واللغة والفصاحة اليوم فقلت : وكيف ذلك ؟ قال هذا حين انصرفت من  
جنازة رؤبة » (١) .

وواضح من هذا ان الخليل قد اطلق لفظ ( الشعر ) على ما قاله  
رؤبة ، والكل يعلم ان رؤبة لم يقل رجزاً ، فلا بد ان يكون - اذن -  
هذا الرجز شعراً .

أما يونس بن حبيب فقد قيل له : من أشعر الناس ؟ قال : العجاج  
ورؤبة فقيل له : ولم ؟ لم نعن الرجز . فقال : هم أشعر من اهل  
القصيد ، انما الشعر كلام واجوده أشعره ، قال العجاج :

قد جبر الدين الاله فجير . (٢)

---

١ - الاغاني ١٨/١٢٥ ساسي .

٢ - هذا مطلع ارجوزة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وبعده:  
وعور الرحمن من ولي العور .

فهو نحو مثني بيت موقوفة القوافي ولو اطلقت قوافيها كانت كلها  
منصوبة قال : وكذلك عامة اراجيزهما . (١)

ألا تراه عد اهل الرجز أشعر من اهل القصيد ، وهذا مبالغة في  
كون الرجز من الشعر ، ثم انه قال ( اشعر ) وهذا يعني انه يعد الرجز والقصيد  
من واحد هو ( الشعر ) ثم ان اسم التفصيل هذا يقتضي المشاركة والزيادة .

وقال ابن سلام وقد نقل ذلك السيوطي ( فمن قديم الشعر الصحيح  
قول العنبر بن عمرو بن تميم وكان مجاورا في بهراء فرأه ريب فقال :  
قد رأيتني من دلوي اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها

إلا نجيء ملأى بجيء قرابها

ثم قال : وما يروى من قديم الشعر قول دويد بن زيد بن  
نهد . . . الخ ( ٢ ) وذكر ابياتا من الرجز لدويد . وقال السيوطي :  
( أول من طول شعر الرجز الأغلب العجلي ) ( ٣ ) .

وهذا ابن رشيق القيرواني قد عد الرجز شعرا حينما رد على من  
ادعى بأن الرجز ليس من الشعر قال : ( وقد رأى قوم ان مشطور الرجز  
ليس بشعر لقول النبي ( ص ) :

---

١ — الاغاني ١٢٤/١٨ و ١٦/٢١ ساسي .

٢ — طبقات الشعراء — ابن سلام ٢٤/٢٤ والمزهر — السيوطي ٤٧٤/٢ .

٣ — المزهر — السيوطي ٤٨٤/٢ .



هل أنتِ الا اصبع دميتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لقبتِ

. . . وليس هذا دليلاً ، وانما الدليل في قول النبي ( ص ) عدم القصد والنية لأنه لم يقصد به الشعر ولا نواه ، فلذلك لا يعد شعرا وان كان كلاماً متزناً والا فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان الا ان الليث روى انهم لما ردوا على الخليل قوله « ان المشطور ليس بشعر » قال : لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقرأوا بها كفروا ، قال : فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته ( ١ ) .

اما ابن رشيق فيطلق لفظ ( القصيد ) على الرجز وعلى غيره من انواع الشعر الاخرى فالقصيد - عنده - لفظ عام والرجز نوع خاص يدخل تحت عموم القصيد ، اذ يقول في ذلك ( ولا تسمى القصيدة ارجوزة الا ان تكون من احد انواع الرجز التي ذكرت ، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته ، فالقصيد يطلق على كل رجز وليس الرجز مطلقا على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر ) ( ٢ ) .

والحقيقة انه لم ير هذا الرأي الا لأن معنى القصيد عنده يختلف عن معناه المعروف ، فهو يرى انه لا ( يمتنع ان يسمى ما كثرت بيوته ) من مشطور الرجز ومنهوكة قصيدة ، لان اشتقاق القصيد من « قصدت الى الشيء » كأن الشاعر قصد الى عملها على تلك الهيئة ، والرجز مقصود ايضا الى عمله كذلك ( ٣ ) .

---

١ - العمدة - ابن رشيق ١/١٨٥ .

٢ - العمدة - ابن رشيق ١/١٨٣ ،

٣ - المصدر السابق ١/١٨٣ .

اما الراجز المشهور « رؤبة » فقد كان يطلق لفظ ( شعر ) على ما يقول من ( رجز ) وهذا يشير الى انه يرى ان الرجز شعر ، يحكى عنه في توجهه الى قتيبة بن مسلم انه قال : جاءني رجلان فجلسا الي وانا انشد شيئاً من شعري فهمسا بينهما فتقبعت (١) عليهما فهمدا ، ثم سألت عنهما فقيل لي : الطرماح والكميت ، فرأيتهما ظريفين فأنست بهما ، ثم كانا بأنبائي فيأخذان الشيء بعد الشيء من شعري فيودعانه اشعارهما (٢) وقال في ارجوزة مدح بها مروان بن محمد : (٣)

فاصبحَ اليومَ لسانِي مطلقاً نصرأ من الله ونورا اشرقا  
وهاجني جلابة تسرقا شعري ولا يزكو له ما لزقا

وهناك عدة مواضع سمي بها رجزه شعرا .

والمحاث الجليل ابو هريرة ( رض ) لم يرَ الـرجز الا شعرا  
( يروى ان العجاج انشده :

---

١ — التقبع من القبع ، وهو في الاصل صوت يرددده الفرس من منخريه الى حلقه ، ويكون عند رؤيته شيئاً يكرهه أو يتقيه ، يريد انه اظهر لهما الكراهة وقد وردت لفظه (فتفتت) بدل (فتقبعت) في الخصائص وهو خطأ وقد يكون الاصل فنفت عليهما : اي غضبت من النفث .

٢ — الخصائص — ابن جنى ٢٩٧/٣ والموشح — المرزباني / ١٩٢ مع اختلاف في الرواية .

٣ — مجموع اشعار العرب — الورد / ١١٢ .

سافاً بخنداة وكعباً أدرما [١]

فقال : كان النبي ( ص ) يعجبه نحو هذا الشعر ( [٢] ) .

وكان ابو الفرج الاصبهاني يطلق لفظ الشعر على الرجز ، فقد قال مترجماً لرؤبة وواصفاً مكانته اللغوية والادبية ( قد اخذ عنه وجوه اهل اللغة وكانوا يقتدون به وبخنجون بشعره ) [٣] .

هذه اهم آراء الأقدمين من الأدباء والنقاد ومؤرخي الأدب . اما آراء المحدثين فهي مستمدة من آراء القدماء تلك ، حيث تبعوه في عد الرجز شعراً ، إيماناً منهم بأن الرجز احد فنون الشعر العربي ، فلا يمكن ان يفصل عنه أو يخرج من دائرته بأي حال من الاحوال .

ولم يشذ عن هؤلاء الا الرافعي ، وقد ذكرت رأيه سابقاً مع الذين لم يعدوا الرجز شعراً .

ومن المحدثين الذين جعلوا الرجز من الشعر المستشرق نالينو حين قال : - ( فلنخض الآن في الكلام الموجز على الشعر من الصنف الرابع في ايام الدولة الاموية ، اعني الارجيز ، ان هذا النوع من الشعر لا يختلف عن شعر الصنف الثالث من حيث اللغة والموضوع

---

١ — البخنداة : الضخمة ، والأدرم : الذي لا حجم له .

٢ — مادة ( رجز ) في اللسان . وارجيز العرب — البكري ٤ .

٣ — الاغاني ٥٧/٢١ ساسي .



والمعاني والمبدأ والخروج والاستطراد والنهاية فانما الفرق بينهما في القالب الذي صبغنا فيه ، وهو بحر الرجز المشطور لاشعار الصنف الرابع وسائر الأبحر لاشعار الصنف الثالث ( ١ ) .

وقال ايضا : ( ان رؤبة بن العجاج آخر النوابع الذين قالوا الراجيز الحقيقية اعني القصائد الجاري مضمونها على الاساب القديم مع انها مصوغة في بحر الرجز المشطور ) ، وبعده بقليل ( ندرس هذا النوع من الشعر تماما . . . ) ( ٢ ) .

كما ان من بين هؤلاء المحدثين الذين عدوا الرجز شعرا الدكتور شوقي ضيف فقد قال : ( وقد بلغت هذه المتون صورتها المثالية عند رؤبة فهو النمو الاخير لهذا العمل التعليمي الذي ارادته المدرسة اللغوية من جهة والذي استجاب له الشعراء وخاصة الرجاز من جهة اخرى ) ( ٣ )

وقال بعد ان اورد ارجوزة رؤبة « وقاتم الاعماق » : ( وهل من الممكن ان يوجد مثل هذا الشعر أو مثل هذا الرجز الا في قيعان الصحراء ) ( ٤ ) الى غير هذه الأقوال التي كانت ترد في اثناء كلام

---

١ — تاريخ الآداب العربية — نالينو / ١٦٤ .

٢ — المصدر السابق / ١٩٠ .

٣ — التطور والنجديد في الشعر الأموي — ضيف ٣٤٦ .

٤ — المصدر السابق / ٣٤٧ .

الدكتور ضيف والتي تدل على انه يعد الرجز شعراً اصيلاً (١) .  
وهناك آراء اخرى تؤيد كون الرجز شعراً أعرضت عن سردها  
خشية الاطالة التي تسبب الملل . ويمكن العثور عليها في مظانها من كتب  
الأدب وتاريخه التي ألفها المحدثون (٢) .

بعد هذا العرض المفصل للآراء التي قيلت في فن الرجز ، وعرض  
الأدلة في هذا الصدد ومناقشتها . لا بد لي من خلاصة وافية توضح علاقة  
الرجز بالشعر ومدى الترابط بينهما فأقول :-

يعتبر الرجز فناً شعبياً يكثر استعماله في الاعمال الجماعية حيث  
يكون خير نشيد لهؤلاء العمال بنشدونه في اثناء عملهم ترويحاً عن أنفسهم  
ومساعدة لهم على مواصلة العمل ، كما يستعمل في حالة الارتجال والأمور  
الأنية التي لا يسمح الوقت فيها الى نظر أو تأمل واجالة فكر ، فيأتي  
الشاعر بالأبيات القليلة المترجلة من الرجز يقدمها بين يدي حاجته أو  
حين المنازلة والمجادلة والمفاخرة . فأكثر الناس كان يجري على لسانهم  
الرجز لأنه سهل وطىء لا يستعصى على الكثير ، وحتى النبي (ص) الذي  
نُزّه عن قول الشعر جرى على لسانه الرجز دون قصد اليه .

١ — انظر ص ٣٤٧ من المصدر السابق ايضاً وكذلك ص ٣٤٨ منه .

٢ — انظر مثلاً ما قاله الاستاذ عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتاب الحيوان  
١٤٧/١ وارجع الى ما قاله الدكتور سيد نوفل في « شعر الطبيعة » ص  
١٣٦ و ١٥٦ .

والى ما قاله الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم في تحقيقه لكتاب آمالي  
المرتضى ٦٢/١ وانظر مقالة الاستاذ محمد بهجت الاثري في مجلة  
المجمع العربي بدمشق حول الرجز ٤٨٥/٧ مجلد ٨ .

ولهذا اختلف الناس في عد الرجز شعراً وانقسموا فريقين : أحدهما  
عده شعراً والآخر لم يعده من الشعر . وأخذ كل فريق يأتي بالأدلة  
والبراهين ليثبت ما يدعي . وقد ظهر لنا من مناقشة تلك الآراء والأدلة  
ان الرجز شعر صحيح ونوع منه مفضل لدى أكثر طبقات الشعب ، لما  
فيه من ايقاع رتيب وخفة على اللسان والسمع :

واستطيع بعد هذا أن أقول : -

أن الشعر العربي - بجميع فنونه واغراضه - يتألف من نوعين  
لا ثالث لهما رجز وقصيد . فالرجز اضافة الى كونه بحراً من بحور  
الشعر مؤلفاً من ست تفعيلات - فإنه نوع من الشعر يكون الشطر فيه  
هو الوحدة الرئيسية الاساسية في القصيدة . ويقوم هذا الشطر مقام  
البيت فيسمى ( بيتاً ) ( ١ ) وهذا ما يعرف في علم العروض بـ ( الشطر )  
أو ( المشطور ) .

أما القصيد - ويسميه بعضهم القريض - فهو كل شعر غير  
الرجز يكون البيت فيه مؤلفاً من شطرين في الاكثر وهما  
الصدر والعجز .

والى هذا التقسيم أشار الأغلب العجلي - قبل ثلاثة عشر قرناً  
تقريباً وقبل أن يعرف الخليل ويشتهر - بقوله عندما سئل عما أحدث  
من الشعر :

أرجزاً تريد أم قصيدا      لقد سألت هينا موجودا

١ - راجع العمدة ١/١٨٠ حيث يقول ابن رشيق ( وكل مشطوراً أو منهوك

فهو بيت . . . )



فأنه عندما طلب إليه إظهار ما عنده من الشعر ، استفسر منهم أي نوعي الشعر يقصدون ؟ الرجز أم القصيد ، فإنه كان شاعراً في كليهما ومقتدراً عليهما ومنشئاً فيهما ..

وتعريف القريض عند النحاس يدل على هذا التقسيم ، فقد قال : -

( القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز ) (١)  
والذي يفهم من كلام النحاس هذا هو أن الشعر إما أن يكون رجزاً أو غير رجز ، وغير الرجز سماه قريضاً وهو عنده [ مشتق من « قرض الشيء » أي قطعة ، فكأنه قطع جنساً وقال أبو اسحاق : وهو مشتق من القرض أي القطع والتفرقة بين الأشياء ، فكأنه ترك الرجز وقطعه من شعره ] (٢) .

وكلام أبي اسحاق يدل على أن القريض في الشعر مشتق من قطع الرجز وتركه ، فالذي يأتي بنوع من الشعر غير الرجز يسمى « مقرضاً » وما أتى به « قريضاً » .

والجاحظ كان يرى مثل هذا التقسيم ويعد الشاعر أما مختصاً بالرجز أو بالقريض وقليل من يجمع بين هذين النوعين ، كما أن منهم من يجد صعوبة في مجاوزة القصيدة الى الرجز أو بالعكس ، يقول : ( وفي الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز ، ومنهم من لا يستطيع

١ - العمدة - ابن رشيق ١٨٤/١ ط ٣ .

٢ - المصدر السابق ١٨٤/١ .

بجائزة الرجز الى القصيد ، ومنهم من يجمعهما : كجرير وعمر بن لجا  
وابي النجم وحميد الأرقط والعماني . وليس الفرزدق في طوالة بأشعر  
منه في قصاره ( ١ )

فهو بهذا يقسم الشعر الى نوعين : رجز وقصيد كما يقسم الشعراء  
الى راجز ومقصد ( ٢ ) وهذا هو الرأي الصحيح الموافق للحال والمطابق  
للواقع ، وجميع الأدلة والبراهين تؤيد ذلك كما رأينا .

وحتى أبو زيد الأنصاري عندما افرد في كتابه « النوادر » باباً  
للرجز وباباً للشعر لم يكن يرمي الى هذه التفرقة المعروفة والمقصودة بين  
الشعر والرجز . انما كان قصده أن يفرق بين القصيد والرجز ، وقد  
أوضح ذلك في بداية كلامه حينما قال : ( ما كان فيه من شعر  
القصيد . . . الخ ) .

فلو كان قصده التفرقة بين الشعر والرجز لما قال : ( شعر القصيد )  
وانما كان يكفيه أن يقول : ( من شعر ) فقط . ولكنه ذهب الى أن  
الشعر يشمل الرجز والقصيد فخصَّ القصيد من بين نوعي الشعر . وكان  
هدفه في هذا التقسيم أن يبين أن الرجز من اختصاص العرب الخالص  
الذين لم تفسد لغتهم بعد ، فكانت الفصاحة شأنهم والملكة اللغوية والسليقة  
العربية صفتهم . ولهذا فإنه أخذ الرجز من منبعه الاصيل ومصدره  
الرئيسي ، وهم العرب أما القصيد فقد استقاه من مصدر موثوق به هو  
المفضل الضبي ، وهذا معنى كلامه الذي بدأ فيه كتابه بقوله : ( قال أبو

١ — البيان والتبيين — الجاحظ ١/٢١٥ .

٢ — العمدة — ابن رشيق ١/١٨٦ ط ٣ .

حاتم ، قال لي أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من  
المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي  
من العرب ، قال وأخبرني أبو العباس عن التوزي أن أبا زيد قال : ما  
كان فيه من رجز فهو سماعي من المفضل ، وما كان فيه من قصيد أو  
لغات فهو سماعي من العرب ( ١ ) .

وهنا لا بد من ترجيح إحدى الروايتين وبيان الوجه الصحيح فيهما  
وأيتهما أصح من الأخرى .

وأنا أرجح الرواية الأولى وهي رواية أبي حاتم ، وأراها أصح  
وأصدق من رواية أبي العباس . ولي على هذا القول دليلان : أحدهما  
نقلي والآخر عقلي .

أما الدليل النقلي فإن أبا زيد ذكر في صفحة ( ٥٧ ) من  
كتابه الأنف الذكر وتحت عنوات ( باب الرجز ) قوله : ( سماع أبي  
زيد من العرب . . . ) ( ٢ ) ،

وهذه حجة لا ترد ، وهي تثبت أن اللغات وأبواب الرجز سماعي  
من العرب كما أنها تتفق مع قول أبي حاتم وروايته .

فهي - إذن - الرواية الصحيحة ، لأنه لو كانت رواية أبي العباس  
هي الصحيحة لكان أبو زيد قد ذكر هذا الكلام تحت عنوان

---

١ - النوادر في اللغات - أبو زيد الأنصاري / ١ .

٢ - المصدر السابق / ٥٧ .



(باب شعر) أما أنه قد ذكره تحت (باب رجز) فلا يبقى هناك أي شك  
أو ريب في أن اللغات والرجز سماعية من العرب .

وأما الدليل العقلي فهو أن الرجز نشأ أول ما نشأ بين ظهرا  
العرب الفصحاء وترعرع وشب في أحضانهم ، ولهذا لا نعجب اذا وجدنا  
غرابة في الفاظه وحوشية في كلامه لأنه لم يخضع للعجمة التي كانت  
حصيلة المدنية والاختلاط بالأقوام الأخرى . كما أن الحضارة كانت بعيدة  
عنه لهذا لم تكن الفاظه رقيقة ولا كلماته لينة عذبة . انما جاءت ولها  
دوي وفخامة وغرابة .

أما القصيد فيكثر في كل مكان ، عند العرب وعند الرواة وعند  
الذين استعربوا . وهذا يفسر لنا سبب مجيء القصيد في العصر العباسي  
وما بعده سهل الألفاظ لين العبارات عذبا جميلا ، تظهر عليه السلاسة  
والسهولة ، لأن تلك الحضارة أثرت فيه تأثيرا كبيرا ، كما ان الأقوام  
التي دخلت في الدين الاسلامي والتي تعلمت العربية كان لها أثر واضح  
في تعريب كثير من الكلمات الاعجمية ، ومن هنا بدأت العجمة تسرى  
بين صفوف العرب وراح اللحن يلعب بالسنة القوم .

وبهذين الدليلين أستطيع ان ادعم قولي في صحة رواية أبي حاتم  
ورجاحتها على رواية أبي العباس .

## الفصل الثالث

### وزن الرجز

يتألف وزن الرجز من حركات رتيبة متعاقبة يتخللها سكون . وهذه  
ميزة جعلت بحر الرجز خفيفاً رشيقاً يسهل النظم فيه . كما جعلته سلساً  
في الانشاد يتدفق على اللسان كما يتدفق الماء نحو المنحدر .

ومن هنا رأينا ان جوازات بحر الرجز كثيرة ، نظراً لما فيه من  
عذوبة ورقة وبساطة ، فجاءت اوزانه متعددة ومتفقة مع كل الاحوال  
والاغراض ، فهو بحر طويل لمن اراده سالماً كاملاً ، وهو مجزوء لمن اراد  
استعماله في غرض ملائم للجزء ، وهو مشطور متوسط الطول لمن اراد ،  
كذلك . واخيراً يمكن استعماله كأقصر بحر من بحور الشعر وذلك حينما

يستعمل منهوكاً . كما أصبح نوع منه يتألف من تفعيلة واحدة ، وهو الذي سموه بـ ( المقطع ) والذي نظم فيه يحيى بن علي المنجم وسلم الخاسر (١) .

والذي لوحظ بعد هذا ان بحر الرجز أصبح يحتوي على اشكال عديدة ، وصور متنوعة ، بالنسبة لطول البيت وقصره ، وبهذا أصبح يلائم كل الالهواء ، ويناسب جميع الاغراض تقريباً .

وتنوع وزن الرجز هذا هو احد ثمار التطور والتجديد الذي اصاب الرجز فيما بعد ، والذي شمل جوانب عديدة منه ، ( ولا شك في ان هذا التجديد في القالب العروضي انما يرجع في الغالب الى تطور الحياة النفسية عند العرب في ظل الاسلام من حيث انها ظفرت باحاسيس

---

١ - روى ابن رشيق بعضاً من هاتين القصيدتين في عمدته ١ / ١٨٤ فمن

ارجوزة علي بن يحيى أو يحيى بن علي المنجم قوله :-

طيف ألم بذى سلم بعد العتم بطوى الأكم

جاد بغم وملتسزم فيه هضم اذا تضم

ويقال ان اول من ابتدع ذلك سلم الخاسر ، يقول في قصيدة مدح بها

موسى الهادي :

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر ألقى المرر

كس اعتمر ثم ايتسر وكم قدر ثم غفسر

عدل السير باقي الأثر خير وشر نفع وضر

خير البشر فرع مضر بدر بدر والمفتخر

لمن غير



ومشاعر جديدة لم تظفر بها من قبل ، ذلك ان ظواهر الموهو والمجون ،  
والشراب والغناء ، والفقر والحرمات ، والصراع حول المبادئ السياسية  
ونحوها مما اوجدته الحياة السياسية ، قد خلقت ظواهر نفسية : كالحب  
العميق ، والشوق المضي ، والصبابة القائلة ، والطرب والحزن ، والفناء  
في المبدأ والعقيدة . هذه الظواهر النفسية أو الانفعالات الجديدة ، لم  
تستطع اوزان الشعر القديمة أن تنهض باعباء التعبير والابانة عنها جميعاً  
ولهذا لم يكن للشعراء بد من استعمال الأوزان النادرة والأوزان القصيرة  
التي اشرنا اليها ليسدوا هذا النقص ويوفوا بهذه الحاجة ( ١ ) .

على ان الذي حجب الرجز الى نفوس الناس وجعلهم يستعملونه بهذه  
الكثرة هو تصرُّع شطري الرجز اضافة الى خفة البحر وعذوبته . وميزة  
التصرُّع هذه جعلت الرجز عسير المطلب صعب المتناول ، لا يجيد فيه  
الا من كانت لديه ملكة أدبية وثروة لغوية وقد اشاد رؤبة بميزة  
التصرُّع هذه ، وجعل القوافي الركن الاساس في الرجز . اذ قال : ( ٢ )

#### وأمهات الرجز القوافي

وبسبب هذا التصرُّع رأى قوم ان يسموا شطر الرجز المصروع بيتاً  
واعتمدوا في ذلك على علم العروض ، حيث ان هذا النوع يطلق عليه  
في علم العروض ( المشطور ) وقد عد هذا الشطر بيتاً قائماً بذاته ،  
فقول الشاعر : -

---

١ - نقائص جرير والفرزدق - الدكتور غناوي ص ٣٠١ .

٢ - مجموع اشعار العرب - الورد ص ٩٩ وشرح ديوان رؤبة - مخطوط  
ص / ١٤٩ .

تباً له من حاذق بمذاق أصفر ذي وجهين كالمنافق  
يسدو بوصفين لعين الوامق زينة معشوق ولون عاشق  
وحبه عند ذوي الخلائق يدعو الى ارتكاب سخط الخالق  
لولاه لم تقطع يمين سارق ولا بدت مظلمة من فاسق  
ولا اشماز باخل من طارق ولا شكا الممطول مطل العائق

وامثاله من الرجز يدخل تحت اطار هذا النوع من الشعر وهو -  
( المشطور ) الذي يعد فيه الشطر بيتاً مستقلاً له ما للابيات الأخرى  
ذات الشطرين من مقومات .

فالتصريح - اذن - جعل القافية موجودة في كل اشطر القصيدة  
وهذا ما يجعل موسيقى الرجز ونغمته أشد عذوبة وأكثر تأثيراً لأن  
النغمة الرتيبة أشد وقعاً في السمع من النغمة التي لا يتحكم فيها حسن  
الترتيب ، والنفس اعظم تقبلاً لتلك النغمة .

وقد تمثلت النغمة المنظمة الرتيبة في الرجز من ناحيتين : الوزن  
والقافية . فالوزن تتعاقب فيه الحركة مع السكون ، والقافية تأتي مع  
نهاية كل شطر ، وهذا ما يجعل من الارجوزة انغاما كثيرة موحدة قصيرة  
يسهل على السامع متابعتها . وتمكن المنشد من ضبطها .

وهذه الميزات هيأت الرجز لأن يكون بحراً ملائماً في ايقاعاته  
وحركاته لسير الابل وحركات العمال في اثناء عملهم والمحاربين وقت  
قتالهم ، ولأجل هذه الصفات استأثر الرجز دون غيره من البحور ، بهذه  
المجالات ، فراح الحادي يحدو به ابله ، وانطلق المانح يروح به عن  
نفسه ، وأنشده المحارب ليجدد قوته ونشاطه ويبعث في نفسه النخوة  
والحماس ويرهب خصمه واستعان به العامل على المشقة والعناء .

ومن هنا نستطيع أن نفهم سبب مجيء الرجز بهذه الكثرة الكثيرة بحيث لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الأدب واللغة . كما نستطيع أن نفهم لماذا كان اهتمام الناس بهذا البحر يفوق اهتمامهم بغيره من البحور ، ولعلنا لانجد بحراً تعددت صورته وأشكاله كما تعدد الرجز (١) .

ثم قام الرجز بمهمة تغيير قافية الأراجيز واختلافها بين كل شطرين ، حتى أصبحت الأرجوزة تحتوي على قوافٍ متعددة ، وقد شاع هذا التغيير في التعليمات التي حفظت لنا أكثر علوم العرب وفنونهم .

والذي ساعد على إمكان هذا التغيير امران : الأول يتمثل في بساطة وزن الرجز وخفته ، والثاني يبرز في سهولة قافيته واختلافها بين كل شطرين ، حتى سمي هذا النوع بـ ( المزدوج ) ، لأن القافية ازدوجت فيه ، أي تساوت في كل زوج من الاشطر ، وهذا يساعد كثيراً على نظم أي علم من العلوم ، لأن الناظم لا يجد صعوبة حين النظم في ايجاد كلمات متفقة في حرفها الاخير لتكون قافية ، وانما يحتاج الى كلمتين متفقتين فقط ، وهذا أمر بسيط لا يكلف مشقة ولا جهداً ، حتى اننا نجد بعض المزدوجات - كالفية ابن مالك في النحو وغيرها - قد بلغت ألف بيت ولم تضق القافية ذرعاً بذلك .

ولهذه السهولة راح الناس ينظمون كل ما صعب حفظه على الطلاب وكل ما أرادوا له الحفظ والسيرورة ، فجاءتنا علوم كثيرة بهذا النوع من الشعر ، نظموا فيه علوم اللغة والفقه وعلم التجويد والعروض والتاريخ والطب ونحو ذلك .

---

١ - في النقد الأدبي - الدكتور ضيف ص ١٠٠ دار المعارف .



وهكذا كانت فائدة هذا التغيير كبيرة من حيث سهولة اداء المعاني المختلفة لاسيما ما استجد منها . حيث أن هذا النوع لم يقتصر على صوغ العلوم والفنون بقالبه ، وانما تعدى ذلك الى تصوير المعاني النفسية وابرز احاسيسها وخلقاتها ، فجاءت مزدوجة ( ذات الامثال ) لأبي العتاهية نموذجاً حياً لذلك ، فهي ارجوزة من بدائع ابي العتاهية ، يقال أن له فيها أربعة آلاف مثل . (١) ومنها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت	ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا	من اتقى الله رجا وخافا
لكل ما يؤذي - وان قل - ألم	ما اطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله	وخير ذخر المرء حسن فعله
أن الفساد ضده الصلاح	ورب جسد جره المزاح
أن الشباب والفراغ والجده	مفسدة للمرء أي مفسده
يا للشباب المرح التصابي	روائح الجنة في الشباب
ما زالت الدنيا لنا دار أذى	بمزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها أزواج	لذا تتاج ولذا نتاج

ويقال أنه جرى تذاكر شعر ابي العتاهية بحضرة الجاحظ ، الى أن جرى ذكر مزدوجته هذه فأخذ بعض من حضر ينشدها حتى أتى على قوله :-

يا للشباب المرح التصابي      روائح الجنة في الشباب  
فقال الجاحظ للمنشد : قف ! ثم قال : أنظروا الى قوله :-

---

١ - الاغانى ٣٦/٤ وزارة الثقافة .

## روائع الجنة في الشباب

فان له معنى كعمى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الا القلوب ،  
وتعجز عن ترجمته الالسنة الا بعد التطويل وادامة الفكر ، وخير المعاني  
ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان الى وصفه . (١)

وهذه الظاهرة التي برزت في الرجز خاصة ، انما كانت نتيجة  
طبيعية لتطور الافكار وظهور معان واغراض جديدة استدعت تجديداً في  
نظام القافية ، وتطويراً في القالب العروضي فكان الرجز بأوزانه المتنوعة  
وباختلاف نظام قافيته خير ما يلائم ذلك التطور الذي لم يدع ناحية من  
نواحي الحياة الا شملها .

على أن المزدوج كان أكثر ملائمة من غيره لنظم متون كثير من  
العلوم ، فلجأ اليه الناظمون ليعينهم على تسهيل حفظ العلوم التي يريدون  
تحفيظها ورسوخها في اذهان الطالبين ، وبقاها تروى وتتناقل على شفاه  
المنشدين على مر الايام والسنين .

ومن المحتمل أن يكون تنوع القافية في الرجز من الامور التي  
اوحى الى العرب - وخاصة الاندلسيين - بالخروج على نظام القصيدة  
في الموشح ، كما سترى بيان ذلك في فصل تطور الرجز .

وبحر الرجز كباقي بحور الشعر الاخرى يعقربه مايعتريها من زحاف  
وعلة ، ويدخله الجزء والشطر والنهك . وفيما يلي بيان أنواع هذا البحر :  
للرجز خمس اعاريض وستة اضرب وهي :

١ - العروض الاولى تامة « أي صحيحة » وقد بدخلها الخن (٢) أو الطي

١ - الاغاني ٤ / ٣٦ وزارة الثقافة .

٢ - الخن : حذف الثاني الساكن . والطي : حذف الرابع الساكن .

أو كلاهما ولها ضربان :

أ — ضرب صحيح مثل :

دار اسلمى إذ سليمى جارة      قفراً ترى آياتها مثل الزبير  
تقطيعه : مستفعان مستفعان مستفعان      مستفعان مستفعان مستفعان

ب — ضرب مقطوع مثل :

القلب منها مستريح سالم      والقلب مني جاهد مجهود  
تقطيعه : مستفعان مستفعان مستفعان      مستفعان مستفعان مستفعان

٢ — العروض الثانية مجزوءة صحيحة ولها ضرب واحد صحيح مثلها .  
والجزء : هو حذف تفعيلة واحدة من كل شطر فيبقى البيت مكوناً  
من أربع تفعيلات ومثاله :

حسبي بعلمي أن نفع      ما الذل الا في الطمع  
تقطيعه : مستفعان مستفعان      مستفعان مستفعان

٣ — العروض الثالثة مشطورة صحيحة وهي الضرب في الوقت ذاته ،  
والشطر : حذف نصف البيت وإبقاء النصف الآخر ، كقول الشاعر :

الحمد لله الوهوب المجزل  
تقطيعه : مستفعان مستفعان مستفعان

٤ — العروض الرابعة : مشطورة مقطوعة وهي الضرب في الوقت ذاته ، نحو :

يا ماخض الماء عدمت الزبدا  
تقطيعه : مستفعان مستفعان مستفعان

٥ — العروض الخامسة : منهوكة صحيحة وهي الضرب أيضاً ، والنهك :  
ذهاب ثلثي البيت وإبقاء ثلثه ، مثل :

يا ليتني فيها جذع



تقطيعه : مستفعلن مستفعلن

وهذا النوع من بحر الرجز نادر ، والاندلس منه أن يأتي البيت على تفعيلة واحدة كما رأيت في أرجوزة علي بن يحيى المنجم في أرجوزته إذ يقول :

طيف ألم

بذي سلم

ومثل هذا أرجوزة سلم الخاسر أيضاً وقد ذكرنا قبل قليل .  
والجوهري يسمي هذا النوع المقطع . (١)

على أن هناك خلافاً في تعيين ضرب المشطور والمنهوك . والاقوال في ذلك كثيرة متعددة ، وقد رأيت الاعراض عن ذكرها أولى من سردها ، لأنها آراء وخلافات لا طائل نحتها . فالمهم أن يكون البيت محافظاً على مقوماته . ولا يهم بعد ذلك حذف الأول أو الآخر .

وإن كان لابد من ترجيح رأي من تلك الآراء فإني أرجح ما ذهب إليه الكثير من أن العروض هي الضرب . لأن من مستلزمات البيب الشعري احتواءه على عروض وضرب ، وإذا كان الأمر كذلك فلتكن العروض هي الضرب ، وحينئذ يكون البيت محتوياً على كليهما .

ومن يريد الاطلاع على تلك الآراء فليراجع كتاب ( الارشاد الشافي على متن الكافي ) (٢) فإن فيه ذكراً مستفيضاً لكل الآراء التي قبلت حول هذه المسألة .

أما جوازات بحر الرجز فهي كثيرة ، ولا يجاربه بحر من بحور

١ — العمدة — ابن رشيق ١٨٥/١ ط ٣ السعادة .

٢ — تأليف محمد الدمهورى ص ٨٤ ط ٢ الحلبي .

الشعر الاخرى في هذا المجال ، ويمكن أن يعد اوسع البحور لكثرة هذه الجوازات ، لهذا فقد سموه ( حمار الشعر أو حمار الشعراء ) وهم يقصدون بذلك سهولة النظم فيه . وهذه الجوازات هي :-  
١ - تحول ( مستعملن ) الى ( مفعولن ) في التفعيلة الاخيرة ، كما في البيت الأني :

من ذا يداوي القلب من داء الهوى

اذ لا دواء للهوى موجود

٢ - تحول ( مستعملن ) الى ( مفاعلن ) نحو :

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسدة

٣ - تحول ( مستعملن ) الى ( فعولن ) مثل :

حسبك مما تتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يدوت

٤ - تحول ( مستعملن ) الى ( مفاعلن ) كقول الشاعر :

تبا له من خادع بماذق اصفر ذي وجهين كالمنساق

٥ - تحول ( مستعملين ) الى ( فعلتن ) نحو :

ولحقتنا بالسيف المسلمة يفلقن كل ساعد وجمجمة

وهذه التفعيلة تجعل بحر الرجز تلتقي فيه اربعة احرف متحركة .

## الفصل الرابع

### الرجز ونشأة الشعر

لعل مسألة بداية الشعر وأوليته هما أكثر المسائل التي تشعبت فيها الآراء ، وما ذلك إلا لانعدام الدليل القاطع والنص الثابت الذي يمكن الاعتماد عليه في هذه القضية ، لهذا لم يكن غريباً علينا ما اخترعه الرواة وغيرهم من الاساطير والخرافات ، وما نسبوه من شعر الى قوم لم يكونوا قائلين وربما لم يحبوا على هذه الأرض .

فنحن نعلم ان الشعر العربي الذي وصل الينا كان على درجة عالية من الرقي والتقدم والنضج ، مما يجعلنا نعتقد يقيناً أنه مسبق بما هو ابسط منه وأقل نضجاً ، وهكذا حتى نصل الى بدايته ، ولما كانت هذه الفترة التي سبقت نضج الشعر واكتماله مفقودة ، أو قل ان معلوماتنا حولها مرتبكة مضطربة ، صعب علينا تحديد أولية الشعر ومعرفة أول قائل له .



أما ما ذكره من شعر ونسبه إلى آدم وإلى الملائكة وإبليس وإلى قوم بادوا ، فهذا من قبيل الأساطير والخرافات ، ومن نسج خيال القصاصين والرواة .

وقديماً فطن ابن سلام إلى أمثال هذا الشعر المنحول ونبه عليه ، ثم رد رداً جميلاً على هذه الحكايات ، واستشهد بآيات قرآنية تنفي كل هذه الأساطير ، وذكر بعد ذلك مقطعات رجزية على أساس أنها من قديم الشعر . (١)

وإذا نفينا هذه الأوليات التي نسبت إلى آدم وغيره فكيف نستطيع أن نحدد بداية الشعر العربي وأوليته ؟

والاجابة عن هذا السؤال ليست بالأمر اليسير ، فنحن لا نستطيع أن نقول من هو أول من قال الشعر إطلاقاً ، وأستطيع في هذا الصدد أن أتابع عمر بن شبة في رأيه بأن الشعر والشعراء أولاً لا يوقف عليه ولا يمكن معرفته . (٢) فإذا اجهدنا أنفسنا بالبحث فيمكننا إعطاء صورة عامة باهتة وخطوطاً ضعيفة عن نشأة الشعر وبدايته واعتمادنا في ذلك على العقل وما يوجبه ويقتضيه منطق التطور .

أما ما ذهب إليه الجاحظ من تحديد ظهور الشعر بمئتي سنة قبل الإسلام (٣) فيقصد به ذلك الشعر الناضج الكامل المطول ، الذي عملت فيه يد التنقيح وأثرت فيه روح الحضارة والتقدم . فإن ما ادعاه العلم الحديث من تطور الإنسان عن صورة أبط منه أو قل أشبه شيء بالحيوان

١ — طبقات ابن سلام ص ٢٣ دار المعارف بمصر .

٢ — المزمع — السيوطي ٤٧٧/٢ ط ٤ الحلبي .

٣ — الحيوان — الجاحظ ٧٤/١ هارون — الحلبي .

يجعلنا نعتقد أن كل المخلوقات قد تطورت عن صور كانت أبسط منها  
تركيباً ، حتى تكيفت للبيئة واصبحت بشكلها المعتاد ، وهذا ما سماه  
العلماء المحدثون بنظرية ( التطور ) وهي النظرية التي نسبت الى ( دارون ) .  
وإذا كان هذا حقاً ، فلا ريب أن حياة الانسان الاول كانت بدائية  
بسيطة وكل ما يتصل بحياته هذه من لغة وافكار واعمال كان بدائياً ايضاً  
كما ان متطلبات ذلك الانسان كانت قليلة محدودة ، فنشأت لغته تسد  
حاجة تلك المتطلبات من وضع مسميات لها وايجاد كلمات يمكن التخاطب  
بها مع من وجد معه من أبناء جنسه .

وهكذا تطورت لغة الانسان مع ازدياد حاجته وتطورها ، حتى  
بلغت تلك الصورة الكاملة المتناسكة عندما بلغت حياته هو مرحلة عليا  
من النمو والتطور . وإذا كانت سنة الحياة تدعو الى ان تكون نشأة  
الكائنات الحية على هذه الصورة من البساطة والسذاجة فمن البديهي ان  
تكون نشأة الشعر بهذه الصورة ايضاً ، لان الشعر تابع للغة الانسان  
وحاجته وهو الوسيلة الجميلة للتعبير عن عواطفه واغراضه ، فلا يستطيع  
احد أن ينكر هذا التطور والتدرج الذي حصل للشعر كما حصل لغيره  
من الكائنات الحية ولا شك ان الشعر - كاللغة - كائن حي يخضع  
لنواميس التطور والرقى .

وإذا أردنا أن نتلمس صورة قريبة من الواقع لنشوء الشعر العربي  
فعلينا ان نبحث عن حاجات الانسان البدائية التي استطاع ان يعبر عنها  
بالشعر ، ولا أعني بذلك الرجوع الى الانسان الأول وتقصي متطلبات  
حياته لأن لغة ذلك الانسان كانت تختلف تماماً عن لغتنا ، انما أعني  
أولئك القوم الذين كانت لغتهم هي لغتنا ، والذين وصل اليها شعرهم

باللغة التي نعرفها ، وأقصد بهم أوائلك العرب الذين سكنوا الجزيرة التي  
سميت بأسمهم وكانت حياتهم تشبه - ولو من بعيد - حياتنا نحن  
احفادهم .

ان أول ما يشغل الانسان في يومه وليله حصوله على ما يسد به  
حاجتي الطعام والشراب ، واذا استطاع أن يصبر على الجوع قليلاً فإن  
صبره على العطش لا يطول فيدفعه ذلك الى البحث عما يروى به غلته ويبل  
به كبده ، واذا علمنا أن صحراء العرب كانت أرضاً قاحلة جرداء بندر  
فيها الماء تصورنا مدى الصعوبة التي يلاقها العربي في سبيل الوصول الى  
الماء ، والوسيلة المفيدة التي كان يتبعها للحصول عليه هي أن يحفر في  
الارض بئراً قد يمتد غورها امتاراً عديدة حتى ينبع منها الماء فيتهلل  
وجهه لمرأة وتنسبط له اساريره بعد طول كد وعناء . فيقف على تلك  
البئر يستقي منها ماء عذباً ، يستقي منها ويسقي معه أهله وحيواناته ،  
ولم تكن لدى ذلك العربي آلات حفر حديثة كما عندنا اليوم ، وما  
كان لديه ما يستقي به من تلك البئر الا الدلو وبكرته ينزله الى البئر  
فارغاً ويخرجه بجهد وصعوبة . لأن ، فكان ينشد مع حفره لتلك البئر  
وينشد عند استقائه منها رجزاً بسيطاً قصيراً يمدح به نفسه واستطاعته على  
العمل ويمدح به بئر تلك العزبة وما بذله في حفرها من عناء ومشقة  
وما فيها من ماء عذب رقيق ، وهو بنشيد هذا يبذل عن نفسه متاعها  
وينسيها آلامها ويجدد فيها النشاط والقوة لمتابعة العمل ، وباستطاعتنا أن  
نقول ان هذه من أقدم الظواهر التي استعمل العربي الشعر فيها حيث  
( ورد في سيرة القديس نيلوس أن بدو شبه جزيرة سيناء كانوا يغنون في  
المئة الرابعة المسيحية أغنية وهم يستقون من البئر ، وتشبه هذه الأغنية



نشيد البئر عند الاسرائيليين في الاصحاح ٢١ رقم ١٧ من سفر العدد (١)  
ولدينا أمثلة عديدة لهذا النوع من الشعر كان العرب يستعملونه في اثناء  
حفرهم للآبار واستقائهم منها . فهذا أحد رجاز الحاج بقول وهو يستقي  
من بئر ( العجول ) التي حفرها قصي بن كلاب : - (٢)

نروي على العجول ثم نتلق قبل صدور الحاج من كل افق  
إن قصيا قد وفي وقد صدق بالشبع للناس وري مغتبق (٣)

وهذا راجز يتغنى بمدح نفسه وبشيد بمجده وطلاقة لسانه ، قال  
وهو بمتح بدلوه : (٤)

علقت يا حارث عند الورد بجابيه لارفل التردى  
ولاعبي بابتناء المجد (٥)

وربما جعلوا المتح وسيلة للتعبير عما في نفوسهم ، يروي أن أم  
أوس أرادت أن تتزوج رجلاً شاعراً يسمى أوساً ، وذلك بعد وفاة  
زوجها ، فلما رآه بنو ضرار بفناء أمهم المخطبة ، تناول شماغ حبل الدلو  
ثم متح وهو يقول :

- 
- ١ - تاريخ الأدب العربي - بروكلمان ٤٥/١ تعريب النجار .
  - ٢ - فنوح البلدان - البلاذري ٦٤/١ .
  - ٣ - الغبوق : ما يشرب في العشي ، وهو خلاف الصبوح .
  - ٤ - البيان والتبيين - الجاحظ ٤/١ هارون والحيوان ٤١٩/٣ مع شيء من الاختلاف .
  - ٥ - الجابيه : الذي يطلع فجأة ، والرفل : الذي يجسر ذيل ثوبه ، والتردي : لبس الرداء .

أمُّ أُوَيْسٍ نَكَحَتْ أُوَيْسًا  
وجاء مزرد فتناول الحبل فقال :

أعجبها حدارةٌ وكيسا (١)  
وجاء جزء فتناول الحبل فقال :

أصدقَ منها لجةٌ وتيسا (٢)

فلما سمع أوسٌ رجزَ الصبيان بها هرب وتركها (٣) .

وهكذا عبر الرجز عما كان يجيش في صدورهم ، ثم رأوا أن  
المنح خير ما يلائم الرجز فقرنوا بينهما .

وإذ اكتفوا بما نبع من البئر من ماء راحوا يبحثون عن طعام  
يقتانون به ، وكانت الحيوانات أهم موارد الطعام في تلك الجزيرة ، فكانوا  
يلجأون إلى التربص لها واصطيادها بما لديهم من آلات صيد : كنصب  
فخ أو رمي بسهم وقد وفي الرجز بحاجتهم في هذا المجال ، فكان خير  
ما يعبرون به عن حالاتهم النفسية التي تصاحب عملية الصيد ، وكلنا يعلم  
مانوعدهم به طريقة تلك القبرة التي أحتالت عليه والنقطت الحب بعد أن  
رفع الفخ فقال (٤) :

---

١ — الحدارة : الامتلاء واجتماع الخاق في سمن .

٢ — يقال : أصدق المرأة جعل لها صداقاً ، واللجة : الشاة القليلة اللبن .

٣ — البيان والتبيين — الجاحظ ٤/٣٤ هارون .

٤ — ديوان طرفة ص ٦٣ تحقيق وشرح كرم البستاني ص ١٩٣ تحقيق الدكتور

علي الجندي واللسان مادة ( قبر ) حيث ورد فيه ان ابن بري ينسبها للكليب

بن ربيعة التغلبي وليس لطرفه .

بالك من قبرة بمغمري  
خلاك الجو فبيضي وأصفري  
ونقرتي ماشئت ان تنقري  
قد رحل الصيادُ عنك فابشري  
قد رُفِعَ الفخُّ فماذا تحذري  
لأبد يوماً ان تُصادي فأصبري

وقد كان الصيادون يختارون الاماكن الملائمة ، كان يختبأوا قرب  
موارد المياه ، أو عند ممر القطيع ، كما كانوا يتخيرون الاوقات المناسبة  
التي يعثرون خلالها على الصيد كوقت الفجر . فهذا صائد حمل قوسه  
وخرج قبل بزوغ الشمس مترنماً :

قد أغدري قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس  
بأحجن الخضم كمي النفس (١)

هكذا كانوا يترنمدن عند قيامهم بالصيد بما يلائم المشاعر التي  
تغمرهم حينما يرون السهم قد نفذ في جوف الرمية ، وليس أوفق لتلك  
الحالة النفسية السريعة من أبيات رجز قليلة يرتجلها الصائد اما مفتخراً  
بقدرته على الاصطياد واما مادحاً كبر صيده وضحامته .

وقد تطور هذا اللون من الشعر ونما فيما بعد فأصبح باباً كبيراً  
من ابواب الأدب العربي سمي به ( الطرديات ) .

وحينما يعجز الصيد القليل عن الوفاء بحاجتهم ، أو لم يمكنهم  
الحيوان من اصطياده ثم لم يجدوا ما يملأون به بطونهم ، دفعهم ذلك الى

---

١ — النوادر — الانصاري / ٥١ ، الاحجن : الاعوج ، الخطم ، وتر القوس ،

كمي النفس : أي سائرها .



الغزو للحصول على ما يطلبون ، ومن المحتم أن يدافع المهاجمون عن  
 اموالهم فتبدأ المعارك وتلتهب نار الحرب - وقد تكون هناك اسباب أخرى  
 لنشوتها - وليس هناك شيء يثير في النفس شتى الاحاسيس ويبعث فيها  
 مختلف الانفعالات كالحرب ، فكان الفارس منهم يخوض غمارها وهو  
 يشدو برجز يفصح به عما يكنه قلبه ويحتاج به صدره ، مادحاً نفسه  
 بالشجاعة والجرأة والافدام والصبر والثبات تحت وطأة السيوف ولمسح  
 الحراب ، مشيداً بماثرة ، معدداً لمواقفه البطولية التي شهدت له بالبسالة  
 والتي وضعت في مصاف الابطال العظام الذين يشار اليهم بالبنان ، فقد  
 نادى قيس بن عاصم عندما حملوا على اعدائهم في يوم الكلاب الثاني (١) :  
 ( بالتميم لانقتلوا الا فارساً ، فان الرجالة لكم ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصباً هو هواربا      أقسمتُ لا أظعنُ الا راكبا  
 لاني وجدتُ الطعنَ فيهم صائبا )

وقال رجل من بني أسد في يوم شعب جبلة (٢)

زعمتَ أن العيرَ لانقتلُ      بلى اذا تقعقعَ الرحائلُ  
 واختلفَ الهنديُّ والذوابلُ      وقالتِ الابطالُ من ينازلُ  
 بلى وفيها حسبٌ ونائلُ

وكان العربي يبحث عن مواطن الشجاعة فيرتادها ، ليضيف مفخرة  
 الى مفخرة وليسجل نصراً جديداً في سجل انتصاراته ( ولاشك أن  
 الحرب مواطن الشجاعة الحققة ، ومحكمها الصادق ، فكانت الحرب مواطن

١ - العقد الفريد - ابن عبد ربه ٢٢٧/٥ .

٢ - الاغانى ١١/١٤١ وزارة الثقافة .

الشعر لدى العربي ، لا يمكن أن تبدو نذر الحرب ، أو أن يشترك  
العربي في صراع حقير أو عظيم ويخلص العربي منه دون شعر ، فالتغني  
بالشعر في الحرب - اذن - يكاد يكون شعيرة من شعائر العربي ، أو  
هو القربان الذي يقدمه العربي لنيرانها ليفوز بالنصر ، وقد قدم العربي  
هذا القربان منذ اقدم العصور ، روى المؤرخ ( سوزمن ) أن العرب  
عندما انتصروا على الرمان في القرن الرابع الميلادي احتفلوا بهذا الانتصار ،  
وملأوا به سماء بواديهم شعراً وغناءً (١) .

والذي عرف أول ما عرف أن شعر هذه الحروب كان رجزاً ، لأنه أنسب  
من غيره لحوض تلك الميادين ، وذلك لسهولة نظمه ومطاوعته للمبديهة ثم  
لأنسجامه مع تلك المواقف التي تتميز بالحركة والاضطراب والجلبة ، حيث  
أشبهها في سرعة انحداره وجريه على السنة منشديه .

ولم يقتصر انشاد الرجز على ساعة الحرب وحدها ، انما يبرز دوره  
قبل هذه اللحظات في استنفار القبيلة واستدعائها الى القتال ثم تحريض  
المتقاتلين وبعث النخوة فيهم ، وكانت عادة العرب في الحرب أن يخرج  
البطل من الصفوف يدعو من يبارزه وهو يرتجز ، فيخرج له الخصم  
مرتجزاً أيضاً .

فاذا ما وضعت الحرب اوزارها ، وخمدت جذوتها ، ومني قوم  
بالهزيمة في حين كان النصر حليفاً لقوم آخرين ، ظهر ميدان فسيح  
لاعتذار المغلوبين وتوعددهم ، ولاعتزاز المنتصرين وافتخارهم ، قال ابو حرب  
ابن الأعلم مفتخراً :-

نحنُ الذينَ صبَّحوا الصباحا      يومَ النخيلِ غارةً ملاحا

١ - الشعر الشعبي العربي - الدكتور حسين نصار ٧٥ سلسلة المكتبة الثقافية .

نحن قتلنا الملك الجحجاحا ولم تدع لسارح مراحا  
الا دياراً أو دماً مفاحا نحن بنو خويلد صراحا  
لا كذب اليوم ولا مزاحا<sup>(١)</sup>

وكل هذا جعل ما وصل اليه من رجز الحرب كثيراً جداً ، أضف  
الى ذلك أيام العرب المشهورة بكثرتها وضحامة عددها ، وما قيل في تلك  
الحروب من رجز ، فنحن قلما نجد حرباً أو معركة لم يقل فيها رجز ،  
لهذا فإن الرجز الذي قيل في تلك الحروب يؤلف مجلداً ضخماً  
لكثرته وسعته .

وكان العربي يبحث عن موطن الكلاً ومواقع المياه ، ليوفر أسباب  
الحياة لنفسه ولحيواناته ، ولما كانت جزيرة العرب شحيحة المياه دائماً  
الجفاف ، قلَّ فيها العشب وندر وجوده ، فما كان على العربي الا أن  
يتنقل بين أرجاء جزيرته باحثاً عما يمدده بما يديم له الحياة ، والوسيلة  
المفيدة التي تساعده على الانتقال في هذه الصحارى المترامية الاطراف هي  
الجمال التي وهبها الله خفياً عربياً مكنها من السير فوق الرمال فلا تتأثر  
بها ، كما أمدتها بقدرة عجيبة على تحمل العطش أياماً عديدة ، إذ كانت  
تخزن المياه في أجوافها وتفيد منه عند الحاجة ، وهكذا تكيف الجمال لهذه  
الصحراء واصبح فارسها الذي لا يزاحم وهذه نعمة كبرى وهبها الله لقاطني  
تلك الجزيرة .

---

١ — النوادر في اللغة — الانصاري ٤٧ ، وانظر مجموع اشعار العرب —  
الورد / ١٧٢ حيث وردت هذه المقطوعة في الايات المفردات المنسوبة  
الى رؤبة .



وإذا كانت هذه ميزة الجمل ، فلا عجب إذا أخلص له صاحبه .  
وأنزله من نفسه منزلة الأهل والولد ، وطلب من الحادي أن يترفق به  
في السير :

لا تقلواها وأدلوها دلوا      انّ معّ اليوم أخاه غدوا (١)

حتى إذا ما سار الليالي الطويلة وأمله وجمله طول السرى انطلقت  
عقيرته بما يروح عن نفسه وجمله مشاق السفر وينسيهما اتعابهما ويجدد  
فيهما النشاط لمواصلة السير ومتابعة المشي ، قال بعض الفقهاء : - (٢)

أجرس لها يابن أبي كياش      فما لها الليلة من انفاش  
غير السرى وسائق نجاش      أسمر مثل الحية الخشاش (٣)

ومن هنا كان الرجز - بتوقيعه الذي يشبه مشي الجمال - الحداء  
المحبيب لدى العربي والقوة السحرية لبعث النشاط في الجمل ، ومن أجل  
هذا رأى العربي أن يصحب كل قافلة حادياً يحدوها : وهذا ما فعله  
رسول الله (ص) فقد جعل حادياً للرجال وآخر للنساء وبشير الى هذا  
قوله (ص) لحاديه ( رفقاً بالقوارير ) يعني النساء .

هذه أهم الامور البدائية التي لازمت العربي منذ وجوده في جزيرته  
على ان هناك اموراً بدائية أخرى تناولها الرجز .

---

١ - الفاضل - المبرد ١٩ ، يقال قلو ت الابل اذا سقتها سوفاً شديداً ، ودلوتها  
اذا هونت عليها السير .

٢ - أمالي المرتضي ١/٦٣١ ط ١ .

٣ - أجرس لها : أي أحد لها لتسمع الحداء ، الانفاش ، رعي الليل ، أراد  
به انها لا تترك رعي ليلاً ، والنجاش : هو المستشير لسيرها والمستخرج  
ما عندها منه ، الخشاش : الخفيف الحركة ، السريع القلب .

وفيما سبق حاولت تلمس ما يصاحب تلك الأمور الضرورية من  
شعر فوجدت أن معظمه - إن لم أقل كله - من الرجز . واذ توصلنا  
الى هذه النتيجة فلنا أن نقول : أن الرجز أول انواع الشعر نشأة  
وأسبقها الى الوجود ظهوراً ، كما يمكننا ان نقول : إن الرجز اسط  
صورة للشعر من حيث الشكل والمعنى .

فقد سبق بيان تناول الرجز لأغراض بسيطة كالمسح والمداواة  
والحرب ، فهذه المعاني أستعمل فيها شعر بدائي يلائمها هو الرجز ، قال  
أحد الرجاز بمدح ماء بثره :

ماء شفية كماء المزن      وليس ماؤها بطرقٍ أجنٍ (١)

فهو لم يزد على أن جعل ماء البثر كماء المطر ، وأي روعة في  
هذا التشبيه ؟ أم أي معنى جديد طرفه ؟ ولكن لا تعجب من هذا ،  
فإن بدايات الأشياء تكون بهذه الصورة بسيطة ساذجة ثم تتعقد وتنمو  
وتذهب في الغرابة والابتكار مذاهب شتى .

فالمعاني الجديدة والأغراض العديدة انما نشأت متأخرة ، ذلك  
لأنها تستغرق وقتاً طويلاً في نشأتها ، فليس بوسع ذلك العربي أن يتناول  
موضوعاً كالغزل مثلاً وهو يفتقد لقمة العيش ، لأن تناول هذا الموضوع  
يعد ترفاً ورفاهية اذا قيس بحاجته الى الماء والغذاء فهو لم يشك الصباغة  
ولم يبك الديار ولم يقف بالديار ويخاطب الاطلال الا بعد أن أرتقى  
في سلم الحياة الاجتماعية والا بعد أن توفرت له ضروريات الحياة والوقت  
الكافي بحيث يستطيع أن ينصرف الى اللهو والمرح ، ويسعى وراء شهواته  
وملذاته ، ومن هنا كان الصد والهجران والبعد والارتحال ، فأستحال الم

١ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٦/١ .

الفراق شعراً رقيقاً عذباً يعبر عن لوعة المحب وشوقه عند فراق أحبه ،  
وهذا يحتاج الى وقت طويل ، ومن ثم كان نشوء القصيد بطوله وبأسلوبه  
السهل الجميل .

وأما من حيث الشكل فيتمثل ذلك في قصر أبيات الرجز  
وأحتوائها على شطر واحد ، ثم في قلة عدد تلك الأبيات ، فهي لا تتجاوز  
عدد أصابع اليد ، وهذا يعود الى المواقف التي يقال فيها الرجز ، فهو  
في الغالب يقال في حالات البديهة والارتجال كالمواقف الحربية ووقت  
الصيد وعند المتح ، فلا تحتاج مثل هذه الامور الى اعمال فكرة واجالة  
نظر أو قل أنها لا تسمح بذلك ولا تعين عليه لأنها قائمة على الحركة  
المخاطفة والمشاعر المتتابعة السريعة فهذه بنت فند الزماني أرادت أن تحض  
القوم على القتال في يوم التحالق فلم يسمح لها الوقت لاعداد أبيات كثيرة  
فأرتجلت من ساعتها رجزاً بسيطاً عبرت به عن مشاعرها في تلك  
اللحظات الحرجة تمكنت من تشجيع القوم ودفعهم الى سوح القتال ،  
قالت : - (١)

وَوَغَى وَغَى وَغَى وَغَى      حَرَّ الْحَرَارُ وَالنَّظَى  
وَمُلَّتْ مِنْهُ الرَّبَى      بَأْحَبَا الْمُحَلَّقُونَ فِي الضَّحَى

وهذه جارية أقبلت بدلوها الى البئر فقالت :

يا ايها المائح (٢) دلوى دونكا      إني رأيتُ الناسَ يحمدونكما  
يشنون خيراً ويمجدونكما

فأجابها : - ( ناجية ) وهو في القلب قائلاً :

١ - حماسة ابي تمام - شرح التبريزي ٣٥/٢ .

٢ - المائح: هو الذي ينزل الى قرار البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده .



قد علمت جارية يمانيه      اني أنا المائحُ وأسمى ناجيه  
وطعنة ذاتِ رشاشٍ واهيه      طعنتها تحت صدورِ العاديه (١)  
ويظهر ذلك أيضاً في قصر القافية الذي ينتج عن قلة عدد الايات  
فأن كثرة الأيات تستلزم وقتاً طويلاً لأعداد كلمات متفقة في حروفها  
الأخيرة ومتشابهة في رويها ، ومثل هذه المواضع لا نسمع بأعداد مثل تلك  
الكلمات الكثيرة التي تكون على هذا الشكل .

ثم أن عدم التقيد بنظام القافية في الرجز يجعلنا نعتقد انه من عمل  
أناس مبتدئين لم يتمكنوا من صنعهم بعد . فقول الراجز :

ما تبتغي الحربُ العوانُ مني      بازل عامين صغير سسي  
لمثل هذا ولدتني امي

فيه خلاف بين النون والميم . وان كان يخضع للتقارب  
الصوتي .

ومثل هذا قول الآخر :-

يا قبحَ اللهُ بني السعلات      عمرو بن يربوع شرار الناتِ  
ليسوا باكفاء ولا اكياتِ (٢)

وهو يريد (الناس واكياس) . فهو بهذه الايات القليلة لم يستطع  
الانبار بثلاث كلمات متساوية يجعلها قافية ، فأضطر الى تغيير هاتين  
الكلمتين ، وان كان بعضهم يقول انهما من اللغات . وهذه الصورة في

---

١ - الامالي - القالي ٢٤٤/٢ وتاريخ الامم والملوك - الطبري ٢٧٣/٢ .

٢ - الحيوان - الجاحظ ١٨٧/١ وامالي القالي ٦٨/٢ بيروت مع بعض  
الاختلاف .

تفقيه الرجز تدلنا على انه كان من عمل اناس بدائين قلبي الخبرة في هذا الميدان ، وتدلنا ايضاً على انه فن شعبي لا بأس باستعمال اللهجات أو أبدال بعض الحروف فيه .

كما تظهر بساطة الرجز من حيث الشكل : في تعابيره والفاظه المستوحاة من حياة العربي البسيطة ، ومن مستلزمات تلك الحياة ومتطلباتها ، فهذا راجز يقول مفتخراً :

تبشري بماتحِ أوبِ مطرحِ لدلوهِ غضوبِ (١)

فهذان البيتان - كما ترى - فيها كلمات أملتها ظروف تلك الحياة القاسية ، وذلك الظمأ القاتل ، فلم يجد شيئاً يفتخر به الا أن يكون ماتحاً الوباً : وهل يوجد من يحبى النفوس السوداء غير الله والماتح !

وهذا الاسود بن يعفر يخاطب كلبته التي ينعتها بالعقاب  
قائلاً : - (٢)

قد قلتُ لما بدتِ العقابُ وضعتها والبدنَ الحقابُ  
جدى ! لكلِ عاملِ ثوابُ الرأسُ والأكراعُ والأهابُ

ترى ما هي الألفاظ والتعابير التي استعملها هذا العربي ؟ أليست تلك التي تخص الصيد والتي وعد بها كلبه !

وهذا يقودنا الى الموازنة بين الشعر الجاهلي الناضج وهذا الشعر البدائي البسيط فشعر الرجز هذا لم يعالج فيه من المعاني والافكار الا ما

١ - اللسان مادة ( ألب ) . ورجل أوب : سريع اخراج الدلو .

٢ - الامالي - القالي ٢/٢٩٥ سمط اللالي ٢/٩٣٩ .

كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحياة العربي ومتطلباته كالمتح والحداء ، والصيد  
وادواته ، والحرب والآنها والجمال ونعوتها والبيداء وقساوتها ، وقل مثل  
ذلك في الالفاظ والتعابير .

اما الشعر الناصح الكامل أو ما يسمى به ( القصيدة ) فقد جاء  
بمعان جديدة والفاظ مستحدثة لم يكن لقدماء العرب عهد بها ، كالحب  
وما فيه من جوى ولوعة ثم التفاخر بدين الحياة ونعمتها وكثرة المال والغنى  
ونحو ذلك مما حرم منه أوائل العرب .

وكل هذا انما هو نتيجة للتطور الذي اصاب حياة العربي في جميع  
نواحيها ، فتطور معها الشعر من حيث الوزن والمعنى واللفظ ، فتعددت  
اوزانه وطالت ابياته وتوسعت اغراضه وابتكرت فنون جديدة للقول  
واستحدثت اساليب ووسائل للتعبير عن اغراضهم ، وقوي أسلوب الشعر  
بعد ان كان ضعيفاً وزاد عدد ابياته فنشأت القصائد الطوال التي تجري  
على روي واحد في كل ابياتها ثم ظهرت القصائد التي كانت على درجة  
كبيرة من النضج الفني ، واخيراً تعقدت الفاظ الشعر وأصبحت قوية  
رنانة تحمل بين طياتها دويماً وجرساً مما كان يفتقده الشعر البدائي .

وكل هذه الأمور التي حدثت انما جاءت وفقاً لقانون التطور  
التدريجي الذي يبدأ بالبسيط وينتهي بالمعقد والذي يبدأ بالناقص  
وينتهي بالكامل .

ولو أمعنا بالفكر لاحظنا أن مثل هذا التطور يحدث للشاعر  
الواحد ، فهو حينما يبدأ حياته الشعرية ينظم ابياتاً قليلة ذات أسلوب  
ركيك مفكك وكلمات ساذجة متداولة فاذا ما تمكن من صنعه وتمرس في  
فته جاء بالمدحش الجميل ونظم الرائع الرائق .



وكل غرض من الاغراض الشعرية لا بد أن يشمله قانون التطور هذا ، ولتأخذ مثلاً على ذلك فن الهجاء ، فقد كان محصوراً في بيان معائب المهجوع ونقائضه بأبيات قليلة ثم تطور هذا الفن ، وكان آخر ما وصل اليه تلك النقائض التي كانت حدثاً فنياً جديداً في الأدب العربي ، فقد أصبح المهجوع يرد على قصيدة الهاجمي بقصيدة تنفق معها في الوزن والقافية والموضوع ، وهذا نوع من الترف الفني لم يحظ أوائل العرب بنصيب منه .

وقانون التطور هذا ، انما يسرى وينطبق على كل الكائنات : الجامدة منها والحية فأن كنا قد رأينا تطوراً معنوياً تمثل في الشعر فلنأخذ مثلاً مادياً ملموساً وليكن وسائط النقل وآلات القتال ، فقد كانت الخيل والجمال أهم وسائط النقل في العصور الغابرة ، اما الآن فقد اخترعت الدراجات والسيارات والقاطرات ثم الطائرات واخيراً الاقمار الصناعية . وكذلك آلات الحرب فأنها لم تكن تتعدى السيف والرمح والدرع والترس ، ثم أصبحت الآن تضم اصنافاً عديدة من وسائل القتال ، كالدافع والدبابات والقنابل الأوكسিজينية والهيدروجينية .

وعلى هذا الأساس من التطور يمكن أن نفسر مسألة تطور الشعر فنقول أن جميع الكلام كان نثراً اعتيادياً يعبر عن الحياة اليومية ، ثم تطور الى السجع ، والسجع فيه نغمة موسيقية تظهر في تساوي بعض اوزان المقاطع وانفاق بعض الجمل في حرفها الاخير ، وقد استعمل في الطقوس الدينية والأمور التي تثير الرغبة والرغبة في نفوس الناس ، ومن هنا وجده الكهان خير أداة لتحقيق مايتفنون ، فأنشأوا سجعاً سمي سجع

الكهان اتخذوه وسيلة لمناجاة الآلهة وتقييداً للحكمة وفتنة للسامع (١) .

وإذا سائرنا منطق التطور فإن من الطبيعي ان ينتقل السجع الى الرجز وهو شعر بسيط انتظمه الوزن في جميع ابيانه وضمت او اخر جملة قافية واحدة . وبهذه الصورة بدأ الوليد الشعري يرى نور الحياة . وهذا يفسر ماذهب اليه الرواة من ( أن الشعر كله انما كان رجزاً وقطعاً ) (٢) .

وقد نشأ الرجز وهو يتألف من شطر واحد وقد سمي فيما بعد به ( المشطور ) . والتفعيلة الخاصة بالرجز - كما عرفت فيما بعد - هي ( مستفعلن ) تكرر في البيت الواحد أكثر من مرة . وهذا التكرار يؤيد الادعاء بأن الرجز كان أول الشعر نشأة . ذلك لأن الامم البدائية كالاطفال تحب التكرار في كل نواحي النشاط العضلي . فالملاحظ أن الطفل يحرك يده أو رجله بحركة واحدة رتيبة مكررة ، وكذلك عندما يحاول أن يتكلم فإنه يردد اصواتاً متشابهة ، ويستمر في ترديدها حتى يتمكن من النطق . وهكذا فإنه يحب الكلام المنتظم المكون من تكرر مقاطع معينة ، وكان العرب البدائيون كهؤلاء الاطفال ، بدأوا شعرهم بترديد ( مستفعلن ) مرات عديدة في المقطع واستمروا في تكرار وزن هذا المقطع حتى تمكنوا من فهم واخذوا ينوعون الاوزان ويطيلون القوافي .

ولرب قائل يقول : - لماذا اهتمدى العرب الى ( مستفعلن ) قبل

---

١ - تاريخ الأدب العربي - الزيات ص ٢٨ .

٢ - العمدة ١/١٨٩ .

غيرها من التفاعيل فأجيب بأن مستفعلن هذه المبتدئة بحركة وسكون ثم حركة وسكون تشبه حركات الاعمال اليدوية كالمتح والحفر ، كما نشبه حركات الأبل في سيرها على بساط الصحراء الواسعة ( وما الرجز الا قياس رسمه في مخيلة العرب سير الأبل في الصحراء ففاض الشعر على السنتهم أول ما فاض بالفاظ وهي وتفاعيل الرجز في الواقع سواء ) ( ١ ) .

ولربما يكون الرجز أكثر شبيهاً بحركة الناقاة الرجزاء التي جعلها الداء ترتعش وتؤدي حركات تتخللها راحة وسكون ، ولهذا فإنه يرجح أن يكون بحر الرجز مأخوذاً من حركات هذه الناقاة الرجزاء ، كما أن هناك صلة بين الحداء والغناء والرجز ، فاذا قيل حداً يعني غنى بالرجز .

ولما كان شعر الحداء رجزاً فإن هذا يدعونا الى القول بأن الرجز كان الوزن الشعبي المحبب لدى العرب ، عبروا به عن اعمالهم الجماعية والفردية ثم تولدت بالتدريج اوزان الشعر عند العرب عن وزن الرجز ، ونشأت دوائر العروض منبثقة من دوائر الرجز ، وقد ذهب الى هذا كثير من المستشرقين ، فقد ذهب كارل بروكمان الى انه ( من الرجز — نشأ بناء أبحر العروض على مصراعين وقافية في الثاني ) ( ٢ ) كما ذهب الى أن نشوء الشعر كان عن طريق الرجز الذي تطور عن السجع . وهذا ما افره ( كولد تسيهر ) بقوله : — ( أن الرجز نشأ عن السجع بعد اخضاعه للميزان العروضي ) ( ٣ ) .

---

١ — تاريخ الادب العربي — السباعي بيومي ١٠٤/١ ط ٢ .

٢ — تاريخ الادب العربي — بروكمان ٥١/١ تعريب النجار .

٣ — دائرة المعارف الاسلامية مادة ( رجز ) .



وقد أورد ( نلينو ) ما كان يعتقد العلماء في قدم الرجز قائلاً :  
( فليس من الممكن أن رجلاً عالماً بتاريخ الشعر ودقائقه مثل الجمحي  
جهل ما هو متداول عند كل العلماء أن الرجز من أقدم فنون الشعر عند  
عرب الجاهلية ) (١) .

والمظنون ان طريقة انتقال الشعر من السجع الى الرجز هي أن  
( متغنياً بسجع وقع له سجتان متوازنتان وزناً سهلاً « هو الرجز » فأعجبه  
ذلك ومضى فيه وتمت له قطعة راقية من سمعها وحاكوه فيها وتغنوا بها  
فكان من ذلك المقطعات والاراجيز الصغيرة (٢) ،

كما أن الذي ساعد على ظهور الوزن ونشوء الشعر ( ارتقاء ذوق  
الغناء عند العرب وانتقال الشعر من المعابد الى الصحراء ومن الدعاء الى  
الحداء وبهذه الصورة اجتمع الوزن والقافية فكان الرجز ) (٣) .

وكثيراً من الذين تطرقوا الى الكتابة عن الرجز ذهبوا الى أنه  
أول وزن تولد عن السجع وانه كان بداية نشوء الشعر وظهوره في الوجود ،  
وقد اتفق على ذلك قدماء ومحدثون ، واذكر من هؤلاء المحدثين المرحوم  
الرافعي (٤) والمرحوم الشاعر معروف الرصافي (٥) . والدكتور سيد

---

١ — تاريخ الآداب العربية نلينو ١٦٦ .

٢ — الوسيط في الادب العربي — الاسكندري وعناني ٤٤ ط ٢ .

٣ — تاريخ الادب العربي — الزيات ٢٨ .

٤ — تاريخ آداب العرب — الرافعي ٣٢٤/٢ وانظرها مشهاً أيضاً .

٥ — سحر الشعر — رفائيل بطي ٨٨/١ فيه مقالة للرصافي عن مبدأ  
الشعر ونشأته .

نوفل (١) ومحمد بهجة الأثري (٢) ومحمد عبد المنعم خفاجي (٣) .

ولكن فريقاً من الذين تناولوا الرجز بالبحث نفوا كون الرجز أول وزن ظهر ، كالدكتور عبد الله الطيب المجذوب (٤) وصلاح عبد الصبور (٥) .

والاخير انما نفى أن يكون الرجز أول وزن ظهر لأنه يرى أن اصل الشعر العربي في لغة غير لغة العرب .

والحقيقة ان كلامهم لا يمكن أن يتخذ مرجعاً أو رأياً لا يقبل الشك ، لأنه تعوزه الأدلة وينقصه الاثبات .

بعد هذا العرض الشامل لأغراض العرب البدائية التي اصطنع لها الرجز ، استطيع أن أزعّم ان الرجز هو الأب الأكبر للشعر العربي والذي انجب فيما بعد فنوناً جديدة واوزاناً عديدة جعلت هذا الشعر ميداناً فسيحاً ضم أعظم شعر وجداني عرفه عالم الشعر .

وعلى هذا يكون شعر العرب قد مر بمراحل عديدة من التطور

---

١ — شعر الطبيعة في الادب العربي — الدكتور سيد نوفل ص ٢٤ و ٢٦ .

٢ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق جزء ٧ مجلد ٨ ص ٣٨٥ تموز ١٩٢٨ م .

٣ — الحياة الادبية في العصر الجاهلي خفاجي ص ٢١١ ط ٢ .

٤ — المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعاتها — المجذوب ١/١٤٦ ط ١ .

٥ — مجلة ( الشعر ) المصرية ١٦/٨٥ السنة الثانية ، مقال ( رأي في بدايات الشعر العربي ) .

استطاع بعد اجتيازها أن يقف على أقدام راسخة وبضاهي شعر الأمم الأخرى قوة وروعة وجمالاً . وهو بهذه المراحل التي مر بها انما سار وفق النظام الطبيعي للتطور ، والذي يبدأ من نقطة صغيرة بسيطة حتى ينتهي الى بناء متكامل قوى متين .

فالشعر بدأ باتفاق جمليتين في وزنهما وقافيتهما ، فكان لهذا الاتفاق وقع جميل ورنين عذب في نفس السامع والقائل ، ولهذا حاول الناس أن يسيروا على هذا النهج ويؤلفوا كلاماً متفق الوزن والقافية ، فنشأت بذلك المقطعات الرجزية القصيرة التي تناسب جهل ذلك العربي بهذا الفن من القول .

وانما نظمت تلك المقطعات بالرجز لأنه أسهل البحور من حيث القافية والوزن ، أما من حيث القافية فهي لا تحتاج إلا الى كلمات قليلة متشابهة توضع في نهاية الشطر ، وأما الوزن فيتألف من تكرار مقطع معين ، وهذا المقطع يتألف من حروف تشبه في حركتها وسكونها اكثر الوان النشاط في حياة العرب اليومية وتشبه أيضاً الناقاة الرجزاء في حالة نهوضها محاولة القيام فلا تتمكن من ذلك فتعود الى حالتها من الهدوء والسكون ، وهكذا تبقى بين حركة وسكون . كما تشبه عملية المنح التي تتمثل في حركة يعقبها سكون . ومثل هذا اكثر اعمالهم ، أضف الى هذه الأمور قلة أبيات الرجز والتي سميت لهذا السبب بـ ( المقطعات ) وهي تناسب الحالات التي قال فيها العرب الأولون شعرهم ، والتي تعتمد على البديهة والارتجال ، فمواقف الحروب وغيرها لا تسمح بنظم أبيات كثيرة ثم تنقيحها ، واختيار الكلمات الملائمة والالفاظ الجميلة . انما تستدعي مثل تلك المواقف سرعة البديهة والقدرة على الارتجال ، فلهذا وجدنا



تلك القصائد - وهي في الحقيقة مقطعات كما سموها - قصيرة قليلة الأبيات ، كما ان اسلوبها ضعيف ، والفاظها مستمدة من تلك المواضع ومتفقة معها فالمحارب يذكر السيف والرمح والشجاعة والصبر والجلد ، والصائد يذكر الفخ والقوس والسهم والحيوان ، والمناح تدور الفاضله حول البئر ومائها والدلو وحبله وبكرته . وهذه نتيجة حتمية يفرضها تأثير البيئة في الناس .

وبسبب السرعة التي تقتضيها تلك المواضع فاننا لا نتوقع من هؤلاء العرب ان يزوقوا الفاضله ويتفتنوا في اساليبهم ويبدعوا في تشبيهاتهم ، لان مثل تلك الامور تستدعي وقتاً طويلاً وفكراً هادئاً ، وأنى للعربي القديم بهذا وهو يحترق بنار الحرب والنقع قد سد عليه المنافذ والسبل !

وعلى هذا يكون الفرق واضحاً بين هذه المقطعات الرجزية أو الشعر البدائي وبين ذلك الشعر الناضج ، وهو فرق يظهر في الاسلوب والألفاظ والأفكار والأوزان ، لكن هذا لا يحط من قيمة الرجز ، لانه شعر لم تعمل فيه بد الاصلاح والتنقيح ، في حين كان الشعر الناضج يستغرق وقتاً طويلاً لصوغه وسبكه ، والكل يعلم ان قصائد زهير بن ابي سلمى كانت تستغرق حولاً كاملاً لاعدادها وتهذيبها ، حتى سميت بـ ( الحوليات ) وشتان بين المنقح وغير المنقح ، وشتان بين الحوليات والآيات أو بنات الساعة !

## الفصل الخامس

### تطور الرجز

أصبح من الواضح بعد الذي رأينا أن يكون الرجز هو الحجر الأساسي والقاعدة المتينة التي بني عليها الشعر ، حتى أصبح بناؤه شامخاً .  
وأهم ما يلفت النظر في هذا البناء الشعري هو التطور المستمر الذي حصل له على مر الأيام وتعاقب السنين .

ولما كان الرجز اللبنة الأولى في هذا البناء أصبح من الواجب أن أبحث عن هذا التطور الكبير وهذه النقلة الواسعة التي خطت بالرجز خطوات طويلة جعلته قوى الأساس ثابت الأركان بما حدا ببعض الشعراء الى ان يقفوا جهودهم وطاقاتهم كافة عليه حتى تخصصوا به .

وأول أمر يجب الخوض فيه هو تحديد الوقت الذي نشأ فيه الرجز

هذا ولما كانت صلتنا بذلك الزمن مقطوعة ، ومعلوماتنا عن تلك الفترة مشوشة مضطربة ، أدى ذلك الى ضياع النصوص الأولى التي تعيننا على معرفة بداية الرجز والزمن الذي ظهر فيه ، وأرى ان تلك الروايات التي تجعل مضرا اول من رجز لا تستند الى ما يؤيدها ويقويهها ، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها اعتماداً كلياً واتخاذها دليلاً قاطعاً على بداية الرجز لأنها مجرد اخبار حملها الرواة دون النظر فيها نظرة فاحصة ، ولكن مهما يكن نوع تلك الاخبار من حيث الصحة أو عدمها ، فانها توحي لنا بما كان يدور في افكار الناس في ذلك الوقت حول نشأة الرجز وكيفية تلك النشأة فان مارواه ابو زيد القرشي باسناد له عن ابي اسحاق من ان قيس بن عاصم النميمي قدم على النبي ( ص ) فقال يوماً وهو عنده : أتدري يا رسول الله من أول من رجز ؟ قال : لا ! قال : أبوك مضر ، كان يسوق بأهله لبله فضرب يد عبده فصاح : وايداه افاستوثقت الابل ونزلت ، فرجز على ذلك . (١) ما يشير الى كيفية نشأة الرجز واعتماد تلك النشأة على الحداء .

ومن هذا فان باستطاعة الباحث ان يقول في هذا الصدد ان بدايات الرجز ظهرت حينما تقاربت اللهجات فتغلبت لهجة قريش ، فجاء كل شعر العرب بهذه اللهجة ، فلهذا يمكن ان يعد الرجز القديم الذي قيل بعد تغلب تلك اللهجة مباشرة هو بداية شعر العرب ، وان لم يصلنا الا القليل منه ، والذي كان عبارة عن مقطعات قصيرة وايات يسير تناولت حاجات العرب البدائية التي سبق بيانها ، وبقي على هذه الصورة يقال في اغراض محدودة وفي مواقف معينة ، بقوله عامة الناس ، لم يتخصص فيه

١ — جمهرة اشعار العرب — القرشي / ٣٤ .



شاعر ولم يكثر منه أحد ، انما هو تنف بسيطة يطلقها الرجل لمناسبة ما ،  
تظهر عليه البساطة وعدم التكلف وتوحي به فكرة ساذجة ، ولكنه مع  
هذا استطاع أن يفني بمطالبهم في ميادين حياتهم ، ولم يضق ذرعاً بها .  
وأستمر مدة من الزمن ملبياً لهذه لمطالب ، حتى اذا ما استقر العربي  
واخذت حياته تتقدم وتتطور وأصبح بإمكانه أن ينصرف الى اللهو بعد  
أن توفرت له اسباب عيشه ، ضاق الرجز بايفاء كل ما استجد في حياته  
من امور . لهذا احتاج العربي الى اوزان جديدة لكي تفي بحاجاته في  
تلك الميادين ، وقد بدأ قالوا : الحاجة أم الاختراع . فقد دفعته حاجاته  
هذه الى اختراع اوزان جديدة انشأها مستهدياً بالرجز ، أطلق عليها  
فيما بعد اسم « القصيد » وقد استطاعت هذه الاوزان التي كانت وليدة  
التطور في المجتمع ان تتناول اغراضاً مختلفة .

اما ما يتعلق بأول من اطلال الشعر وقصد القصيد فقد زعم الرواة  
أن الأفوه الأودي كان السابق في هذا العمل (١) في حين زعم آخرون  
أنه قصد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهامل  
وامرى القيس (٢) .

ولكني لا أثق بهذا ولا ذاك ، فإنه وان كان شعرهم أقدم قصيد  
وصل الينا ، لكن هذا لا يعني أن الشعر قصد وطول على ايديهم ، فربما  
يكون هناك شعراء سبقوهم نحووا بالشعر منحى التقصيد والتطويل ووقفوا  
بالديار ووصفوا الاطلال ، ولكن شيئاً من شعرهم لم تحفظه الكتب ولم  
يتناقله الرواة .

١ — المزهر — السيوطي ٤٧٧/٢ .

٢ — العمدة — ابن رشيق ١٨٩/١ .

ومن الطبيعي أننا لانستطيع أن نعد هؤلاء هم الذين نقلوا الشعر من القطع الى القصائد بحجة أن شعرهم أقدم شعر وصل اليها . ذلك لأن هذه الطفرة الواسعة من القطع الرجزية القصيرة الى قصائد طويلة ومتعددة وكثيرة أيضاً ، محال أن تحدث على هذا النحو ، فكل من يؤمن بحقيقة التطور لا يعقل ذلك ، لأن طبيعة الأشياء تقتضي أن يكون التطور تدريجياً ، شأنها في ذلك شأن الانسان الذي لا يستطيع أن يظفر السلم طفرة واحدة ، انما يرتقيه درجة فدرجة . وهكذا يكون تطور كل الاشياء وصعودها مدارج الرقي والتقدم .

ولهذا السبب تؤمن بوجود شعراء سبقوهم كان لهم فضل اطالة الشعر . اذ لو تصفحنا مفضليات الضبي لوجدنا بعض القصائد تنسب الى المرقش الأكبر ، وهو عم المرقش الاصغر الذي هو عم طفرة ابن العبد .

وهذا يعني انه كان قبل امرئ القيس ، وقد بلغت احدى قصائده خمسة وثلاثين بيتاً ، وقد خضعت لنفس التقليد الذي خضعت له القصيدة الجاهلية من وقفة بالأطلال وبكاء على ساكنيها ، حتى اذا استوفى من ذلك غرضه انتقل الى مقصد آخر هو رثاء ابن عمه ثعلبة بن عوف بن مالك ابن ضبيعة . فاذا قدرنا بعد الصلة بين النسب والرثاء ، ادركنا أن افتتاح القصيدة بالنسب وذكر الاطلال كان قد أصبح في ذلك العهد المتقدم تقليداً ثابتاً بحيث صار مألوفاً أن ينتقل الشاعر من ذكر المحبوبة الى ذكر الموت .

وفي هذا دحض لقول القائلين أن امرئ القيس هو أول من وقف

على الاطلاق ، وفيه أيضاً دليل على أن القصيدة العربية الجاهلية كانت قد استوفت بناءها الشكلي قبل أمرىء القيس (١) ثم أن أمرىء القيس نفسه يخبرنا عن شاعر سبقه بكى الديار ووقف على الاطلاق كما أراد أن يقف هو وببكي أيضاً . أن هذا الشاعر هو « ابن حذام » (٢) الذي أشار اليه بقوله :-

عوجا على الظلل المحيل لعلنا نبيكي الديار كما بكى ابن حذام

وقال ابن خالويه في كتاب « ليس » أول من قال الشعر ابن حذام (٣) . ولكن من هو ابن حذام هذا ؟ وابن شعره ؟ وأية ديار بكى ؟

اننا نجهل ذلك جهلاً تاماً ، ولم نستطع أن نتلمس له أثراً أو خبراً ، فلعل هذا الشاعر هو الذي قصد القصيد ، وربما يكون غيره من معاصريه أو سابقيه ولكنه لم يذكر في شعر لأمرىء القيس أو غيره من الشعراء ، وربما لا يكون هذا العمل فردياً ، انما تضافرت عليه جهود جماعة من الشعراء ، كل منهم ادى دوراً بسيطاً في هذا المجال ، حتى تحول الشعر الى هذه الصورة من الطول . وهذا هو المرجح ، لأنه لا يعقل أن تكون هذه النقلة الكبيرة من عمل شاعر واحد ، فالخطوة الأولى مثلاً أن يكون الشعر قطعاً صغيرة لم يشتهر به شاعر ولم يتخصص به أحد ، كتلك المقطعات الرجزية التي عبرت عن متطلبات العربي البدائية .

١ — مجلة — الشعر — المصرية ٧٧/١٦ السنة الثانية .

٢ — وقيل : ابن حذام أو حزام .

٣ — المزهر — السيوطي ٤٧٧/٢ .



فتقدمه وتطوره يكونان يجعله قطعاً أطول ، كالتي رواها الضبي في مفضلياته والتي تناثرت في ديوان الحماسة ، اذ هي قطع تتراوح بين ثلاثة الى سبعة أبيات والخطوة الاخرى التي يمكن أن تتلو الخطوة الاولى هي أن يكون الشعر قصائد متوسطة الطول ، مثل تلك التي جاءت في المفضليات وغيرها ، والتي هي بين ثمانية الى ثمانية عشر بيتاً أو ما يقارب ذلك ، ثم تأتي بعد هذا القصائد الطويلة التي من بينها ما رواه القرشي من المعلقات والمذہبات وغيرها ، وتكون بعد ذلك عدة قصائد للشخص الواحد ، ومن هنا نشأ التخصص ، فيسمى الكثير من الشعر والقادر عليه شاعراً . واذا صح هذا فصحيح أيضاً أن نقول أن الشعر انقل من المقطعات الى القصائد في تلك الحقبة التي سبقت نضج الشعر ، وقد أخذ ينمو ويتطور حتى بلغ أوج رقيه ونموه ونضجه في تلك الفترة ، وحتى ارتقى الى المحل الاسنى والمكان الأرفع من حيث جودة السبك وقوة المعنى ، فأقيمت له الأسواق وضربت القباب فيها ، واجتمع الناس من كل حذب وصوب ينشدونه ويفخرون به ، فكان للقصيد - إذ ذاك - سوق رائجة ومكانه بين الناس مرموقة ، ونبغ فيه فحول خالد شعرهم مع تعاقب الأيام .

وبقي هذا الازدهار للقصيد حتى بعد مجيء الاسلام ، فإنه وان كان القرآن الكريم قد بهرهم بفصاحة وبلاغته وتحداهم بأعجازه وبيانه ، فإن ذلك لم بصرفهم عن قول الشعر وروايته ، كما ان القرآن الكريم نفسه لم يحرم نظمه ، واقصى ما ووصف به الشعراء ، انهم يقولون ما لا يفعلون وأنهم في كل واد يهيمون . وانما كان هذا الوصف لشعراء المشركين والكافرين ، لأنه استثنى من هذا الوصف الذين آمنوا ، فكأنما

كان هذا الاستثناء إباحة للمؤمنين أن يقولوا الشعر أو يرووه . ولا عجب  
بمعد ذلك اذا قال الرسول العظيم «ص» : ( لا تدع العرب  
الشعر حتى تدع الأبل الحنين ) (١) ولا غرابة اذا بنى لحسان بن ثابت في  
المسجد منبراً بنشد عليه الشعر (٢) .

وما هذه الظاهرة الا دليل على مدى اهتمام شديد بالشعر على  
جميع المستويات والطبقات ، والدافع الى ذلك ايمانهم بأن الشعر كمال  
للأدب وعنوان لمجد العرب .

كانت هذه حال القصيد ، أما الرجز فقد بقي طوال تلك الحقبة  
يتخبط في ذلك الطريق الضيق وبين تلك المقطعات القصيرة ، فلم يصبه  
تيار ذلك التطور ولم يحظ منه بشيء واستمر يحوم حول دائرته الاولى  
في القصر ولم تدب فيه روح التطور ولم تظهر عليه بوادر الانتعاش إلا  
على يد الأغلب العجلي الذي ولد في الجاهلية وأدراك الاسلام فاسلم ،  
وقتل بوقعة نهاوند سنة ٢١ هـ وكان آخر من عمر في الجاهلية عمراً  
طويلاً (٣) .

استطاع الأغلب هذا أن يخطو بالرجز خطوة قصيرة ويطلب فيه  
بعض الاطالة ، قال العجاج مشيراً الى ذلك .

وإن يكن أمسى شباهي قد أحسر<sup>١</sup>      وقترت<sup>٢</sup> مني البواني وقترت<sup>٣</sup>  
إنني أنا الأغلب أضحي قد نُشر<sup>٤</sup>

١ — العمدة — ابن رشيق ٣٠/١ ط ٣ السعادة .

٢ — العمدة ٢٧/١ .

٣ — تاريخ الادب العربي — بروكلمان ٢٢٥/١ تعريب النجار .

أي انه سار بالرجز سيرة الأغلب في الاطالة والتوسع .

والذي يبدو أن الاغلب فتح الباب ومهد السبيل لمن جاء من بعده ليغذوا السير في سبيل اللحاق بركب القصيد ، وقد تمخضت هذه المحاولات عن نتائج طيبة حصلت للرجز على يد من جاء بعد الأغلب كالعجاج وأبي النجم ورؤبة وأبي نخيلة .

وقد رأى بعضهم أن الأغلب هو الذي نقل الرجز من القطع الى القصائد وسار به نحو التطويل ، قال ابن قتيبة : - ( هو أول من شبه الرجز بالقصيد واطاله ) (١) وزعم الجمحي وغيره ( انه أول من رَجَزَ ) (٢) وهم يقصدون بذلك استتمال بحر الرجز في نظم الشعر مثل القصائد ، أي انه أول من رجز الأراجيز الطوال . وقال ابن حبيب :- ( فكان الأغلب أول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته ) (٣) .

وقد شايح هؤلاء في رأيهم كل من صاحب دائرة المعارف الاسلامية (٤) والمستشرق نلينو (٥) وبروكلمان (٦) وجرجي زيدان (٧)

١ - الشعر والشعراء ٥١١/٢ .

٢ - العمدة - ابن رشيقي ٩٠/١ .

٣ - تاريخ الآداب العربية - نلينو ص ١٦٧ .

٤ - مارة ( رجز ) ٥٧/١٠ .

٥ - تاريخ الآداب العربية - نلينو ص ١٦٧ .

٦ - تاريخ الأدب العربي - بروكلهان ٢٢٥/١ تعريب النجار .

٧ - تاريخ آداب اللغة العربية - زيدان ١٤٣/١ .



والدكتور شوقي ضيف (١) .

والحق ان ما عمله الأغلب كان تمهيداً لانتقال الرجز من المقطعات الى القصائد حيث ان هذا الانتقال الكبير لم يتم على يديه وحده ، فالدور الذي قام به هو زرع بذرات التطويل في الرجز ، فلما جاء العجاج رعى هذه البذرات بالسقاية والعناية حتى اثمرت على يديه وأنت أكلها ناضجة ، وهو يعد بحق أول من فسح طاقة الرجز وجعله يخوض في كل ما تخوض فيه القصيدة العربية الطويلة ، وهو أول من دفعه بقوة من الميادين الشعبية الى ميادين الغرابة اللفظية ، ولم يكنف بذلك فقد أخذ يبدع الفاظاً جديدة في اللغة قياساً على ما هو موجود ، ويتصرف حسب ذوقه وارادته الفنية ، ولم يقف في ذلك عند الفاظ اللغة العربية وحدها اذ كان يعمد الى بعض الالفاظ الفارسية فيعربها وقد يصرف منها افعالاً على نحو ما صنع في ارجوزته الجيمية ، اذ يلقانا فيها هذا الشطر « كما رأيت في الملاء البردجا » يريد الرقيق ، وقال : « كالحبشي ألتف أو تسبجا » يريد لبس قديماً ، وهو بالفارسية شبي فعر به بسبيجة ثم صرف منه فعلاً في بعض ابياته (٢) ولهذا زعم يونس انه ( أشعر أهل الرجز والقصيد ) (٣) وهذا ما حدا ببعض الرواة الى القول بأن العجاج أول من اطلال الرجز وقصده مهملين في ذلك الأغلب العجلي ، أو قل انهم تناسوه .  
قال ابو عبيدة :-

١ — تاريخ الأدب العربي — العصر الاسلامي — ضيف ٣٩٥/٢ .

٢ — تاريخ الأدب العربي — شوقي ضيف ٤٠٠/٢ .

٣ — المزهر — السيوطي ٤٨٤/٢ .

( حتى كان العجاج أول من أطاله وقصده . . . ) (١)

ومسألة التفاضل عن الدور الذي لعبه الأغب في تطويل الرجز وتطويره أمر غير ممكن إطلاقاً ، لأنه لا يمكن أن ينكر ما كان الأغب من فضل سبق في هذا الميدان ، كما أنه كان شاعراً مقتدرأ ، يقول الرجز والقصيد معاً ، وربما كان رجزه أكثر من قصيده ، يروي أن عمر ابن الخطاب (رض) كتب الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الإسلام ، فارسل الى الأغب العجلي فاستنسده ، فقال :-

أرجزاً تريد أم قصيداً      لقد سألت هينأ موجوداً (٢)

فالأغب هو أول من بدأ بتطويل الرجز وجعله كالقصيد شيئاً يسيراً ثم أنى العجاج بعد فأفتن فيه (٣) وقصر حياته على تجويده وتجيده .

بدأ الرجز يسير رويدأ رويدأ في مضمار التقدم منذ أن نبغ الأغب . وما أن جاء العصر الأموي ، حتى لقي الرجز عناية خاصة عند كثير من الشعراء فأخذوا يذهبون به مذهب القصائد ، وعمدوا الى تخفيف ما تركه بساطة العروض وسذاجته في النفس من مال ، بحلية فنية من الألفاظ الغريبة والعبارات البعيدة المأخذ . (٤)

١ — العمدة ٩٠/١ والمزهر ٤٨٤/٢ .

٢ — الاغانى ١٦٤/١٨ ساسي . وطبقات ابن سلام ص ٥٧٢ .

٣ — العمدة ١٨٩/١ .

٤ — تاريخ الأدب العربي — بروكلمن ٢٢٥/١ تهريب النجار .

وفي هذا العصر كان كل الرجاز ينحون بالرجز منحى العجاج  
ويسلكون مسلكه في الاطالة . وأشهرهم ابو النجم العجلي الذي كان  
يجيد نظم القصيد أيضاً . ثم جاء رؤبة بن العجاج وعلى يديه بلغ الرجز  
غاية ما كان يرتجى له .

وعاصر العجاج وابنه رؤبة الشاعر ذو الرمة ، فقد بدأ حياته  
الشعرية بالرجز ، ولكنه عدل بعد ذلك عنه الى القصيد ، وسئل عن  
ذلك فقال : ( رأيتني لا أفزع من هذين الرجلين على شيء ) (١) يعني  
العجاج وابنه رؤبة ولا مطعن عليه في ذلك ، فانهما لم يتركا زيادة لمستزيد  
ولا موضع اجادة لمجيد . فقد كانا يقولان الرجز وكانهما يغرفان من  
بحر ، قال العجاج : - ( قلت ارجوزتي التي أولها : - ) بكيت  
والمحتزن البكي ) وأنا بالرمل في ليلة واحدة فانثالت علي قوافيها  
أثيالاً (٢) .

أما رؤبة فقد كان مدرسة لغوية أمدت العربية بفيض هائل من  
الغريب وفاضت عليها بشيء من المبتكر ، وقد ذكر فخر الدين الرازي  
في كتابه « المحصول » ان الرجاز كانوا يخترعون الفاظاً جديدة كما  
نقله السيوطي في المزهري (٣) .

وكان الناس يتعقبون رؤبة وأباه يسجلوا عنهما ما يبتكران من  
صبيغ وليتسقطوا عثراتهما وزلاتهما ، قال الاصمعي : قال لي الخليل :

١ - العمدة - ابن رشيق ١٨٥/١ .

٢ - شرح شواهد المغني - السيوطي ص ١٨ .

٣ - تاريخ الأدب العربي - بروكلمن ٢٢٥/١ تعريب النجار .



أنشدنا رجل :

ترافع العز بنا فأرفنعمنا

فقلت له : لا يكون ذلك ، فقال : كيف جاز للمعجاج أن يقول :

تقاعس العز بنا فافعنسنا (١)

وهذا يدل على ان الناس كانوا يتألفون كل ما يصدر عن الرجاز ليقبسوا عليه . وكان الناس يقولون عن المعجاج ورؤبة انهما ( تهضما اللغة وولداها ونصرفا فيها غير تصرف الافحاح فيها ، وذلك لا بغالهما في الرجز ، وهو بما يضطر الى كثير من التفريع والتوليد ، لقصره ومساابقة قوافيه ) (٢) .

وقد اشتهر رؤبة بالفصاحة وبحفاظه على اللهجة العربية السليمة حتى عد مثالا يحتذى به قال ابن قتيبة : ( كان الحسن البصري يشبه برؤبة في فصاحة لهجته وعربيته ) (٣) .

وهكذا كان ظهور هؤلاء الرجاز سبباً في اتساع طاقة هذا الوزن ، حيث حاولوا أن يمدوا أطناب طاقته مدأ واسعاً ، فاذا هم يؤلفون أراجيز طويلة طولاً مسرفاً . (٤) ولم يقتصر تطور الرجز في هذه الفترة على طوله وكثرة ابياته ، انما تعدى ذلك الى الأغراض التي كان يتناولها حيث انه استخدم في كل ما استخدمت فيه القصيدة العربية من مديح

١ — الخصائص — ابن جني ١ / ٣٦٠ و ٣ / ٢٩٧ والشعر والشعراء ١ / ٢٢ .

٢ — الخصائص ٣ / ٢٩٧ .

٣ — المعارف — ابن قتيبة ص ٤١١ .

٤ — التطور والتجديد في الشعر الأموي — الدكتور شوقي ضيف ص ٣٤٣ .

وهجاء وفخر وورثاء . . . الخ .

( وإذا لاحظ الناظر في القصيدة الأموية النثاماً وانساقاً مع الرقي العقلي عند العرب والنثاماً وانساقاً مع حالتهم النفسية الجديدة في ظل الاسلام ، والنثاماً وانساقاً مع الظروف السياسية المعاصرة فان الارجوزة قد شاركت في هذا كله ) (١) .

وقد ظهرت في الارجوزة خصائص لم تظهر في القصيد من قبل ، ذلك انهم افتنحوها بالحمد والثناء ، وهذا أسلوب جديد لم يألفه الشعراء من قبل .

ومن تلك الخصائص ايضاً تصريع جميع أبيات الارجوزة ، في حين كان التصريع لا يتعدى البيت الأول في القصيدة التي هي من غير الرجز غالباً .

والذي بلفت النظر في الأراجيز احتواؤها على كثير من الكلمات التي بصعب علينا - بل وحتى على أولئك الذين عاصروا الرجاز - ادراك معناها دون الرجوع الى المعاجم والقواميس .

والظاهر أن الرجاز كان لهم ولع شديد بهذا الغريب ، فكانت الارجوزة - في نظرهم - لا تستحق أن تنشر بين الناس ما لم ترصع بحوشي الكلام وغريبه ، حتى أن المعجاج وابنه رؤبة راحا يبالغان في ذلك فعمدا الى كلمات فارسية فعرباها ، وجاءا بصيغ لم تكن مستعملة أو هي غير قياسية كما مر معنا في قول المعجاج ( فأفغنسا ) (٢) .

١ - التطور والتجديد في الشعر الأموي - الدكتور شوقي ضيف ص ٣٤٣ .

٢ - انظر كتاب الخصائص - لابن جني ٣٦٠/١ والشعر والشعراء ٢٢/١ .

وسوف أذكر خصائص الرجز كلها بصورة مفصلة في فصل قادم  
ان شاء الله .

وغرابة الفاظ الارجيز هذه ربما يكون لها سببان ، الأول هو أن  
هذه الارجيز كان منشؤها البادية ، حتى ان مواضعها كانت تدور على  
وصف الصحراء وحيواناتها وما يلاقيه العربي فيها من مشقة وجهد ،  
فجاءت الالفاظ تابعة للمعاني .

والسبب الآخر حب الناس للغريب وتعلقهم به ولا سيما اللغويون  
والنحويون كمي يستشهدوا به على اللغات أو يتخذوه اساساً لبناء قاعدة  
من قواعد النحو .

هذا الى ان الرجاز كانت لهم مدرسة لغوية كبيرة أمدت يونس  
وأبا عمرو بن العلاء بما يحتاجون اليه من غريب . ويخيل لي أنهم  
كانوا يطعمون ، أو بالأحرى يحشون ، رجزهم بهذا الغريب استجابة  
لرغبة النحويين والمغويين بالذات ، فأتنا نراهم قد شحنوا أراجيزهم بكل  
شاردة من الالفاظ ، وراحوا بصرفون من الصبغ ما شاءوا ، أو ينقلون  
الفاظاً أعجمية الى العربية ويشتقون منها وبصرفون فيها .

ولهذا لا نبالغ اذا قلنا ان ما قدمه رؤبة واصحابه من الرجاز  
للغة العربية من الغريب والمبتكر ليعد بحق ثروة لغوية كبيرة استطاعت  
ان تفتح للناس مجال الخلق والابتكار في اللغة .

وقد كان رؤبة في هذا قديراً متمكناً معتمداً على سليقته اللغوية التي  
مرنها في هذا المجال تمريناً جيداً ، ومن هنا تكونت مدرستهم التي



انشأها العجاج وأدارها رؤبة وابو النجم واضرابهما ، أما تلامذتهما  
فأشهرهم يونس وأبو عمرو بن العلاء .

والضرورة التي استدعت نشوء هذه المدرسة هي ولوع الناس  
بالغريب من الألفاظ والشاذ من الاستعمال ، وهذا الولاوع ظهر نتيجة  
لانتشار اللحن بين العرب ، حتى ان الخلفاء اضطروا الى تعلم قواعد اللغة  
وتصريفها واشتقاقها وسمعوا الى التقرب من اصحاب اللغة واجتذابهم الى  
بجالسهم وهذا يعني - عندهم - ان الخليفة من اهل العلم وحملته وأحد  
اعلامه فيزيد ذلك من هيئته في نفوسهم وتقديرهم له واجلالهم اياه .  
وقد اصبحت هذه العادة سنة متبعة عند اكثر الخلفاء ، حيث  
اهتموا بالعلم وشجعوا الناس على تعلمه ، وانفقوا المال الكثير لنشره ،  
وأعطوا الهبات وأجزلوا المطايا للعلماء والمتأديين .

وهذا يدعو من يريد التقرب الى الخليفة من العلماء ان يلم بكل  
أبدة ويطلع على كل شاردة ، لكي يكون أثيراً لدى الخليفة ، ويحظى  
باهتمامه وتقديره وينال منه الجوائز والهدايا .

ومن هنا راح الناس يأخذون اللغة من أفواه الاعراب ، ويقومون  
برحلات الى الجزيرة ليجمعوا مفردات اللغة ويأخذوا عن اهلها  
الشعر واللغة .

اذن فلا عجب اذا أنبرى الرجاز يبتكرون الالفاظ ويأتون بالشاذ  
منها ، ويستعملون ما كان من اللهجات الغربية ، وهذا ما يفسر لنا ما  
قاله لنا أبو زيد الانصاري في كتابه النوادر من ان ما كان فيه من  
ابواب اللغة والرجز فهو سماعي عن الاعراب (١) وانما قال هذا ليدل

١ - النوادر في اللغة - أبو زيد ص ٣ .

على مكانة كتابه وعلى صحة ما يروي .

أصبح الرجز على هذه الصورة وبهذه المكانة يقف مع القصيد جنباً إلى جنب في جميع الميادين . وأخذ الناس يهتمون بالرجز اهتمامهم بالقصيد ، فهذا أبو مسلم الخراساني يبعث في طلب رؤبة بن العجاج لينشده أرجوزته التي يقول فيها :

يرمي الجلاميدَ بجمودٍ مدق (١)

وغدت القصيدة من الرجز تسمى بالأرجوزة ( وهي من حيث الشكل إنما تمتاز عن القصائد الأخرى بوزنها وبالاكثار من مهجور اللفظ وبتقنية جميع المصارع ) (٢) حتى أصبح الشطر هو الوحدة الأساسية في الأرجوزة ، على حين كان البيت بشطريه هو الوحدة الأساسية في القصيدة من غير الرجز .

وهذا التصريح يدل على قوة الطبع وكثرة المادة ، قال أبو تمام مدلاً بمكانة التصريح

وتقفوا إلى الجدوى بجدوى وإنما يروقك بيت الشعر حين بصرع (٣)

وهو يحتاج إلى جهد مضاعف لعمل الأرجوزة ، لأنه يلزم فيها بدل القافية الواحدة قافيتان فيحتاج الشاعر إلى كلمات كثيرة تكون متفقة في مخارجها ليجعلها قافية ، ولهذا عجز بعض الشعراء عن نظم الأراجيز

---

١ — الأغاني ١٢٢/١٨ و ٥٨/٣١ ساسي .

٢ — دائرة المعارف الإسلامية مادة ( رجز ) ٥٧/١٠ .

٣ — ديوان أبي تمام ص ١٤٢ لجنة التأليف والترجمة .

لأنها أصعب انواع الشعر ، وقد أشار الجاحظ الى ذلك (١) .

وربما يكون تصريع الرجز هذا هو الذي ألهم الاندلسيين صنع الموشح الذي يعتمد على الشطر أيضاً ، فهم حينما يخترعون الموشحات وبزاوجون فيها بين الأوزان ويخالفون بين القوافي يعتمدون في هذا الصنيع على نظام الأرجوزة في التصريع فيجعلون الشطر وحدة في الموشحة على نحو ما صنع رؤبة ورجاز هذا العصر في اراجيزهم (٢) ولعل مخالفتهم بين القوافي قد اعتمدت على المخالفة التي توجد في المزدوجات والتي تختلف قافية كل بيتين منها .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن وجود الالفاظ الغريبة والكلمات الشاذة في الارجاز كان لغرض تعليمي ، ولخدمة اللغة والناشئين في تعلمها وقد دفعهم هذا الى الاعتقاد بأن هذا الغرض التعليمي كان حافزاً لظهور المقامات في الأدب العربي ، وذهبوا الى أن الغاية التعليمية هي التي تجمع بينهما ، والتي تتمثل في الشعر بالرجز ، أما في النثر فقد تمثلت بهذه المقامات .

وهذه نظرة بعيدة ، لأن حصر غرض الأراجيز والمقامات بالتعليم فيه غمط لحق كل منهما ، وانكار لما فيهما من فن وتجديد . فكل نوع له مكانته ومنزله وأسلوبه في الأدب العربي ودواعي نشوئه ، اما ما ورد فيهما من غريب الالفاظ وشاذ الكلمات فتلك كانت سمة العصر وطابعه .

ظهرت الأرجوزة بهذا الشكل وعلى هذه الصورة ، فكان أهم حدث

١ — البيان والتبيين — الجاحظ ٢١٥/١ السندوبي .

٢ — تاريخ الادب العربي — الدكتور ضيف ٤٠٤/٢ .



فيها انها كانت مصرعة الشطور ، ولكن هذا لم يمنع أن تصاغ قصائد على بحر الرجز ولكنها غير مصرعة الشطور .

على أن وجود هذه الأبيات ذات المصراع الواحد والأبيات ذات النفايع الست جنباً الى جنب لا يعني بحال ان الكلام في تطور شكل الرجز قد فرغ منه ، ففي أوائل الدولة العباسية اشتهر ضربان جديدان بفعل ما ساور الناس من ملل لكثرة ترديد أبيات رجزية ذات مصراع واحد أو بفعل مؤثرات خارجية الأول منهما كان بتقنية المصراعين على قافية واحدة ، ومنه مزدوجة ابي العتاهية الموسومة بـ ( ذات الأمثال ) والتي يقال أن له فيها أربعة آلاف مثل (١) ، ومنها قوله :

يا للشبابِ المرِحِ النَّصَابِي	روائحُ الجَنَّةِ في الشَّبَابِ
حسبكُ مما نبتغيهِ القوتُ	ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوزَ الكفافا	من أنقى اللهَ رَجًا وخافا
لكلِّ ما يؤذِي - وان قلَّ - ألم	ما أطولَ الليلَ على من لم ينمُ

والثاني - وهو أندر - كان يجعل كل خمسة مصاريع في المقطوعة على قافية واحدة ، ومثاله قول الشاعر :

ظلمتني ظلمتني يا دهرُ	ماذا تشاهل لك عندي ثارُ؟
كأنَّ دمعي فوقَ خدِّي نثرُ	كأنَّ صدري من سقامي شعرُ
وكل ضلع من ضلوعي شطرُ	

قد صرتُ من حزني وأمتعاضي كالهيكَلِ الهاوي الى الأرباضِ

١ - الاغاني ٣٦/٤ وزارة الثقافة والارشاد .

ان أذكر العهد اللذيد الماضي بختناط السواد بالبياض  
وتمطر العين على الانقاص

وبهذا وجدت المقطوعات ذات البيتين والخمسة وأطلق على الأولى  
المزدوجة وأطلق على الثانية الخمسة (١) .

أما مسألة أول من ابتكر الشعر المزدوج فقد دار حولها خلاف  
وتناقضت فيها النصوص . فهذه رواية تعترض المطالع لكتاب الأغاني : -  
بروي أن ابا نواس قال : ( كنت اتوهم أن حماد عجرد يرمى بالزندقة  
لمجونه في شعره حتى حبست في حبس الزنادقة فاذا حماد عجرد إمام  
من أئمتهم واذا له شعر مزوج بيتين بيتين يقرأون به في صلاتهم ) (٢)  
وهذا يعني ان الشعر المزدوج - أو كما سماه أبو نواس المزدوج -  
ظهر في تلك الفترة على يد حماد عجرد (٣) واصحابه . ويعني أيضاً أن  
هذا النوع من الشعر كان غريباً على ابي نواس وعلى أولئك  
الذين عاصروه .

واستناداً الى هذه الرواية ذهب صاحب دائرة المعارف الاسلامية  
الى أن هذه الأبيات المزدوجة أول ما قيل من هذا النوع .

ولكن أين هذه الأبيات ؟

---

١ - دائرة المعارف الاسلامية مادة ( رجز ) ٥٥/١٠ .

٢ - الأغاني ٣٢٤/١٤ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ - وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . ولكنه اشتهر في  
العصر العباسي .

يقول صاحب دائرة المعارف الإسلامية إنها ضاعت (١) وبذهب إلى أن أقدم ما وصل إلينا من شواهد المزدوجات منظمه منها أبو العتاهية وأبو نواس (٢) .

بينما يرى ابن رشيق (٣) أن أول مزدوجة ظهرت هي مزدوجة بشر بن المعتز (٤) والتي أشار إليها الجاحظ (٥) ( وهي أرجوزة طويلة ذكر فيها الملل والنحل وضرب الأمثال وأخذ في قواعد مذهب ) (٦) الأعتزالي .

وجميع هؤلاء الذين نسبت إليهم أولية الشعر المزدوج قد عاشوا في عصر واحد وفي فترات متقاربة متصلة ، وهذا العصر هو النصف الثاني من القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث وهو العصر العباسي الأول .

وقد رأى بعضهم أن بشر بن المعتز يعد بحق أول من تمكن في هذا الباب حيث كانت مزدوجته من صميم هذا النوع من الشعر .  
أما ما جاء في دائرة المعارف من أن أقدم ما وصل إلينا من

---

١ — مادة ( رجز ) ٥٥/١٠ .

٢ — توفى أبو العتاهية في حوالي سنة ٢٢٠ هـ . وتوفى أبو نواس سنة ١٩٩ هـ .

٣ — العمدة ١٨٢/١ .

٤ — توفى بشر سنة ٢١٠ هـ .

٥ — الحيوان — الجاحظ ٢٣٩/٤ هارون طبعة الحلبي .

٦ — تاريخ أدب العرب — الراقعي ١٥٦/٣ .



المزدوجات كان لأبي نواس و أبي العتاهية فأمر لا يمكن الاعتماد عليه ،  
ذلك لأن الكاتب يقول انه وجد في النسخة المطبوعة من ديوان ابي  
العتاهية مزدوجة من مصراعين موقوفين على ثلاث تفعيلات ، كما وجد  
في القسم الأخير من نسخة حمزة من ديوان ابي نواس التي لم تطبع بعد  
مزدوجتين من مصراعين مقفيتين (١) .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو ان كيف عرف ان هذه  
المقطعات من المزدوج وهي لاتعدو المصراعين ؟ الا يحتمل انها من  
ضمن الرجز المصارع المشطور ، بل هي فعلاً كذلك لأن المعروف ان  
المزدوجة تعني القصيدة التي يكون فيها كل مصراعين على قافية واحدة  
وعلى هذا فهي لا تسمى مزدوجة الا ان تكون اكثر من مصراعين ، وذلك  
لمعرفة الخلاف الذي يحدث بين قافية كل شطرين ، أما صاحب دائرة  
المعارف فلم يجد قصيدة لمن ذكرهم ، وانما وجد مصراعين فقط .

على اني لا أطمئن الى كل هذه الآراء ولا استطيع تصديق واحد  
منها ، ذلك لأنني وجدت في كتاب الاغانى خيراً طريفاً عن الخليفة  
الأموي الوليد بن يزيد ، وفيه نسبت مزدوجة الى هذا الخليفة الشاعر  
ولم يتعرض لذكر هذه المزدوجة أحد من الذين بحثوا في المزدوج  
كما رأينا .

فهذا الخبر - اذن - وهذه المزدوجة يدحضان كل الأقوال السابقة  
والآراء المتقدمة التي تنسب أولية المزدوج الى بشر بن المعتمر أو الى  
غيره من الذين عاصروه . ويكون الوليد بن يزيد أول شاعر نظم في

١ - دائرة المعارف الاسلامية - مادة ( رجز ) .

هذا النوع من الشعر ، ويكون المزدوج قد عرف منذ العهد الأموي .  
وهذه المزدوجة قالها الوليد حينما كان مع ندمائه على شراب لهم .  
روى صاحب الأغاني قال : (١) « أخبرني محمد بن خلف وكيع قال :  
وجدت في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزهري عن عمر عن ابيه قال :  
خرج الوليد بن يزيد وكان مع اصحابه على شراب ، فقيل له : ان  
اليوم الجمعة ، ، فقال : والله لاخطبهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب  
فقال : -

الحمد لله ولي الحمد	أحمده في بسرنا والجهد
وهو الذي في الكرب استعين	وهو الذي ليس له قرين
أشهد في الدنيا وما سواها	أن لا اله غيره إلها
ما أن له في خلقه شريك	قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد	فليس من خالفه بمهتدي
وأنه رسول رب العرش	القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا	وبالكتاب واعظا بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا	وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد اصابا	أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل	قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم	حي صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد إن تزلوا	عن قصده أو نهجه تزلوا
لا تتركن نصحي فاني ناصح	إن الطريق فأعلمن واضح

١ - الأغاني ٥٧/٧ وزارة الثقافة .

من يتقى الله بجدٍ غبّ التقى  
 ان التقى أفضلُ شيءٍ في العملِ  
 خلوا الجحيمَ اخوتي لعلكم  
 قد قيلَ في الأمثالِ لو علمتمُ  
 ما يزرع الزارعُ يوماً بحصدهُ  
 فأستغفروا ربكمُ وتوبوا  
 يوم الحساب صائراً الى الهدى  
 أرى جماعَ البرِّ فيه قد دخلَ  
 يومَ اللقاءِ تعرفوا ما سرّكمُ  
 فأنتفخوا بذلك ان عقلتُمُ  
 وما يقدم من صلاحٍ بحمدِهِ  
 فالموتُ منكم فأعلموا قريبُ

ثم نزل .

فهذه المزدوجة التي رواها الأصبهاني يمكن أن تعد أقدم مزدوجة  
 ظهرت في عالم الشعر العربي ، أو قل انها ان لم تكن أقدم مزدوجة ظهرت  
 فهي أقدم مزدوجة وصلت اليها لأنها نظمت في عهد مبكر ، فالوليد كان  
 قبل ابي العتاهية وأبي نواس وبشر بن المعتمر ، ثم ان هذه المزدوجة  
 ليست كذلك المقطعات التي تكلم عنها صاحب دائرة المعارف ، فمزدوجة  
 الوليد من صميم هذا النوع . في حين راح صاحب الدائرة يتكلم عن  
 شطرين او مقارب ذلك وعدهما من المزدوج ، وهذا بعيد عن الصواب .

ولو تخطينا فترة نشوء الشعر المزدوج بقليل لوجدناه يستأثر بجانب  
 كبير من اهتمام الناس على قصر تلك الفترة التي ظهر فيها . وما ذلك الا سهولة  
 قافيته واختلافها بين كل شطرين ، لهذا فقد وجدوه مركباً ذلولاً نظموا فيه ما  
 صعب من علومهم وما عسر فهمه وحفظه كما وجدوا في وفرة موسيقاه  
 ما يتلافون به أنعدام العاطفة في تلك العلوم التي نظموا فيها فراحوا  
 يصوغون الأخبار والقصص ويدونون قواعد العلوم الفنون بهذا النوع من  
 الشعر حتى وجدت منه كميات كبيرة ربما لم يتيسر لباب من ابواب  
 الأدب أن يبلغ من الكثرة ما بلغه هذا الباب ، كما ان قصائده طالت



حتى بلغت آياتها الألف أو تزيد ، ولعل الذي ساعدهم على ذلك بساطة هذا الشعر من حيث عذوبة وزنه وعدم الرّامة قافية واحدة في كل آياته .

والحقيقة ان هذا اللون ليس فيه من مقومات الشعر سوى الوزن والقافية أما باقي اركان الشعر من خيال وعاطفة وقصد الى اثاره المشاعر فهو يفتقدها افتقاداً كلياً ، وانه انما سمي شعراً من ناحية الشكل لاغير .

وربما يكون الدكتور صفاء خلوصي قد وهم حين ظن ان تقفية المزدوج كانت الخطوة الأولى في ما يعرف بـ « المشطر » الذي يعد الشطر الواحد فيه بيتاً مستقلاً أو بمثابة البيت المستقل (١) ذلك لأننا نجد ان المشطر قد استعمل منذ القديم وقبل ظهور المزدوج فحينما نراجع الرجز الجاهلي نجد أن اكثره يتكون من ثلاثة أشطر أو خمسة أو ما أشبه ذلك كما في قول معقل بن عامر في يوم شعب جبلة : - (٢)

نحن "حماء الشعب يومَ جبلة" بكلِّ غضبٍ صارمٍ ومعبلة\* (٣)  
وهبكلٍ نهدٍ معاً وهيكلة\* (٤)

فلو لم يكن الشطر بيتاً ، فماذا تسمى تلك المقطعات ، وكم بيتاً

---

١ — انظر كتاب فن التقطيع الشعري والقافية — الدكتور خلوصي ٧٠/٢ مطبعة المعارف بغداد .

٢ — الأغاني ١٤٢/١١ وزارة الثقافة الأرشاد القومي .

٣ — المعبلة : السهم اذا كان نصله عريضاً فهو معبلة .

٤ — هيكلة : ضخم ، والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .

تحتوي ؟ أصبح أن نقول أنها تحتوي على بيت ونصف أو بيتين ونصف ؟  
كلا ، لا يصبح ذلك اذن وجب ان يكون الشطر بيتاً مستقلاً أو بمشابة  
البيت المستقل منذ ذلك العصر ، وهذا يدعونا الى القول بأن البيت ذا  
الشطر الواحد نشأ وظهر قبل البيت ذي الشطرين ، ذلك لأن البيت  
القصير اكثر ملائمة لطبيعة بداية الشعر ، فمن المحتمل أن يكون البيت  
الشعري قد نشأ بهذه الصورة من القصير محتوباً على شطر واحد ، ثم  
بعد ان تمكن الناس من نظم الشعر وأخذوا في تطويره كان تطويل  
البيت وجعله ذا شطرين أحد سمات ذلك التطور والى هذا ذهب  
صاحب دائرة المعارف الاسلامية بقوله : - ( يستطيع المرء ان يزعم  
ان الايات ذات المصراعين والتفاعيل الست قد نشأت عن الأبيات  
القصار : أي ذات المصراع الواحد ، وليس الأمر بالعكس ) (١) .

ومن هنا يظهر لنا أن الصواب لم يكن حليف الدكتور صفاء  
فيما ذهب اليه من أن قافية المزدوج كانت حافراً لظهور المشطر  
من الشعر .

أما المخمسات - وهي أن يؤتي بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة  
آخر في وزنها على قافية غيرها ، وهكذا الى ان يفرغ من القصيدة - فلم  
يستعمل فيها الا بحر الرجز خاصة لأنه سهل المراجعة (٢) .

والظاهر أن بشار بن برد هو أول من استعمل التخميس وفقاً لما  
ذكره فريبتاج ( Freytag ) . ولكن صاحب دائرة المعارف يقول :

١ - دائرة المعارف الاسلامية - مادة ( رجز ) ١٠/٥٤ .

٢ - العمدة ١٨٠/١ ط ٣ .

( ان مختارات شعره التي جمعها الخالديان لم يرد فيها ولا في كتاب الأغاني شيء من ذلك .

ومع هذا فعندنا في نسخة حمزة من ديوان ابي نواس - التي لم تطبع بعد - قصيدة تنسب له ، وربما كان الشاعر قد صنعها حقاً ، وهي خمسة طويلة كل مقطع فيها من خمسة مصاريع من الرجز ثلاثي التفعيلات ( ١ ) .

وابن رشيق يشير الى ان بشاراً كان ينظم الخمسات اذ يقول :  
( وبشار بن برد قد كان يصنع الخمسات والمزدوجات . . . ) ( ٢ )

ولكنني بحثت في الجزئين المطبوعين من ديوان بشار الذين حققهما ابن عاشور فلم أجد فيهما شيئاً من الخمسات وكما ذكر صاحب دائرة المعارف سابقاً من ان مختارات شعره التي جمعها الخالديان لم يرد فيها ولا في كتاب الأغاني شيء من الخمس فأين ذهبت - إذن - تلك الخمسات ان كان ما قاله ابن رشيق حقاً ؟ لا بد انها ضاعت .

والواقع ان الخمسات لم تشتهر كثيراً ، فقد كانت نادرة ، بخلاف المزدوجات التي كانت وسيلة مسلية بروح بها أهل العلوم الجافة عن أنفسهم جفاف علومهم وصعوبتها .

أخذ الرجز في ذلك العصر - أي العصر العباسي الأول - يرناد ميادين الحياة كافة ، فلم يترك ناحية من نواحيها الا عالجه ، حتى فاق

---

١ - دائرة المعارف الاسلامية مادة ( رجز ) .

٢ - العمدة ١/ ١٨٢ ط ٣ .



القصيد في باب الصيد بالجوارح إذ تجد غير شاعر ينظم في هذا الباب  
أراجيز كثيرة مثل الشمردل بن شريك التميمي وأبي نخيلة الراجز  
وابن المعتز .

فانظر الى ابن المعتز حيث يقول (١) :

لا صيدَ الا بوتـر      أصفر مجدولٍ يمر (٢)  
إن مسهُ الرامي نخر      ذى مقلةٍ تبكي مدر (٣)  
صنعة بارٍ مقتدر      دامَ عليها فمهر  
فجئن أمثال الأكر      لم يختلفن في الصور (٤)

وله خمس وعشرون مقطوعة رجزية في الصيد وآلاته ( انظر  
الديوان من صفحة ٢٨٧ الى صفحة ٣٠٠ طبعة دمشق ) .

وقد برز ابو نواس في هذا الغرض فأنشأ طردياته الجميلة ، حتى  
اصبح لكلب الصيد عنده مكانة الفرس عند امرئ القيس ، لهذا فانه  
راح يستعير صفات الفرس لكلبه ، ويصفه بما وصف به امرؤ القيس  
فرسه من انه يخرج من الاهداب وبأسر الأوابد وما اشبه ذلك ، ويظهر  
لنا مدى اعتزازه بكلبه وحبه اياه في قوله : - (٥)

١ — ديوان ابن المعتز ٢٩٥ ط ١ دمشق .

٢ — عمر : مفتول فتلاً شديداً .

٣ — المدر : الطين اليابس

٤ — أكر : جمع اكره ، وهي لغة في الكرة .

٥ — ديوان ابي نواس — الغزالي ص ٦٢٤ دار الكتاب العربي — بيروت .

أنعتُ كلباً أهله في كدهِ      قد سعدتُ جدودُهم بجددهِ (١)  
وكل خيرٍ عندهم من عندهِ      يظل مولاهُ له كعبدهِ  
بييتُ أدنى صاحبٍ من مهدهِ      وإن عَـرى جـللهُ بـبردهِ  
ذاغرةٌ محجلاً بزندهِ      نلذ منه العين حسنَ قدهِ (٢)  
تأخير شـدقيهِ وطول خدهِ

وقد نظم أبو نواس في الطرد تسعاً وعشرين أرجوزة (٣) .

كما التقى الرجز بالطبيعة ففاض على لسان أبي تمام في مطردياته  
البديعة انظره يقول واصفاً البرق والغيث : - (٤)

ياسهمُ للبرقِ الذي استطارا      باتَ على رغمِ الدجى نهارا  
حتى إذا ما انجدتْ الأبصارا      وبلاَ جهاراً أو ندىً سرارا  
أض لنا ماءً وكان ناراً      أرضى الثرى واستخط الغبارا

الى غير ذلك من الأغراض والفنون التي كان للرجز فضل الاجادة  
فيها ، حيث انه لم يقتصر على الاغراض التي استعمل فيها عند نشأته ، انما  
تناول كل تناوله القصيد من اغراض اضافة الى هذه الطرديات التي سبق فيها

---

١ - أهله في كده : اي يعيش اصحابه من كده وتعبه ، الجدود : الحظوظ .  
الجد : الاجتهاد .

٢ - الغرة : بياض الجبهة ، الزند : موصل الذراع بالكف .

٣ - راجع ديوان أبي نواس ( تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي ) القاهرة  
١٩٥٣ باب الطرد ص ٦٢٣ - ٦٧١ .

٤ - ديوان أبي تمام - عبد الحميد يونس ص ٢٥٧ القاهرة .

الرجز القصيد ، كما سبقه في الحدااء والحرب والصيد والمنتح .  
وسأتناول هذه الأغراض بالبحث الشافي والتفصيل الوافي ضمن  
اغراض الرجز .

ثم راحوا يولدون من الرجز انواعاً جديدة من فنون الشعر - كاتي  
مر ذكرها - من مزدوج ومخمس ، فهذا ابن المعتز يقول مزدوجته التي  
بلغت ( ٤١٩ ) بيتاً وهي في الخليفة المعتضد حيث مدحه فيها وسجل  
احداث عصره وقد ابتدأها بهذه الآيات :

باسم الاله الملك الرحمن	ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه	أحمده والحمد من نعمائه
وجعل الخاتم للنبيوه	أحمد ذا الشفاعة المرجوه
الصادق المهدب المطهرا	صلى عليه ربنا فأكثرنا
مضى وأبقى لبني العباس	ميراث ملك ثابت الأساس (١)

وهي طويلة جداً استغرقت اثنتي عشرة صفحة من ديوانه اكتفت  
منها بهذه الآيات .

اما ابن عبد ربه فقد نظم مزدوجة تبلغ ( ٤٤٦ ) بيتا سرد فيها  
تاريخ الأندلس وأشاد بغزوات عبد الرحمن الناصر ، وهي مزدوجة  
طويلة احتلت سبعا وعشرين صفحة من كتابه العقد الفريد ، وقد تسلسل  
في ذكر الوقائع حسب السنين ، فبدأها بسنة ثلاث مائة للهجرة وانهاها

١ - ديوان ابن المعتز ص ١٥٢ ط ١ دمشق .



بسنه اثنتين وعشرين وثلاث مائة للهجرة ، وفيها يقول : - (١)

سبحان من لم تجوهِ أقطار      ولم تكن تدركهُ الأبصار  
ومن عنت لوجهه الوجوه      فما له ندى ولا شبيه  
سبحانه من خالق قدير      وعالم بخلقهِ بصير  
. . . . .  
. . . . .  
وبعد حمد الله والتمجيد      وبعد شكر المبدى المعبود  
أقول في أيام خير الناس      ومن تحلى بالندى والبأس  
. . . . .  
. . . . .  
هو الذي جمع شمل الأمة      وجاب عنها داحسات الظلمة  
وجمع العدة والعديدا      وكثف الأجناد والحشودا

وهذا أبان بن عبد الحميد اللاهقي يحول بالرجز المزدوج كتاب  
كليلة ودمنة من منشور الى منظوم ، وهي ارجوزة طويلة قال في مطلعها :  
هذا كتاب أدب وفطنه      وهو الذي يدعى كليلة ودمنه  
فيه احتيالات وفيه رشد      وهو كتاب وضعته الهند

ولكن مع هذه الابتكارات الجديدة أخذ أمر الرجز يسوء شيئاً  
فشيئاً ومنزلته تقل يوماً بعد يوم وشعبيته تنقاص بين آونة واخرى . وقد  
( ازداد الأمر سوءاً عندما تشبث المعلمون بالرجز مساعدة للمطالبين على

١ - العقد الفريد ٤٣٠/٥ القاهرة .

حفظ شتى الموضوعات ( ١ ) حتى عاد أشبه بوزن خاص للاستعمال في الأغراض التعليمية التي تعد اغراضاً جافة لا تستسبغها النفس ولا يتقبلها الشعور فلجأوا الى الرجز مستغلين فيه خفة وقمة وسهولة حفظه وسلاسته وعذوبته .

كما انهم أرادوا أن يعوضوا عن فقدان المشاعر والمواطف في تلك المنظومات التعليمية بهذه الموسيقية الرجزية العذبة .

وقد ادى الرجز ما عهد اليه وطلب منه ، وأرضى حاجتهم في هذا الميدان الصعب وكان خير عون لهم للحصول على ما ينشدون ، ولكن هذه الخدمة التي قدمها لهم لم تكن لتحفظ له مكانته ، ولكنها كانت تضحية أفقدته رشاقته وشعبيته ، حتى تحامى بعض الشعراء نظم الارجيز مع استطاعتهم الاجادة فيها ، فهذا المتنبي اجاد في ارجوزته : -

ما أجدراً الأبايمَ والليالي بأنْ تقولَ مالها ومالي

ولكنه مع هذه الاجادة لم يكن يرغب في نظم الارجيز لما اشتهر بين الناس من ان بحر الرجز بحر خاص بالمنظومات التعليمية ثم هذا المعري على قدرته في الصناعة لم يلم به الا بسيراً ، فالتقصير - اذن - لم يكن من بحر الرجز وانما جاء من الاغراض التي كثر استعماله فيها ، والتي لم تكن أهلاً لأثارة العواطف .

وأستطيع أن اقول : أن الرجز التعليمي قد جنى جناية عظمى على بحر الرجز فصار الشعراء يبتعدون عنه وقل منهم من يستريح اليه ، وكأنما

---

١ - دائرة المعارف الاسلامية مادة ( رجز ) .

رضوا بأن يتركوا هذا البحر الرشيق الجميل لنظام الالفيات وما بمجراها  
يعشون به ما شاءوا ، وفات الشعراء أن هؤلاء المعلمين ما اتخذوا الرجز  
مركباً الا لسهولة وحلاوة نغمه وخفته في الانشاد (١) .

على ان ثمة سؤالاً لا بد من الاجابة عنه ، وهو كيف ان الرجز  
الذي استهدف اثاره العواطف - كما يستدل من استعماله في الأصل -  
قد انتهى الى وزن خاص بالقصص والوصف والتعليم ؟ بل انه غداً نظماً  
رقيقاً يستخدمه المعلمون في حشو اذهان الطلاب .

وعلة ذلك أن الرجز بفضل ما فيه من سعة عروضية كان ايسر  
منالاً من البحور الأخرى ، ولكتنا نجد انهم استعملوا في هذه الاغراض بعض البحور  
الآخري كالسريع والبسيط والمنسرح ، ثم ان الشعراء والعلماء الذين استعملوا الرجز  
في اغراض تعليمية لم يكونوا هواة غير مجيدين ، بل كانوا قوماً يستطيعون أن يجيدوا  
تناول أوزان أخرى أكثر منه صعوبة . اذن علينا أن نتلمس سبب تفضيلهم  
الرجز في ناحية أخرى . ولكن اين ؟ جاء في دائرة المعارف الاسلامية  
اتنا : - ( نستطيع في هذا المقام ان نفترض انهم فضلوا هذا الوزن  
الذي يثير الانفعالات لأنه يشبع الحياة في موضوعات لا تستهوي الناس  
أو قل انها ميتة ) (٢) .

كما يجب أن لا ننسى أنهم استعملوا في هذه أكثر ما استعملوا  
المزدوج وهو - زيادة على وفرة موسيقاه واثارته للانفعالات - أسهل قافية  
من باقي أنواع الشعر الأخرى وهذا ما ساعد الشعراء على نظم المزدوجات

١ - المرشد الى فهم اشعار العرب - المجدوب ١/٢٥٩ .

٢ - دائرة المعارف الاسلامية ( رجز ) ١٠/٥٧ .



الطويلة دون أن تضيق القافية بذلك ذرعاً حتى وجدت هذه المزدوجات التعليمية بكثرة مفرطة . وانك لو اجد نماذج هذه المنظومات في أكثر علوم العرب . ففي النحو تعثر على الفية ابن مالك ، وفي التجويد تجد مقدمة الجزري وفي فقه المالكية هناك تحفة الحكم .

كما تجد مزدوجات في الكلام والنصوف والفقهاء والتورث وتعيين القبلة وتقويم البلدان وتستطيع ان تلم باسماء منظومات أكثر في شتى العلوم في كتاب بروكلمان ٩٦/٢ (١) .

وفي تلك الاثناء اخذت الأراجيز الحقيقية طريقها الى الفناء والزوال ، واخذ الناس ينظمون اراجيزهم على طريقة الشعر المزدوج ، حتى ان اراجيز عقبة بن روبة - الذي شهد نهاية عصر الأراجيز - لم تصلنا ، واعل استئصال الناس لتلك الأراجيز كان سبب انصرافهم عن روايتها ، أو لأن اراجيز عقبة لم تجد لها مجالاً تسير فيه بين الناس أو لم تكن أهلاً لأن يعطيها الرواة جزء من وقتهم .

أما أسباب اختفاء هذه الأراجيز في عصر بني العباس فيمكن أن نجعلها على ضربين :-

أسباب صناعية واخرى طبيعية .

أما الصناعية فهي صعوبة حفظ روى واحد في الأشعار الطويلة ذات الأبيات القصيرة التي هي من شطور الرجز ، ثم الملل الناشيء عن هذا الروي الوحيد للأبيات القصيرة إن طال الشعر .

---

١ - دائرة المعارف الإسلامية مادة ( رجز ) .

ومنها - ايضاً - صعوبة حصر معنى تام في بيت من الرجز المشطور  
وما ينتج منها من الاضطرار الى تقسيم المعنى الواحد على بيتين أو أكثر،  
وذلك يضر وضوح المعنى ويسبب التعقيد ويخالف ما تعارف عليه الناس  
من أن البيت مستقل عما قبله وبعده في معناه .

أما السبب الطبيعي فهو أن الأرجوزة الحقيقية انما كانت من  
مخترعات شعراء البادية لم يذهب اليها أحد من الحضريين الا نادراً . وهي  
شعر بدوي محض لغة وموضوعاً فانف منه الشعراء العباسيون لأنهم كانوا  
بعيدين عن عيشة الاعراب فمن المعروف أن الانسان - في الأغلب - لا  
يتكلف ما لا يكون معهوداً في طبعه ولا موجوداً في خلقه (١) .

ولعل هذا الشيء يفسر لنا ما قاله عقبة بن ربيعة لبشار بن برد  
حينما كان ينشد الأمير عقبة بن سلم أرجوزة يمدحه فيها وقد استحسناها  
بشار فقال له عقبة بن ربيعة : - ( انك لا تحسن هذا الطراز  
يا أبا معاذ ) (٢) أي أنك لست بدوياً لكي تتمكن من نظم الأراجيز ، وهذا  
ما أثار غضب بشار ودفعه الى نظم أرجوزة جيدة انشدها بحضرة الأمير  
عقبة بن سلم في اليوم التالي وهي أرجوزة طويلة مثبتة في ديوانه (٣)  
مدح بها الأمير ، فلما انجزها بهت الأمير والحاضرون ورفض عقبة بن  
ربيعة عرفاً خجلاً .

---

١ - تاريخ الاداب العربية - نلينو/١٩٤ .

٢ - الأغاني ١٧٥/٣ وزارة الثقافة .

٣ - الديوان ٢١٩/٢ ابن عاشور .

نستطيع بعد هذا العرض المفصل ان نستخلص حقائق ونقاطاً  
أساسية مهمة تخص هذا الموضوع .

أما من حيث بداية الشعر فأنها مجهولة لا يمكن تحديدها ، كما  
انه لا يمكن معرفة أول من قال الشعر ، لأنه لا توجد هناك أية أدلة  
تحدد لنا زمن نشوء الشعر . وعلى هذا ذهبنا الى ان المقطعات الرجزية  
القصيرة التي عالجت اغراض العرب البدائية كانت منطلقاً لنشوء  
الشعر .

هذا وقد تقدم القصيد تقدماً كبيراً في الفترة التي سبقت ظهور  
الاسلام ، وحتى بعد ظهور الاسلام . أما الرجز فقد ظل يتخبط  
في تلك المقطعات القصيرة التي لا تتجاوز ابياتها عدد اصابع اليد .

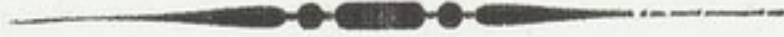
واستمر على هذا الحال حتى العصر الأموي حيث ظهر في هذا العصر  
شعراء قصرُوا جهودهم على النظم في بحر الرجز ، وكان من هؤلاء  
الأغلب العجلي والمعجاج ورؤة وغيرهم ، وعلى ايدي هؤلاء خاض الرجز  
جميع الميادين التي خاضها القصيد ، وطرق معظم الأغراض ، وظهرت  
فيه خصائص أمتاز بها عن غيره ، كما كان الرجاز يذكرون في رجزهم  
كثيراً من الالفاظ الغريبة والشاذة تلبية لرغبات الناس ، وارضاء لميول  
اللغويين والنحاة .

ويغلب على الظن أن الموشح نشأ على نظام الرجز في التصريح  
وجعل الشطر وحدة أساسية . كما يرجح أن فكرة الشعر الحر مأخوذة  
من الرجز ومعتمدة عليه .

واخذ الرجز في التطور حتى ظهرت منه المزدوجات والمخمسات ثم



ظهرت الطرديات وهي فن رجزى تناول وصف الصائد والانه وحيوانه ،  
كما تناول الرجز وصف الأنواء وما يحدث خلال العام من ظواهر طبيعية  
ثم سخر الرجز لوصف الرياض والاشجار والفواكه والزواحف والحشرات .  
ولكن بعد كل هذا أخذت مكانة الرجز تقل تدريجياً ، والسبب  
في ذلك يرجع الى كثرة استعمال الرجز في الأغراض التعليمية حتى أصبح  
الشعراء يتحامون النظم فيه .



## الفصل السادس

### مكانة الرجز

قد يكون من مستلزمات بحثي هذا أن أكمل صورته التي يجب أن تستوفي جميع جوانبها ، فأبين مكانة هذا الموضوع المهم في نفوس العرب لاسيما انه بداية شعرهم وأول مولود منه .

وأبرز ما يوضح لنا تلك المكانة هو كثرة الأغراض التي استعمل فيها الرجز ، بحيث لم يتيسر لأي بحر من البحور الأخرى أن يتناول ما تناوله الرجز من اغراض ، ثم كثرة ما وصل منه اليينا ، حتى ان معظم كتب الأدب واللغة والتاريخ قد شحنت بالرجز فأحتل منها جانباً كبيراً ، أضف الى ذلك كثرة استشهاد اللغويين والنحويين بالرجز سواء في ذلك استشهادهم على الغريب والشاذ أم استشهادهم على القياسي المطرد .

لقد انتشر الرجز بين العرب انتشاراً واسعاً حتى بعد ظهور القصيد ،  
وتظهر سعة هذا الانتشار في العدد الكثير من ابيات الرجز الواردة في  
كتب الأدب ، مما دعت هذه الكثرة ابا زيد الانصاري الى ان يميز في  
كتاب النوادر بين ابواب الشعر وابواب الرجز .

وهذه الأهمية جعلت يونس بن حبيب يرفع العجاج الى اعلى  
مراتب الشاعرية ويعده اشعر أهل الرجز والقصيد على السواء ويعل  
ذلك بقوله : -

( انما الشعر كلام فأجودهم كلاماً اشعرهم ) (١) ثم ان ( قيمة  
الشعر بجودة معانيه وجلال مقاصده وجمال صياغته ) (٢) .

وعندما سمع يونس شبيل بن عذرة الضبعي يقول لابي عمرو  
ابن العلاء :

سألت رؤيتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، غضب يونس  
وقال ، لملك تظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة ومن أبيه (٣) .

هكذا كانت الارجيز موضع اعجاب يونس وأمثاله من اهل العربية :  
لما فيها من قوة الصنع وجودة السبك ووفرة الموسيقى كما ( انها هي

---

١ - الأغاني ١٢٤/١٨ و ٦/٢١ ساسي والعمدة ٨٩/١ .

٢ - خريدة القصر - العماد الأصبهاني ١٦/٢ من تعليق للمحقق الاثري  
في الهامش .

٣ - وفيات الاعيان - ابن خلكان ٦٣/٢ والأغاني ٥٧/٢١ ساسي وطبقات  
النحويين - الزبيدي - ط ١ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .



الأصريح في الدلالة على الاحلاق والفوائد والأصعب في الصناعة لبناء  
السطور على حرف واحد ، فإن الرجل كان لا يقول أرجوزته الا وهو  
أصفى ما يكون روحاً وأنبه ما يكون هبة من رقدة ( ١ ) .

ومن اجل هذه الكثرة الواسعة والمكانة المرموقة أصبح الرجز  
( ديوان العرب في الجاهلية والاسلام وكتاب لسانهم وخزانة انسابهم  
واحسابهم ومعدن فصاحتهم وموطن الغريب من كلامهم ، لذلك حرص  
عليه الأئمة من السلف واعتنوا به حفظاً وتدويناً ) ( ٢ ) حتى ان ابن رشيق  
ذهب الى أن الشاعر لا يعد كاملاً الا اذا أجاد تناول فنون الشعر وانواعه  
كافة حيث قال ( والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل ) ( ٣ ) .

ومن هنا تتجلى اهمية الرجز في عده ركناً مهماً لاكتمال شاعرية  
الشاعر وقد افتخر القدماء بقدرتهم على نظم الرجز كافتخارهم وقدرتهم  
على نظم القصيد ، فهذا الأغلب العجلي يجيب المغيرة بن شعبه والي الكوفة  
بمد ان سأله عما احدث في الاسلام من شعر :

أرجزاً تريد أم قصيداً      لقد سألت هيناً موجوداً

كما كان رجاز العرب الكبار من امثال العجاج وابنه رؤبه وابي  
النجم يقفون على قدم المساواة مع كبار الشعراء المقصدين ، وحكاية رؤبة  
مع ابي مسلم الخراساني خير شاهد على سعة الرجز وسيورته وانتشاره  
في الأفاق . فأبو مسلم يبعث في طلب رؤبة لينشده أرجوزته التي مطلعها :

١ — اراجيز العرب — البكري / ١٩٣ من تقرير علي بك رفاة على الكتاب .

٢ — اراجيز العرب — البكري ص ٤ ط ١ .

٣ — العمدة / ١٨٩/١ .

« وقاتمِ الاعماقِ خاويِ المخترقِ »

والتي يقول فيها :

« يرمي الجلاميدَ بجلمودٍ مدقِّ » (١)

فيقول له ابو مسلم قاتلك الله لشد ما استصلبت الحافر ، انا ذلك  
الجلمود المدق (٢) . فأنظر كم تأثر الناس - حتى الطارئون على العربية -  
بالرجز وما فيه من تشبيهات بدیعة ووصاف جميلة ونبرات قوية ، مما  
اطرب ذلك ابا هريرة ( رض ) واثار عاطفته ودفعه الى أن يظهر  
استحسانه حينما انشده العجاج :

« ساقاً بخنداءٍ وكعباً ادوماً » (٣)

ثم قال : كان النبي ( ص ) يعجبه نحو هذا من الشعر . وانما  
يريد أن يدل بذلك على اهمية الرجز وولوع الناس به . حتى ان  
الرسول الكريم ( ص ) الذي صُرفَ عن الشعر أحب هذا النوع منه  
فكان موضع اعجابه وتقديره .

اما ابن سلام الجمحي فقد جعل للرجز طبقة خاصة في طبقاته  
وجعل ترتيبها التاسعة بين طبقات الاسلاميين (٤) .

---

١ - وبعده قوله : ( « مما تن غابتها بعد النزق » ) .

٢ - الأغاني ١٢٢/١٨ و ٥٨/٢١ ساسي .

٣ - وبعده ( وكفلاً وعتاً وكشحاً اهظما ) البخذاءة : الضخمة ، وأدرم :  
لاحجم له ، الكفل العجز ، والرعث : المكان السهل : يقول هذا الكفل  
ليس بالصلب ، والاهظم : الحميص اللطيف .

٤ - طبقات الشعراء ص ٥٧١ .

والحقيقة ان الرجز كان كثيراً يقوله عامة الناس . وربما يتفق لهم ذلك دون قصد اليه ولم يشتهر فيه احد قبل الاغلب المعجلي فهو الذي أكثر من نظمه ، اما قبله فقد كان تنفأ بسيطة يستطيع معظم الناس ان يطلقوها . ولهذا كان الرجز فناً شعبياً بكل معنى الكلمة ،

ونظراً لهذه الشعبية الواسعة فقد كانت كمية الرجز كبيرة جداً حتى أن الاصمعي قال ( ما بلغتُ الحلمَ حتى رويتُ اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب ) (١) ثم قيل انه ( كان يحفظ ألف أرجوزة وقيل مثل ذلك عن أبي تمام الطائي ) (٢) وليس هذان وحدهما كانا يحفظان مثل هذا العدد فقد ( عهدنا فحول شعراء القرن الثاني والثالث والرابع وحتى الخامس كان يفتخر احدهم بأن يحفظ خمسة آلاف أرجوزة ، لعلمه بأن هذا النوع هو الذي بهرت الشدقين لادونه ، فهو اشد ما يكون حرصاً على حفظ هذه الدرر المكنونة ) (٣) .

ومن لطيف هذه الحكايات ما نقله الجاحظ عن ابي عبيدة أن ثلاثة من بني سعد اجتمعوا يراجزون بني جمدة ، فلما سئل شيوخ بني سعد عما يحفظون اجاب الأول قائلاً : أرجز بهم يوماً الى الليل لا أفتج (٤) وقال الآخر : أرجزُ بهم يوماً الى الليل لا أنكف (٥) واجاب الثالث :

١ — العقد الفريد — ابن عبد ربه ١٥٦/٦ .

٢ — اراجيز العرب — البكري ص ٤ .

٣ — المصدر السابق ص ١٩٣ من تقرير علي بك رفاة على الكتاب .

٤ — لا أها .

٥ — لا انقطع .



أرجزُ بهم يوماً الى الليل لا أنكش (١) ، فلما سمعت بنو جعدة كلامهم  
أنصرفوا وخلوهم (٢) .

ومثل هذا يعطينا صورة جلية عن مدى اهتمام العرب بالرجز ،  
ولكن ابن تلك الآلاف من الأراجيز التي كان يحفظها الأصمعي وغيره أو  
التي كانوا يروونها ؟ !

ان تلك الفترة التي سبقت بلوغ الأصمعي لم تكن كافية لأن  
يقول فيها الرجاز المتخصصون آلاف الأراجيز ، واقصد بالأراجيز - هنا -  
ما تعرف عليه فيما بعد من أمثال أراجيز المعجاج وابنه رؤبة وابي النجم  
وغيرهم ، فماذا يعني الأصمعي - اذن - بقوله أرجوزة ؟ المرجح انه  
كان يقصد تلك المقطعات الرجزية الجاهلية منها والاسلامية فاطلق عليها  
لفظ أرجوزة .

وإذا لم يكن هذا قصده ، فأين تلك الأراجيز التي يقول انها  
بلغت اثني عشر الف أرجوزة ، أبحتمل انها ضاعت ؟ قد يكون ذلك .  
احتل الرجز هذه المنزلة العظيمة في نفوس القوم ، اذ بلغ من  
حبهم للرجز أن اهتم الخلفاء والولاة بتقريب الرجاز من مجالسهم واحاطتهم  
بالتكريم والاجلال فهذا الوليد بن عبد الملك يأذن للمعجاج ثم لابنه رؤبة  
من بعده بالانشاد قبل غيرهم من الشعراء الفحول من أمثال جرير  
وغيره (٣) وهذا هشام بن عبد الملك يصفق يديه استحساناً لابي النجم

---

١ - لا انزف أي لا ينفذ ما عندي .

٢ - تاريخ آداب العرب - الرافعي ١٥/٣ والشعر والشعراء ٣٧/١ بيروت .

٣ - التاريخ الكبير - ابن عساکر ٣٩٤/٧ والاعاني ١٢٢/١٨ ساسي .

وهو ينشده. ارجوزته التي سماها رؤبة « أم الرجز » (١) والتي مطلعها :

الحمد لله الوهوب المجزل (٢)

وحينما غلبت لهشام فرس أمر بالشعراء فقال لهم : قولوا في هذه  
الفرس السابقة وابنها . فلم يتمكن أصحاب القصيد من اجابة طلبه  
وقالوا : انظرنا حتى نقول . فانبرى ابو النجم الراجز في الحال وقال :  
هل لك في رجل ينقدك اذا استنسوك ؟ قال : هاته فقال من ساعته : -

أشاح للفراء فينا ذكرها قوائم عوج أطعن امرها  
وما نسينا بالطريق مهرها حين نقيس قدره وقدرها  
وضبره إذ أوعنا وضبرها والماء يعلو نحره ونحرها (٣)

فانظر كيف بزّ الرجز القصيد وسبقه !

وكان أبو النجم يحظى بجوائز الامراء برجزه قبل الشعراء ، فقد  
وهب له خالد بن عبد الله القسري جارية جميلة من سبي الهند البيض  
حينما طلب منه أن يصفها فقال في وصفها رجزاً مكنه من الظفر بها (٤)  
وليس ادل على مكانة الرجز والرجاز من قول الخليل بن احمد  
حين توفي رؤبة فقال يعقوب بن داود : يا ابا عبد الله ، دفنا الشعر واللغة  
والفصاحة اليوم . فسأله : وكيف ذلك ؟ قال : هذا حين انصرفت من  
جنازة رؤبة (٥) .

٢ — الأغاني ١٠/١٥٠ وزارة الثقافة .

٢ — الشعر والشعراء — ابن قتيبة ٥٠٢/٢ بيروت .

٣ — المصدر السابق ٥٠٤/٢ .

٤ — الأغاني ١٠/١٥١ وزارة الثقافة .

٥ — الأغاني ١٨/١٢٥ سياسي .

ألم تر انه جعل الراجز رؤبة منبع الشعر واللغة والفصاحة !  
ويكفي الرجز والرجاز فخراً ان يتمسح باعتبارهم اهل اللغة والنحو  
كيبونس وابي عمرو بن العلاء . يلتقطون عنهم ما يصدر من افواههم من  
غريب الالفاظ ومبتكرها ويعدونها كنوزاً يفخرون بها ويرصعون بها صحفهم .  
على ان هذه النظرة الحسنة الى الرجز والرجاز لم تراود فكر  
ابي العلاء المعري ولم تداعب خياله ويظهر ان نظرتة التشاؤمية الى الحياة  
وما فيها من طيبات تجاوزت تلك الامور ودفعته الى التشاؤم من الرجز  
والرجاز والسخرية بهم ، ثم غمط حقهم إذ اسكنهم تلك الجنة البسيطة .  
والحق انه لم يسخر من بحر الرجز ولم يتشام منه ، فقد جاءت  
له بعض القصائد على بحر الرجز . واطن انه عنى تلك الأراجيز الطويلة  
التي احتوت على الفاظ غريبة وكلمات شاذة صعبة الفهم عسرة الادراك  
ونستطيع ان نتلمس بعض اسباب حنقه وعضبه على الرجز في تلك  
المحاورة التي ادارها بين رؤبة وابن القارح والتي اوردها في رسالة  
الغفران . فهو بعد ان اسكن الراجاز جنة بسيطة ( ليس لها سموق ابيات  
الجنة ) ( ١ ) عقب على ذلك قائلاً : ( تبارك العزيز الوهاب ! لقد صدق  
الحديث المروي « إن الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها » وان  
الرجز لمن سفاسف القريض ، قصرتم ايها النفر فقصر بكم ) ( ٢ ) فهو  
ينظر الى الرجز هذه النظرة الشذراء ، واسبابها تظهر في قول ابن القارح  
لرؤبة : ( يا أبا الجحاف ، ما كان اكلفك بقواف ليست بالمعجبة ! تصنع

١ و ٢ — رسالة الغفران — المعري ص ٣٦٦ ط ٢ تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء



رجزاً على الغين والطاء والظاء وعلى غير ذلك من الحروف النافرة (١)  
فهو كما ترى - بعد الرجز أدنى منزلة من القصيد ، ولهذا قصر  
الرجاز برجزهم فقصر بهم في جنتهم ، وكيف لا يقصر بهم وهم اصحاب  
الرجز الذي لم يلحق يوماً ما بالقصيد كما يدعي :

قصرت أن تدرك العلياء في شرف

إن القصائد لم يلحق بها الرجز (٢)

على أن هذه النظرة لم تتعد ابا العلاء ، اللهم الا ابا حاتم فانه  
سأل الأصمعي عن الأغلب المعجلي : أفحل هو أم من الرجاز ؟ (٣)

والظاهر ان الجانب الذي استاء منه ابو العلاء في الرجز هو بعينه  
الجانب الذي استحسنته يونس واضرا به من اللغويين والنحويين ، وهو غرابة  
التعابير وصعوبة الكلمات وابتكار الالفاظ . فكل واحد نظر الى الرجز  
من جهته الخاصة به .

فالادباء نظروا اليه من جانب سهولة الالفاظ وسلاسة الاسلوب  
وخفة التعابير ، فلم يجدوا فيه من هذا الا الشيء القليل ، في حين وجدوا  
فيه الفاظاً كالصم الصلاب في وقعها على المسامع . اما اللغويون والنحاة  
فقد نظروا اليه من جانب القياس في الالفاظ والابتكار في الكلمات ،  
فوجدوا فيه بغيتهم من شاذٍ وغريب ومبتكر في اللغة .

١ - رسالة الغفران - المعري ص ٣٦٦ .

٢ - اللزوميات - المعري ١/٦٢١ بيروت .

٣ - الموشح - الموزباني ص ٢١٣ .

## الفصل السابع

### خصائص الرجز

إذا كان للأشياء صفات خاصة بها تميزها عن سواها . فإن الرجز قد أمتاز بخصائص عدة ربما يكون قد اكتسب بعضها بعد التطور الذي أصابه ، وخاصة ما تمثل في تلك الأراجيز الطويلة .

وفي هذا الفصل سأحاول الوقوف على تلك الخصائص بصورة مفصلة متبعاً التقسيم الآتي نظراً لما تتطلبه طبيعة الموضوع .

## الشكل

والبحث في شكل الرجز يتناول اموراً عدة منها : البحث في الالفاظ والوزن . وأرى من الضروري أن اتناول هذه النقاط بالبحث والدراسة .

أ — اللفظ : — ميزة اللفظ أهم الميزات التي حواها الرجز ، فمن يقرأ رجز العرب وخصوصاً دواوين الرجاز لا يحس الا أنه يسير فوق جبال كلها صخور قوية كبيرة لا يتخلص من صخرة الا وبجابه اخرى أقوى من السابقة وأشد ، وما ذلك الا لغرابة ألفاظ الرجز وحوشيتها ثم انك لا تستطيع أن تفهم معناها ما لم يكن لديك شرح لها أو قاموس يعينك على فهمها وتلك الالفاظ انما كانت حوشية غريبة بالنسبة لأولئك الناس الذين عاصروا الرجاز فكيف بنا وقد بعد العهد بيننا وبينهم حتى فسدت لغتنا فسيناها أو كدنا ! وبخيل لي أنهم انما كانوا يأتون بتلك الالفاظ الغريبة والتعابير الشاذة استجابة لرغبة المغويين والنحويين خاصة وارغبة الناس الذين أولعوا بحب الغريب عامة . هؤلاء الناس الذين أهملوا شعر معاصريهم ولم يهتموا الا بشعر الجاهليين . فجاء الرجاز يسابرون أهواء الناس ورغباتهم فيأتون لهم بكل شاردة . وراح يونس وأمثاله يترقبون ما يصدر عن المعجاج وابنه رؤبة وغيرهما من الرجاز من كلمات غريبة والفاظ حوشية ليدونوها في صحفهم ويطلعوا بها على الناس فرحين جذلين .

واذ كان النقاد وأهل اللغة والنحو يهتمون بالغريب هذا الاهتمام الشديد ، فإنه من الواضح أن اكثار هؤلاء الرجاز من هذا الرجز المملوء



بالغريب الذي يخدم الأغراض النحوية ( لا يمكن أن يكون من باب الصدقة والاتفاق أو باب اللهو والعبث ، وإنما هو أمر مقصود لذاته أريد به ارضاء النحاة واكتساب اعجابهم ؟ أو اظهار المقدرة والبراعة في تطبيق نظريات النحو والصرف ) (١) فجاءت دواوين العجاج ورؤية وغيرهما معاجم الالفاظ الغريبة ، ولولا عناية صاحب الصحاح وصاحب اللسان واضرا بهما لاستغلق على القارىء فهم الكثير من تلك الكلمات ، فبالإضافة الى هذا الغرض اللغوي كانت الارجيز شعراً بدوياً لغة وموضوعاً ، فأدازها الرجاز على مواضع مألوفة عند سكان البراري وملاوها بالفاظ غريبة تكاد تكون خاصة بأهل البادية بعيدة عن متعارف أهل الحضر (٢) .

ومن هذا القبيل قول رؤبة بعد وصفه حماسة قومه (٣) :

عبلُ المداويسِ منيفُ الشنخابُ\* أحزمُ تخشاهُ قهوبُ الأقهابِ (٤)  
يخطرُنَ من خشبتهِ بالأذنانِ\* والجزلُ أبقي من قماشِ الأحطابِ (٥)

- ١ — نقائض جرير والفرزدق — الدكتور غناوي ٣١١ .
- ٢ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ١٩٤ .
- ٣ — ارجيز العرب — البكري ١٧٠ ط ١ .
- ٤ — العبل : الضخم ، المداويس : القوائم ، المتيف : العالي ، الشنخاب : أعلى كل شيء ، والأحزم : العظيم الوسط ، والقهوب : المسن من الابل ، والاقهbab كذلك .
- ٥ — الجزل : ما غلظ من الحطب ، يخطرُن : يضربن بأذنانهن من مخافته ، وقوله : والجزل أبقي : يريد ان الاحرار من الناس أبقي على المكاريه من اللثام .

والهمُّ لا يقضى كسل الأوصاب أرجو انتسابي بقرب الاقرب (١)

فانت ترى أن أكثر هذه الكلمات لا نستطيع فهم معانيها ما لم  
نستعن عليها بما يوضحها . ومن هذا قوله أيضاً : (٢)

لنَّ لرَبَّانِ الشَّبابِ غَيْهَقَا كَأَنَّ بِي مِنَ أَلْقِ جِنِّ أَوْ لِقَا (٣)  
وَلَا أَحَبَّ الْخَلْقَ الْمَمْدُومَا وَالْفَرُّ مَغْرُورٌ وَإِنْ تَلَهَوْقَا (٤)

وقوله كذلك في أرجوزته المشهورة : (٥)

وقاتمِ الأعماقِ خاويِ المخترقِ مشتبهِ الأعلامِ لماعِ الخفقِ (٦)

١ — يقول : أن الحاجة اذا لم تقض بقيت في صدر صاحبها بقاء السل ، ويقول :  
نسي من قرب تقربي الى امير المؤمنين .

٢ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط مصور ٤ .

٣ — ربعان الشباب : أوله ، ويقال رجل مألوق به أولق : اذا كان ذاهب  
العقل والغيبق : النشاط .

٤ — الممدق : الرديء ، والفر : الرجل الذي لا يعرف الاشياء ، يتلهوق .  
يتحذلق بما ليس عنده ، أي يمدح نفسه بما ليس فيه .

٥ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط مصور / ٦٠ .

٦ — القاتم : من القتام وهي الغبر الى الحمرة ، والخواوي : الخالي والمخترق :

المر ومشتبه الأعلام : أي الجبال التي يهتدي بها . يقول : هذه الجبال

يشبه بعضها بعضاً فتشبهه السراية فيها عليه ، والخفق : اصله الخقق ساكنة

القاه محركة للقافية يريد أنه يلمع فيه السراب : أي يضطرب .

يكلُّ وفدُ الريحِ من حيث انخرقُ شأزٍ بمن عوّةٍ جدبِ المنطلقِ (١)  
ولا أريد أن اطبل في سرد هذه الامثلة فهي كثيرة حتى أنني استطيع  
أن اقول ان دواوين العجاج ورؤبة وأكثر الرجاز كلها من هذا النوع .  
والذي يؤيد ما ذهبنا اليه من أن هدف الرجاز الأول كان خدمة  
اللغة في منحاهم هذا ، كثرة الرجز الذي استشهد به على ما في اللغة من  
غريب وشاذ ، ثم الاستشهاد به على تعدد اللهجات . واستعمال اللهجات  
المختلفة في الرجز انما يعود الى كونه فناً شعبياً لا بأس من أن تستعمل  
كل قبيلة لهجتها فيه .

ومن هذه اللهجات قول أبي الحرب بن الأعمى ( كما نسبه أبو زيد  
في النوادر (٢) ) :

نحنُ الذونُ صبحوا الصباحا يوم النخيل غارةً ملحاحا  
وهذه هي لغة هذيل حيث اعربوا ( الذين ) بالواو والنون رفماً  
وبالياء والنون نصباً وجرأ . ومن تلك اللهجات قول الراجز (٣) :

إن أباهاً وأبا أباهاً قد بلغا في المجدِ غابتاهما

---

١ — وفد الريح : أولها مثل وفد القوم ، وقواه انخرق ، يقول من حيث صار  
خرقاً والخرق : الواسع من الارض . واذا اتسع الموضع فترت الريح  
فيه واذا ضاق اشتدت ، وشأز : يقول هو غليظ خشن لا يقيم به أحد ،  
عوه : أقام ، وجدب المنطلق . يقول أن أقام به أشأزه وأستخصه ، وان  
انطلق فيه رأه جدباً . يريد أن الريح تفتت فيه لبعده اطرافه .

٢ — النوادر في اللغة — أبو زيد / ٤٧ ، وقد وردت هذه الايات في المفردات  
التي نسبت الى رؤبة في مجموع أشعار العرب / ١٧٢ .

٣ — شرح ابن عقيل ٤٦/١ ط ٦ .



نرى أنه الزم المثني الألف في احواله كلها . وهذه لغة قوم من  
العرب اشتهرت نسبتها الى بني الحارث وخثعم وزبيد .  
ومن هذه اللهجات ما نسب الى رؤبة في قوله :  
اعرف منها الجبد والعينانا ومنخرين اشبها ظيانا  
ويظهر استعمال اللهجات العربية في قول الراجز حيث ابدل الباء  
جيماً : -

عمي عويف<sup>\*</sup> وابو عالج<sup>\*</sup> المطعمان اللحم بالعشج<sup>\*</sup>  
وهو يريد ( ابو علي والعشي ) ويقال ان هذه لهجة قضاة وقال  
ابو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : عن انت ؟ قال :  
فقيمج . فقلت : من أبهم ؟ قال : مرج . اراد : فقيمي ومري . وانشد  
ابو عمرو لهميان بن قحافة السعدي : -

يطير عنها الوبر الصهاججا

اراد : الصهابي من الصهبة . وقال يعقوب بن السكيت : بعض  
العرب اذا شدد الباء جعلها جيماً ، وأنشد عن ابن الاعرابي : -  
كان في اذنانهن الشول<sup>\*</sup> من عبس الصيف<sup>\*</sup> قرون الاجل<sup>\*</sup>  
اراد : الابل . ومن هذا القبيل ايضا ما انشده الفراء :  
لا هم إن<sup>\*</sup> كنت فبكت<sup>\*</sup> حجتج<sup>\*</sup> فلا يزال<sup>\*</sup> شاحج<sup>\*</sup> يأتبك<sup>\*</sup> بج<sup>\*</sup>  
أقمر نهات ينزى وفرتج<sup>\*</sup>  
اراد : حجتج<sup>\*</sup> وبني و وفرتج<sup>\*</sup> . (١)

---

١ - الأمامي - القالي ٢ / ٧٧ بيروت ، وانظر بعضها في الشعر والشعراء  
٤٥ / ١ بيروت .

ومن لهجات أهل اليمن إبدال السين تاء ، قال أحدهم . . (١)  
بأفبح اللهُ بني السعلاتِ عمرو بن بربوعٍ شرارِ الناتِ  
ليسوا باكفاءٍ ولا اكباتِ

وهو يريد : الناس واكياس

وغير هذه اللهجات كثير كان الرجز مستودعا لها .

ثم استشهد بالرجز على بعض التعابير الشاذة والاستعمالات غير  
القياسية ، ومن ذلك قول الراجز : - (٢)

من لا يزال شاكراً على المعه<sup>٥</sup> فهو حر<sup>٥</sup> بعيشة ذاتِ سعه<sup>٥</sup>

والشدوذ - هنا - هو مجيء الظرف ( مع ) صلة لـ ( ال ) ،

وهذا على خلاف القياس ومن الشذوذ أيضاً قول العجاج : - (٣)

نقاعس العزُّ بنا فاقنمسا

وهذا الاستعمال غير وارد في اللغة العربية ، حتى أن رجلاً أراد

أن يقبس عليه فمنعه الخليل . (٤)

ثم انهم استعملوا الألفاظ المهجورة والاشتقاقات المهملة ، فهذا

العجاج يستعمل لفظ ( أنعبان ) وهو اشتقاق لا يتكلم به ، يقول : (٥)

١ - الحيوان - الجاحظ ١٨٧/١ واماالي القالي ٦٨/٢ مع اختلاف في الرواية .

٢ - شرح ابن عقيل ١٣٩/١ ط ٦ ومعنى المعه : أي الذي معه .

٣ - الخصائص - ابن جني ٣٦٠/١ و ٢٩٨/٣ .

٤ - الخصائص - ابن جني ٣٦٠/١ و ٢٩٨/٣ والشعر والشعراء ٢٢/١ بيروت

٥ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٤٨ .

في الأثبان المنجنون المرسل مبالغة على الحليل المحلل (١)

وبقول في إحدى أراجيزه مستعملاً لفظ ( الهبرج ) وهو لفظ

غريب : - (٢)

يتبعن ذبالاً موشى هبرجا (٣)

والهبرج : الذي يخلط في مشيه ، أي يتبختر ، قال شارح ديوان

العجاج ( ولم اسمعه الا في هذا البيت ) .

وهناك كثير من أمثال هذه الاستعمالات الشاذة التي لا يحسن بنا

استقصاؤها جميعاً في هذا المجال ، فهي موجودة في كتب اللغة والنحو .

والظاهرة الغربية التي أثارت اهتمام الناس بالرجز هي اختراع

الرجاز لبعض الألفاظ وتعريب بعض الكلمات الأعجمية ، فقد كان

هؤلاء الرجاز خصوصاً العجاج ورؤبة يعملون ( على زيادة ثروة المعجم

العربي بما أضافوا اليه من وضع صيغ جديدة ، ومن ذكروا ان الرجاز

كانوا يخترعون ألفاظاً جديدة فخر الدين الرازي في كتابه ( المحصول )

كما نقله السيوطي في المزهري (٤)

---

١ - الأثبان : جديول ينثعب ماؤه ، وهو مجرى الماء والمنجنون : البكرة ،

والمرسل : المصبوب ، والحليل : الزوج ، والمحلل الذي جعل حليلاً .

٢ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ١٠٤ .

٣ - الذبال : الثور الطويل الذنب ، وقوله موشى . أي في قوائمه خطوط

من سواد .

٤ - تاريخ الأدب العربي - بروكلمن ٢٢٥/١ النجار .



ومن امثلة تعريب الكلمات الأجمية قول المعجاج : - (١)  
في نعجاتٍ من بياضٍ نعجا كما رأيتَ في الملاءِ البردجا (٢)  
فالبردج : هو السبي ، وهو بالفارسية برده فعربه وفي نفس الارجوزة  
نجد هذا البيت (٣) :

كالجبشي أنفٌ أو نسبجا

والتسبيج هو ثوب من صوف تلبسه الجواربي ، وانما هو شي  
بالفارسية (٤) .

ومن هذا التعريب قول الراجز :

كالخصّ إذّ جلله الباريّ

وهو بالفارسية ( بوريك ) فأعرب . والعامّة تقول : بارية وهو  
خطأ ، والصواب : باري وبوري (٥) .

وهذه الظواهر التي نراها عند الراجز انما جاءت نتيجة لولوع  
الناس في عصر الراجز بحب كل جاهلي وكل غريب ، بما حدا بالراجز  
الى المبالغة في ذلك . فبالإضافة الى أنهم لم يتركوا لفظاً غريباً شاردأ من

---

١ - شرح ديوان المعجاج - مخطوط مصور ص ١٠٤ .

٢ - الملاء : الملاحف الواحدة ملاءه . والأبيات من ارجوزة المعجاج أولها :-

ما هاجّ احزاناً وشجواً قد شجا من طللٍ كالانحاميّ انهجا

٣ - شرح ديوان المعجاج - مخطوط ص ١٠٣ .

٤ - وقال أبو حاتم سمعت الاصمعي قال : تسبيج ، لبس القميص .

٥ - الأماي - القالي ١٢٧/٢ بيروت .

الفاظ اللغة العربية الا حاولوا استعماله في رجزهم ، أقول بالاضافة الى ذلك راحوا يعربون بعض الالفاظ ويبتكرون بعض الصيغ كما مر بنا . ويجب أن لا يفهم من هذا الكلام ان كل رجزهم كان مبتكراً أو معرباً . كلا فليس الامر كذلك ، انما المقصود أنهم عربوا قليلاً من الالفاظ التي استطاعوا تعريبها أو اقتضتهم الضرورة ذلك ومثل هذا يقال في . التجاتهم الى ابتكار بعض الصيغ . ولكننا يجب أن لا ننسى أنهم كانوا مولعين بذلك ولما شديداً ولا سيما العجاج ورؤية .

على أننا نلاحظ أن بعض الالفاظ الفارسية ربما استعملت في الرجز دون تعريب ، روي ان الشاعر يزيد بن المفرغ الحميري أولع بهجاء بني زياد بن أبيه ، واخيراً استطاع عبید الله بن زياد ، وكان والياً على العراق ، ان يمسك به ، فقيده وحبسه ثم دعا به فحمل على جمل عود (١) ويقال على حمار ، وقرن به خنزيرة وسقاء نبيذاً ومسهلاً ، وأمر ان يطاف به في الأسواق والمحال ، وجعلت الخنزيرة تصيح من شدة وثاقها ، فيقول ابن المفرغ :  
ضجتُ سميهُ لما مسها القرنُ لا تجزعي أن شرَّ الشيمعِ الجزعُ  
وأقبل يسلمح في ثيابه ، ويقال أنه ضربه مع هذا بالسياط ، ورأه رجل من الفرس فقال : أين جيسيت ؟ أي . ما هذا ؟ فقال ابن المفرغ :  
أب أست ، نبيذ أست      عسارات زيب أست  
سميه روسبي أست (٢)

١ — العود : المسن من الابل والشاة .

٢ — أنساب الاشراف — البلاذري ٧٨/٤ القسم الثاني . وقد وردت هذه

الابيات في الشعر والشعراء ٢٧٧/١ على النحو الآتي :

أبست نبيذ أست      عسارات زيبست

سميه روسفيد أست

أي هذا ماء ونبذ وعصارة زبيب ، وسمية : البغي ، ويشير الى  
الخنزيرة ويريد جدة عبید الله (١) .

على أن خفة وزن الرجز وسهولته هي التي مكنته من هذا الاستعمال ،  
ب — الوزن : — وقد سبق الكلام عن وزن الرجز وخصائصه في  
فصل مستقل فليرجع اليه من يشاء .

## المحتوى

وأقصد بالمحتوى تلك المعاني والأغراض التي أحوتها القصيدة العربية  
والتي أنطوت تحت أطارها .

ولهذا فأني أرى من المستحسن أن اتناول بالبحث بناء الارجوزة  
ليتضح لنا ما بينه وبين بناء القصائد الأخرى من اتفاق واختلاف ، وهل  
كان للرجز فضل في ابتكار بناء جديد ثم تنطرق الى المعاني التي كان  
يتناولها الرجز .

أ — بناء الارجوزة : —

وللبحث في بناء الارجوزة يجب أن نبحث في بناء القصيدة التي  
هي من غير الرجز ، لكي نرى ما اذا كان بناء الارجوزة كالقصيدة ، أو لا .

أن بناء القصيدة العربية الجاهلية يكاد يكون واحداً لم يرغب في  
الخروج عليه أحد من الجاهليين . فبالرغم من اختلاف الأغراض التي

---

١ — الشعر الشعبي العربي — الدكتور حسين نصار ص ١٠٤ سلسلة المكتبة  
الثقافية ( ٦٠ ) .



تناولتها القصيدة الجاهلية فإن أطارها ظل محتويًا على البناء التقليدي للقصيدة الجاهلية من حيث افتتاحها بالغزل والنسيب والوقوف على الاطلاق ، والحنين الى الايام الجميلة التي قضيت في تلك الديار ، ثم الانتقال بعد ذلك الى الغرض الرئيسي في القصيدة سواء كان مدحاً أم هجاء أم فخراً أم رثاء ، أو ما الى ذلك .

وربما استدعى هذا الغرض الرئيس ذكر المهامه التي قطعها الشاعر والرواحل التي أنصاها في سبيل الوصول الى مدوحه أو من يريد التحدث عنه .

بقي بناء القصيدة هذا شائعاً مستعملاً حتى فترة متأخرة ، ذلك لأن الشعراء وجدوه أشبه بنظام الزموا به انفسهم . فالشاعر دريد بن الصمة حينما قتل اخوه أخذ يرثيه فبدأ قصيدته بالغزل وشتان ما بين الغزل والرثاء وما يستدعيه كل منهما .

فالقصيد الجاهلية - اذن - كانت تتألف من عدة فنون ، تفتتح غالباً بالنسيب والبكاء على الاطلاق ، والشكوى من النصب ، وانصاء الراحلة والبعير . (١) وربما تناولوا وصف مشاهد البادية وحيوانها ، أو وصف المعارك ، ثم يتخلصون بعد ذلك الى ما يريدون .

وما دام بناء تلك القصائد عاماً متشابهاً ، فلنأخذ نماذج من الأراجيز لندرس بناءها على ضوء الدراسات التي تناولت بناء القصائد الجاهلية .

يقول رؤبة مفتخراً ، حينما اتهم المنصور بني تميم بأنهم أدوا

---

١ - نقائض جرير والفرزدق - الدكتور غناوي ص ٣١٦ .

عبد الله بن علي حين خلع : - (١)

هل تعرف الدارَ عفتٌ اندابها      فهاجَ شوقاً شائقاً ذهابها (٢)  
فدمعٌ عيني لايني تسكابها      ذكرها من طرب اطرابها (٣)  
كانها من طول ما ينتابها      إنجيل أحبار وحي كتابها (٤)

هكذا افتتح رؤبة هذه الارجوزة بالبكاء على الاطلال وتذكر ساكنيها فهو يقول : أن الديار عفت آثارها واندرست ، فأشعلت بذهابها في قلبه ناراً ، وهيجت شوقه فعينه لانزال تسكب دمعها المدرار .

وهذه هي السنة الشائعة المألوفة في افتتاح القصائد الجاهلية . ثم ينتقل رؤبة في ارجوزته هذه الى وصف حبيبته التي كانت تقطن تلك المنازل الدارسة ، ويسبغ عليها احسن الصفات وأجمالها . فهي كالغصن الرطب في اعتدال قدها وحسنه وتثنيه وهي مهابة مصونة ذات ريق طيب عذب : -

وقد ترى مؤلفاً أنرابها      أزمان أروى رؤدة شبابها (٥)  
مهابة خنس عذب رضابها      يلقي بعطفي شارعٍ أخطابها

١ - مجموع أشعار العرب المشتمل على ديوان رؤبة - وليم بن الورد ص ٢٠

مكتبة المثني بغداد - ولم أجد هذه الارجوزة في شرح ديوان رؤبة المخطوط

٢ - اندابها ، آثارها ومعالمها .

٣ - الطرب : الشوق ، والجمع أطراب .

٤ - وحي : كتب ، يقول : كانها إنجيل احبار كنبه كتابها .

٥ - الرؤدة : الشابة الحسنة ، تشبيهاً بالغصن الرؤد وهو الرطب المتمايل .

ثم ينتقل الى ذكر البادية فيصفها ويصف السراب ويذكر قدرته  
على اجتياز تلك البادية بناقة قوية استطاعت أن تجتازها .

وبلدةٍ مغيرةٍ أفرابها      لماعةٍ موصولةٍ سهاها (١)  
بأرضٍ حرةٍ قذفٍ يبابها      يجري بضحضاح الضحى سراها (٢)  
تمسفتها قلص تجتابها      الى دفانٍ سدمٍ اشراها (٣)

ثم راح بعد ذلك يفخر بنفسه ويقومه ، فذكر أولاً شجاعتهم  
وجرأتهم وبسالتهم في خوض المعارك والحروب .

وغارةٍ مستوعبٍ ايعابها      في فتنَةٍ يلتهب النهابها  
شهباء في مستوقد شهابها      تحمي اذا تحزبت احزابها  
قمنا بها حتى آخبا اجلابها      واجتحرت من خوفنا احضابها (٤)  
وطارٍ في طيارة ضبابها      عنا وقد ارهبها ارهابها  
وقد علمنا أننا اصحابها      لما عوت من كلبٍ كلابها

١ - القرب : الخاصرة والجمع اقرب ويقصد بذلك وسط البلدة ، والسهاب :  
الارض الواسعة .

٢ - القذف : المشرف ، واليباب : الخراب ، والضحضاح : الماء القليل ،  
ويقصد به - هنا - أول الضحى وبدايته .

٣ - القلص : النوق ، ودفان : أي مندفنة ، يقال : ركية دفان : اذا اندفن  
بعضها ركية سدم : اذا ادفنت ، وماء سدم ، مندفق ، ومياه سدم : اذا  
كانت متغيرة .

٤ - الاجلاب : الاصوات ، والاحضاب : صوت القوم .



وأخذ بعد ذلك يُعَدُّد محامد قومه ومناقبهم ، ويبين عاداتهم الطيبة  
وصفاتهم الحميدة ، من ذلك انصافهم بالصدق وبجانية الكذب وخلوهم  
من النقص :-

ان تمبماً برّنتُ عتابها      من كلِّ عيبٍ معتبٍ اعيابها  
وصارَ أهلُ عيبةٍ عيابها      لم يلبس بقذرة ثيابها  
واكذبتُ بالغيبِ من يفتابها      جاءتُ تميمٍ واقعاً غرابها

وربما كان المتنبي قد أخذ معنى يته :-

واذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لي بأني كامل  
من معنى هذه الايات .

ويستمر رؤبه في وصف شجاعة قومه وحلمهم حتى نهاية الارجوزة .  
ومن هذا نلاحظ ان الارجوزة كالقصيدة الجاهلية ، اشتملت على  
عدة أغراض ، ثم أفتتحت بالنسيب والوقوف على الاطلال ، ووصف  
الصحراء وسرايها ، ثم مقدره الشاعر على اجتيازها وانتقاله بعد ذلك  
الى الفخر بشجاعة قومه وخوضهم غمار الحروب وخروجهم منها منتصرين  
كما وصفهم بما يحب العربي من الصفات .

كان هذا بناء الأرجوزة عموماً ، وقد استطاع الراجز أن يسير فيه  
كما يسير المقصد في قصيدته ، ولم يجد أي صعوبة أو مشقة في سواك  
ذلك السبيل ، فالرجز لم يكن قاصراً في تناول مثل تلك الأغراض أو  
صوغها بذلك القالب .

ولكن الراجز مع قدرتهم على صوغ أراجيزهم بهذه الصورة ،  
استطاعوا أن يحطموها هذا الاطار أو الكابوس الذي كان مخيماً عليهم

ويخرجوا منه قبل أن يفعل ذلك المقصدون .

ذلك ان الرجاز تمكنوا من أن يتخلصوا من عادة افتتاح القصائد بالنسيب مخاطبة الاطلاق والدمن ، واستهلاها بنوع جديد من المطالع ما كان لسابقهم من الشعراء عهد به ، لقد ثاروا - قبل ابي نواس - على تلك المقدمات التي كان يفتتح بها الجاهليون قصائدهم ، وتركوا السير على ذلك النمط القديم ، واستطاعوا ان يتحدثوا لوناً جديداً من المقدمات يفتتحون به أراجيزهم .

ومن هنا يتبين لنا خطأ الرأي القائل بأن أبا نواس كان أول من ثار بالنسيب ودعا الى تركه من الشعراء ، فقد تناسى من قال بهذا الرأي مطالع الرجاز الجديدة التي استهلوا بها اراجيزهم ، وهي مطالع كانت حدثاً جديداً في تاريخ الشعر العربي ، ذلك انها كانت مبكرة في الظهور ، فقد وجدت في اراجيز العجاج الذي عاش في الجاهلية والاسلام ، ثم جاءت هذه المطالع في بعض اراجيز رؤبة وابي النجم ، وهؤلاء جميعاً عاشوا قبل ان يعرف ابو نواس . وهذا يعني ان الرجاز تمكنوا من الخروج على تلك التقاليد التي كانت مفروضة على الشعراء في صوغ قصائدهم وحطم ذلك الاطار الذي كانوا محبوسين فيه ، فلا يستطيعون الانفكاك منه والخروج عليه .

وهكذا استطاع الرجاز فك الحصار المضروب على القصيدة العربية فانطلق الشعراء واستردوا حريتهم ، وتمكنوا بعد ذلك من ان يفتتحوها بما يشاءون .

اما تلك المطالع التي ابتكرها الرجاز ، فقد كانت حمداً لله وثناء

عليه ، ودعاءه له وتعداداً لمظاهر قدرته وبيانياً لنعمه ، وهذا حدث في  
جديد لم يسبقهم احد اليه ، فاننا راينا كعب بن زهير حينما اراد ان  
بمدح النبي (ص) وبشيد بالدين الجديد ، لم يستطع أن يخرج على عادة  
الجاهليين في افتتاح قصائدهم ، فراح يتغزل وينسب في حضرة النبي (ص)  
بحبيته سعاد . فاذا تصورنا بعد الشقة ما بين الغرضين في قصيدة كعب ،  
ادركنا مدى التجديد الذي احده الرجاز في هذا الميدان .

بقي علينا الآن - اثباتاً لما ندعي وتأيداً لما نقول - ان تتبع هذه  
المطالع الجديدة في الراجيز لنجعل الامر اكثر وضوحاً . فنحن اذا رجعنا  
الى ما بين ابدينا من اراجيز ، نلاحظ ان العجاج الراجز يفتح احدى  
اراجيزه بقوله (١) :-

الحمد لله الذي استقلت	بأذنه السماء واطمأنت (٢)
بأذنه الارض وما تعنت	ووحى لها القرار فأستقرت (٣)
وشدها بالراسيات التبت	رب البلاد والعباد والقنت (٤)

١ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٨١ .

٢ - استقلت : نهضت ، يقال للقوم اذا قاموا ثم ارتحلوا : استقلوا .

٣ - تعنت : عصت ، بقول : ذلت واطاعت ولم تعسر ، ووحى لها القرار أي  
وحى الله تعالى للارض بان تقرر قراراً ولا تميد بأهلها ، أي اشار اليها  
بذلك اذ يكون وحي لها القرار أي كتب لها القرار ، ويروى :  
أوحى لها .

٤ - الراسيات : الجبال التي ارساها ، والقنت : الذين يقتنون لربهم  
أي يدعون .



والجاءل الغيب غياث المسنت<sup>(١)</sup> والجامع الناس ليوم الموقت<sup>(٢)</sup> (١)  
فهذا الاستهلال نموذج للمطالع التي ابتكرها العجاج والتي سبق بها  
اهل القصيد ، وخرج على تقاليد الجاهلين في افتتاح قصائدهم ، ذلك  
لأننا ما وجدنا للجاهلين مثل هذه المطالع ، هذا من ناحية واما من  
ناحية اخرى فان هذه المطالع الجديدة فيها معان دينية ما كانت لتعرف  
لولا ظهور الاسلام وابرازه لهذه المعاني . فالمعجاج يقول : - ان الله  
سبحانه وتعالى شد الأرض وثبتها بالجبال كيلا تتحرك وتميد بنا ، وهذا  
مأخوذ من قوله تعالى : - ( والقي في الأرض رواسي ان تميد بكم  
وانهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ) (٢) ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : -  
( وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بهم ، وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم  
يهتدون ) (٣) وقوله : ( أم من جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها  
انهاراً ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله  
بل اكثرهم لا يعلمون ) (٤) ويقول العجاج في مطلع ارجوزته هذه ان  
الله جعل في الغيب رزق الناس ومعيشتهم . ومن يقرأ هذا يتبادر الى  
ذهنه قوله عز وجل : - ( هو الذي يريكم آياته ، وينزل لكم من  
السماء رزقاً وما يتذكر الا من ينيب ) (٥) أو قوله : ( والله انزل من

١ - المسنت : الذي اصابته سنه ، أي القحط والجذب .

٢ - سورة النحل آية ١٥ .

٣ - سورة الأنبياء آية ٣١ .

٤ - سورة النمل آية ٦١ ، وانظر ايضاً سورة النازعات آية ٣٠ و ٣١ و ٣٢

وسورة الرعد آية ٣ وسورة الحجر آية ١٩ ، وسورة المرسلات آية ٢٧ .

٥ - سورة المؤمن آية ١٣ .

السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، ان في ذلك لأية لقوم يسمعون (١)  
والى كثير من امثال هذه الآيات . (٢) ثم نجد العجاج يقول : — ان  
الله يجمع الناس ليوم الموقت ، وهو يوم القيامة . وهو يستند في هذا  
الى فكرة البعث التي جاء بها الاسلام .

وبعد هذا كله يخرج الشاعر الى ذكر متاعبه وبأسه في العمر الطويل  
وليست ارجوزته هذه هي الوحيدة في هذا المضمار ، انما كانت له  
اكثر من ارجوزة استطاع ان يفتتحها بهذا الاسلوب المبتكر ، من ذلك  
قوله في مطلع ارجوزة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر الذي قاتل  
الحروريين : — (٣) .

قد جبرَ الدينَ الالهُ فجبرُ وعورَ الرحمنُ منُ ولي العورِ\* (٤)  
فالحمدُ لله الذي أعطى الخبر موالى الحقِ إن المولى شكر (٥)

---

١ — سورة النحل آية ٦٥ .

٢ — انظر مثلاً سورة ق آية ٩ وسورة الشورى آية ٢٨ ، وسورة البقرة آية ٢٢  
وابراهيم آية ٣٢ ، وطه آية ٥٣ ، والحج آية ٦٣ ، والزمر آية ٢١ ،  
والنمل آية ٦٠ .

٣ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ١ .

٤ — قوله عور الرحمن : اي افسد الرحمن ، من ولاء العور ، أي جملة ولياً  
للعور ، والعور : قبح الأمر وفساده .

٥ — الخبر : السرور .

عهدُ نبي ما عفا وما دثر وعهدُ صديقٍ رأى برأ فبر (١)  
وعهدُ عثمان وعهد من عمر وعهدُ اخوانٍ لهم كانوا الوزر (٢)

بلاحظ في هذا المطلع انه اشاد بالدين الجديد وما جاء به من  
مثل سامية ، ثم نعى على الذين اتبعوا الباطل كفرهم وضلالهم ، وذكر  
في ارجوزته هذه الخلفاء الراشدين ( رض ) والعهود التي التزموا بها في  
سبيل خدمة المسلمين ورفع راية الدين . وكل هذه معان دينية اسلامية  
جديدة مستحدثة ، تمكن هؤلاء الرجاز من صوغها بهذا القالب الجميل  
وابرازها بهذه الحلة القشبية .

وافتح ارجوزة اخرى بدعاء رب البيت الحرام ، وتوسل اليه  
وطلب منه العفو والصفح ليتجاوز عن خطاياها ، ويتقبل اعماله ، وبشر  
له ماله ، ولا اظن ان احداً من سابقيه تطرق الى مثل هذه المعاني في  
مطالع قصائده وذلك حين يقول : - (٣)

يارب رب البيتِ والمشرقِ والمرفلاتِ كلِ سهبِ سملقِ (٤)

---

١ — ما عفا : ما أمحى ، ودثر : قدم واخاق عهده حتى ذهب اثره ، وصديق :

يريد ابا بكر .

٢ — الوزر : الملجأ .

٣ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ٤٠ .

٤ — المرفلات : الابل التي ترفل في سيرها ، والسهب : الارض البعيدة المستوية

والسملق : القاع الصفصف .



اباك ادعو فتقبل ملقي فاعفر خطاباي وثمر ورقي (١)  
 وقال في مطلع احدى اراجيزه داعياً متضرعاً طالباً الجبر والرزق : (٢)  
 يارب انت تجبر الكسيرا وترزق المستزق الفقيرا  
 وقد اتبع أبو النجم المجلي نفس النهج في افتتاح بعض اراجيزه  
 حيث راح بحمد الله ويثني عليه ويشكر عطاباه ، قال مستهلاً أرجوزة له  
 وصفها ابن قتيبة بأنها اجود أرجوزة للعرب : (٣)

الحمد لله الوهب المجزل اعطى فلم يبخل ولم يبخل  
 كوم الذرى من خول المخول تبتلت من أول التبتل  
 بين رماحي مالك ونهشل يدفع عنها العز جهل الجهل (٤)

ثم هذا رؤبة يفتتح أرجوزة له في مدح مسلمة بن عبد الملك بدعاء  
 ربه متضرعاً اليه ، طالباً منه العفو والصفح عما بدر منه من خطأ ،  
 والتجاوز عن تقصيره ، والتفاضي عما كان النسيان سبباً في التفريط به : (٥)

١ — ملقي : تليبي في الطلب وضعفي ، وقوله ، ثمر ورقي ، يريد مالي كالابل والغنم

٢ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ١٠١ .

٣ — طبقات ابن سلام ص ٥٧٦ ، والشعر والشعراء — ابن قتيبة ٥٠٢/٢

بيروت .

٤ — يعني : مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ونهشل بن دارم .

٥ — مجموع أشعار العرب ص ٢٥ ، وشرح ديوان رؤبة — مخطوط ص

١٠٣ وقد وردت بعض آيات هذه الارجوزة في شرح ديوان العجاج

المخطوط ص ١٣٥ على انها للعجاج .

ياربُّ ان أخطأتُ أو نسيتُ فأنتَ لاتنسى ولا تموتُ  
ربي ولولا دفعه تويت فالجدُّ اغشاني الذي غشيتُ (١)  
وبدا أرجوزة مدح بها أبان بن الوليد البجلي بدعاء الملك القدوس  
العزیز الجبار: (٢)

دعوتُ ربِّ العزةِ القدوسا دعاءَ من لا يقرعُ النافوسا  
فأنت تلاحظ بما تقدم أن كل هذه المطالع التي ذكرت الآن  
كانت نوعاً جديداً في ذلك العصر ، تمكن الرجاز من ابتكاره وإظهاره  
الى حين الوجود ، فكان لهم فصل سبق في تجديد مطالع القصائد .  
والذي يبدو أن تلك المطالع خالفت ما ألفه الناس من مطالع عزلية فوقفوا  
منها موقف المتحفظ ، فلم تنتشر انتشاراً واسعاً ، أو قل أنهم لم يكونوا قد تعودوا  
افتتاح قصائدهم بمثل هذا النوع من المقدمات ، فوجدوا شيئاً من الصعوبة  
في تغيير ما كان معتاداً لديهم .

ويغلب على ظني أن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا يلتفتون الى  
شعر أو أدب لايساير الأدب الجاهلي ، وحسبك في ذلك أن تعلم أنهم  
كانوا لا يروون الا شعر الجاهليين ، اما شعر معاصريهم فلم يكن له صدى  
في نفوسهم ، يروي عن بعض روايتهم أنه استحسّن شعر أحد معاصريه  
فقال : لقد اجاد حتى هممت ان اروي شعره (٣) ، وهذا يعني أنهم

١ — تويت : يعني هلكت .

٢ — مجموع أشعار العرب ص ٦٨ ، شرح ديوان رؤبة ص ٣٩ .

٣ — أنظر العمدة ٩٠/١ حيث قال أبو عمرو بن العلاء : لقد احسن

هذا المولد حتى هممت أن أمر صبيانا بروايته . يعني بذلك شعر جرير

والفرزدق .

كانوا لا يهتمون بشعر غير الشعر الجاهلي وأن كان ذلك الشعر جيداً .  
فإذا كانت نظرة الناس الى الشعر الجاهلي على هذا النحو فلا  
عجب اذا ما قلدوهم وساروا على سنتهم ، ولم يلفتوا الى الشعر الذي ليست  
فيه نفحة من روح الجاهليين .

ثم أن انبعاث الجمعية الجاهلية في تلك الفترة ، ربما كان سبباً آخر  
في صرف الناس عن تقبل مثل تلك المطالع وعدم الاكتراث بها .

ومن هنا نستطيع أن نتصور السبب الذي دعا الناس الى عدم  
الرغبة في مخالفة تقاليد الجاهليين في افتتاح قصائدهم ، ثم عدم تقبلهم لما  
يجد في هذا المجال ، ولهذا لم تجد تلك المطالع الدينية مجالاً للسيورة  
بين الناس .

#### ب — المعاني : —

لقد عبر الرجز — وهو بحر واحد من بحور الشعر العربي —  
عن معان كثيرة كانت تدور في مخيلة العربي ، وربما يكون قد نafs  
القصيد بجميع بحوره في التعبير عنه ، اقول هذا ولست مبالغاً فيه ،  
فالرجز مع تناوله الاغراض التي تناولها القصيد وأدائه المعاني التي أداها ،  
فأنه استطاع أن ينهض بعبء أداء المعاني المختلفة التي انفرد في  
بعضها .

لقد دعت الحاجة الى التعبير عن المشاعر ، فكان الشعر خير سبيل  
لذلك ، وكان الرجز أول نموذج أو فن منه وفي بحاجات العربي البدائية ،  
والتي تمثلت في الحداء والحرب والاستقاء والصيد ، ومن هنا استقل



الرجز بأداء معان لم يكن القصيد صالحاً لأن يعبر عنها أو لم تكن الظروف مساعدة على ذلك .

وحيثما تطور الشعر واخذ القصيد يتناول اغراضاً عديدة ، كان الرجز يسايره في كل ذلك ، ومع هذا التطور استطاع الرجز ايضاً ان يعبر عن معان جديدة لم يكن بإمكان القصيد ان يفهم بها ، وذلك في مجال الشعر التعليمي ، الذي كان الرجز مسرحاً فسيحاً له .

وقف الرجز - اذن - جنباً الى جنب مع القصيد في تناول كثير من الاغراض ، كالمديح والهجاء ، والفخر والرثاء وما الى ذلك ، وسيأتي تفصيله في بيان اغراض الرجز .

ولكن الرجز فاق القصيد بقدرته على تناول اغراض معينة ، حتى ظن ان هذه الاغراض مقصورة على الرجز ، فأنى للقصيد ان يسمع المقائل وهو في ساحة الوغى بما يعبر عن مشاعره ويصور احساسه ! ثم هل للقصيد ان ينجد الصياد ليظهر عواطفه وانفعالاته وهو يرى سهمه ينفذ في جوف الصيد ! وقل مثل هذا في المنح وقل مثله في الحداء والحفر وضروب العمل الاخرى .

وبعد هذا اقول :- ان الرجز تمكن من التعبير عن كثير من عواطف العربي ورغباته واهوائه ، حتى اولع ذلك العربي بالرجز فراح يحفظ الآلاف من ابياته ، ومن هنا كان الرجز المرأة الصادقة التي انعكست عليها طبائع العربي وافكاره واماله وامانيه ، ذلك لأنه تناول بالوصف حياته بجميع جوانبها ، فأبرزها ، ووصف ما يتصل بها من حيوان ونبات وجماد ، فكانت الصحراء وما يلوح فيها وما يدب عليها

وما يصطرع فوقها ابرز تلك الصور واكثرها وضوحاً في رجز العرب .  
وانقل اليك - الآن - مشهداً من تلك المشاهد التي ظهرت فيها  
اماني وآمال العربي ، انها صورة بدوي راح يصرف وقتاً طويلاً - وهو  
صابر - في سبيل الحصول على ما يبتغي ، وربما يكون مبتغاه هذا تافهاً  
بالنسبة لنا ، ولكنه ذوبال وقيمة بالنسبة له . ذلك انه رأى نبتة صغيرة  
فأخذ يتمهدا بالسقاية والرعاية آملاً أن يتخذها - اذا كبرت - سلاحاً  
فناكاً يقى نفسه به ، ويقتات بواسطته .

وقد تحققت له هذه الرغبة ، حيث كبرت النبتة ، فقطعها واخذ  
ينحت منها قوساً ويقول (١) :-

ياربِ وفقني لنحتِ قوسي      فأنها من لذتي ونفسي  
وانفع بقوسي ولدي وعرسي      انحتها صفراء مثل الورد  
صفراء ليست كقسي النكس

ثم دهنها وخطمها (٢) بوتر ، ثم عمد الى ما كان من برايتها فجعل  
منه خمسة اسهم واخذ يقلبها في كفه ويقول :-

هن ورببي اسهم حسان      تلذُّ للرامي بها البنان  
كأنما قومها الميزان      فأبشروا بالخصب يا صبيان  
ان لم يعقني الشؤم والحرمان

ثم خرج حتى اتى موارد حمر الوحش فكمن حولها ، فكان كلما

---

١ - ذلك هو محارب بن قيس الكسبي .

٢ - خطم القوس بالوتر : علقها .

مر قطع منها رمى عيراً فأنخطه (١) السهم حتى يجوزه ويصيب الجبل فيوري ناراً ، وحينما تخرج النار من الجبل يظن أنه اخطأ ، فكان يتألم ويطلق الزفرات مشحونة بالرجز ، وهكذا فعل مع اسهمه الخمسة واخيراً عمد الى القوس فضرب بها حجراً فكسرها ، ثم بات ، فلما اصبح اذا الحمر مطرحة حواه ، واسهمه مضرجة بالدم ، فندم على كسر قوسه ، وشد على ابهامه ، فقطعها وانشأ يقول : -

ندمتُ ندامةً لو ان نفسي تطاوعني اذا لقطعت خمسي  
تبين لي سفاهُ الرأي مني لعمر أبيك حين كسرت قوسي (٢)

ولهذا ضرب بندامته المثل فقيل : « ندامة الكسبي » .

على أنني ذكرت هذه القصة بطولها لتبين عن كثب قدرة الرجز في اجلاء مشاعر النفس العربية ، واطهارها بصورة واضحة المعالم والابعاد .

وهكذا كان الرجز يتناول من المعاني والاعراض ما له مساس مباشر بحياة العربي ثم ما يؤثر في نفسه تأثيراً بيناً .

وخلاصة القول هي ان الرجز امتاز بخصائص متنوعة شملت الشكل الذي يتضمن اللفظ والوزن ، كما شملت المحتوى الذي يدخل في نطاقه بناء الارجوزه والمعاني التي تناولها الرجز في رجزهم .

لقد امتازت الفاظ الرجز بحوشيتها وغرايتها ، إذ كان الرجز يأتون بتعابير شاذة ولغات عربية قليلة الاستعمال ، كما كانوا يأتون

١ - مخط السهم : نفذ .

٢ - المحاسن والمساوي - البيهقي ٤٨٣/١ ،



بكلمات ثقيلة في النطاق صعبة الفهم عسرة الادراك . والذي دعاهم الى هذا ، نظرة الناس في ذلك العصر ، اذ كانوا يهتمون بكل شعر جاهلي وكل شعر بعيد عن تأثير حضارة عصرهم وكان الرجز يحمل هذه الصفة فقد كان لوناً بدوياً يلائم طبيعة الاعراب وحالة معيشتهم .

اما وزن الرجز فكان عذبا رشيقا يلائم الاعمال التي فيها حركة ، كالخفر والمنتح والصيد والحرب ، لهذا فقد كثر استعمال الرجز في مثل هذه الاغراض . ولحر الرجز اقسام وانواع عديدة ، منها الطويلة والمتوسطة والقصيرة ، حتى قيل ان بحر الرجز اكثر ابحر العرب في تفريعاته واشكاله .

ومن حيث بناء الارجوزة رأينا ان الرجز استهلوا اراجيزهم بمطالع جديدة تناولت اغراضاً دينية لم يكن الشعراء قد استعملوها من قبل . هذا اضافة الى انهم استعملوا نفس الاساليب التي استعملها المقصدون في قصائدهم .

اما المعاني التي تناولها الرجز فهي ذات المعاني التي كانت تدور في شعر المقصدين والتي كانت تشمل المدح والرثاء والفخر والهجاء والغزل وما الى ذلك . ولكن الرجز فاقوا المقصدين في تناول بعض المعاني والاعراض التي قصر في تناولها القصيد . من ذلك مثلاً المنتح والحداء والخفر وغير ذلك من ضروب العمل الاخرى . وبهذا الشكل تكون معاني الرجز تعبيراً عما يدور في اذهان العرب من أفكار واهواء ورغبات .

## الباب الثاني

### اغراض الرجز

لا اراني مغالياً اذا قلت ان اغراض الرجز يستحق ان يفرد لها بحث خاص ربما يؤلف اكثر من كتاب، ولهذا فأني لم اتردد في الاقدام على دراسة هذه الاغراض دراسة تفصيلية الى حد ما مخصصاً لها هذا الباب . والذي دعاني الى دراسة هذه الاغراض هو ان بحر الرجز - مع كونه واحداً من بحور كثيرة نظم فيها العرب - قد تناول اغراضاً مختلفة عديدة وبالرغم من محاولة بعض الباحثين (١) تخصيص البحور بالاغراض ، وجعل كل بحر خاصاً بفرض واحد أو اكثر ، فان النظم على بحر الرجز قد خرج على هذا التحديد وطرق جميع الاغراض تقريباً ، حتى ان

---

١ - كالمستشرق الأيطالي نلينو وصاحب دائرة المعارف الاسلامية .

اشعار الرجز التي وصلت اليها كثيرة جدا ربما لم يتيسر لأي بحر آخر ان يبلغ النظم فيه من الكثرة ما يبلغه النظم في بحر الرجز . هذا اضافة الى آلاف الأراجيز التي كان يحفظها الاصمعي وغيره من الرواة والاعراب والتي لم تصل اليها حيث اندثرت باندثار حفظتها .

وقد رأى هؤلاء الباحثون أن ايقاعات بحر الرجز تلائم المواقف الحماسية ، والمواطن التي تظهر فيها قوة التأثير والانفعال ، لهذا خصصوا استعمال بحر الرجز بمواطن الحماسة .

ولكن نظرهم - وان كان فيها شيء من الصحة - قاصرة لم يراع فيها استعمال الرجز في غير مواطن الحماسة والحروب .

أنا نلاحظ - كما سنرى في هذا الباب - أن الرجز لم يقتصر على الحروب وحدها انما تناول أكثر الاغراض التي تناولتها أبحر الشعر الأخرى ، ويستحسن أن نذكر هنا - كما ذكرت سابقاً - أن الرجز تطرق الى أغراض لم يكن بإمكان القصيد الخوض فيها ، من تلك الاغراض مثلاً : الحداء والطرد والمتح ، هذا الى أن المنظومات التعليمية على كثرتها قصرت على بحر الرجز .

ويبدو أن هذا البحر - لحفته وسهولة النظم فيه - أصبح بحراً شعبياً أو قل أنه أصبح بحر العامة ، حيث أنه لم يستعص النظم فيه على أحد .

ونظراً الى هذه الشعبية الواسعة فقد راح الناس يستعملونه في كل ما يعين لهم من شؤون حياتهم اليومية دون حاجة الى تركيز الجهود وتخصيص وقت طويل للنظم . فاستعمل في كل ما تدعو اليه سرعة البديهة والارتجال ، ومن هنا لم نجد الرجز يطيلون في أراجيزهم الا بعد أن استعمل بحر الرجز استعمال البحور الأخرى ، حيث اطالوا في الأراجيز كما كان



الشعراء يطبلون في القصائد ، كالذي رأيناه في العصر الأموي عند راجز  
كرؤبة وأبي النجم وأبي نخيلة وغيرهم .

كذلك كان الرجز يقال - أكثر ما يقال - في مواطن لا تسمح  
بالأمل والتفكير فقد كان يطلق ارتجالاً وبدون تصنع وتكلف ، ولهذا  
السبب كثيراً ما نجد فيه اللغات المختلفة والالفاظ الشاذة والكلمات غير  
القياسية ، ذلك لأن قصر الوقت ، والحاجة الى السرعة ، تضطران الشاعر  
الى ذلك اضطراراً ، ونستطيع أن نعد هذا سبباً في استعمال اللغات  
والشواذ في الرجز أكثر من غيره ، وامثلة ذلك كثيرة نشير هنا الى قول  
أمرئ القيس ( رب طعنة مشعجره ) بسكون الباء والصواب ( رب ) بفتح  
الباء ، وانما اضطره الوزن الى التخفيف .

وامثال هذه الاستعمالات وغيرها كثيرة كان الرجز مستودعاً لها (١) .

---

١ - من امثال تلك الاستعمالات الشاذة التي احتواها الرجز التقاء الساكنين

غير الجائز بغير حرف لين ، كما في قول الراجز :

رخين اذبال الحفي وارتن<sup>\*</sup> مشي حبيبات<sup>\*</sup> كأن لم يفزعن<sup>\*</sup>

ان يمنع اليوم نساء يمنعن<sup>\*</sup>

أو مثل قول الآخر :

أنا جرير كنيبي أبو عمر<sup>\*</sup> أجبنا وغيره خلف الست<sup>\*</sup>

ومثله كذلك :

أنا ابن ماوية اذ جد النقر<sup>\*</sup>

ولكن ابن جني يرى أن لهذا الشذوذ ضرباً من القياس .

فارجع الى لسان العرب مادة ( حاق ) لتطلع على ما قاله في هذه المسألة .

## الفصل الأول

### رجز الطبيعة

الطبيعة أول عامل خارجي يؤثر في الانسان تأثيراً بيناً واضحاً ، حتى أنه ليجدث انتزاج بينهما يبرز في لغة الانسان ولونه وشكله ، وعلى هذا يمكننا القول : أن الانسان صورة دقيقة لبيئته ، ذلك لأنه ( دقيق الصلة بالارض التي يعيش فيها ، حتى نستطيع أن نقول أنه ابن الارض وتاجها ، منها يطعم وفيها يربى ، وهي تقوده وتوجه أفكاره وتطبعه بطابعها بجسمه وعقله ونفسه ) (١) .

---

١ — من محاضرات الدكتور جميل سعيد علي طلبة الماجستير .

فبيئة العربي - اذن - طبعت ابنها بطابع خاص ، وميزته عن غيره سواء كان ذلك في شكله وجسمه ، ام في عاداته واخلاقه وافكاره .  
لهذا نرى الشاعر العربي راح يعالج جميع الظواهر التي تميزت بها بيئته ، فوصفها جميعاً ، الصامته منها والحية ، فجاء شعره - مرآة انعكست عليها كل الالوان المختلفة والاشكال المتنوعة لبيئته .

وفيما يلي المامه بأثر الطبيعة في رجز الرجاز :

أولاً : - الطبيعة الصامتة

استأثر وصف جزيرة العرب باهتمام كثير من الباحثين والكتّاب ففاضت كتبهم بوصف شامل لهذه الجزيرة ، ولهذا فلا ارى كبير طائل في ذكر وصفها .

والذي يعنيننا هنا هو مدى تأثير بيئة العربي في حالته النفسية ، والتي يكون وجودها في شعره انعكاساً لهذا التأثير .

١ - السراب : - لقد اشتهرت صحراء العرب بجفافها وحرارتها وندرة الماء فيها ، وقد كانت شمسها قوية ساطعة تبعث بأشعتها الذهبية على اديم تلك الصحراء ، وفوق رمالها فتبدو هذه الاشعة سراياً يبعث الأمل في نفوس من افتقدوا الماء . وربما تكون هذه الصورة ابلغ الصور واشدها وقعاً على نفس العربي ، ذلك لما يقاسيه في صحرائه تلك من حر شديد وظمأ قاتل . فكان ذكر الأل والسراب (١) مقروناً بذكر الصحراء ووصفها ، واذا كان

---

١ - الأل : - السراب الذي يرفع الشخوص فيريك الصغير عظيماً وهو يكون بالضحي ، والسراب : - الذي يلكأ بالأرض فتحسبه بحراً وبطامناً الشخوص أي يسكنها ويخفضها ويكون بمنتصف النهار .



الامر كذلك ، فقد انعكس ذلك كله في رجز الرجاز كما انعكس

في قصيد المقصدين فهذا رؤبة يرسم لنا صورة اللال فيقول : - (١)

وان علوا من فبفِ حرفٍ فبهقما ألقى به الالُ غديراً دبسقا (٢)

ضحلاً اذا رقرقته تُرقرقا اذا أستخف اللامعات الخفقا (٣)

رأيت في جنب القتام الأبرقا (٤)

فأنت تقرأ قول رؤبة هذا ، فتجده صورة نابضة بالحياة في الصحراء

التي عاش العربي في اكنافها . اذ راح يصف مشاهدها ، وما يلوح فيها

من آل يشبه غدیر الماء ، حتى يوهمك هذا السراب فيريك الجبال

---

١ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط / ٩ و ١٠ ومجموع اشعار العرب / ١١٠ .

٢ - وان علوا : يعني الركبان ، الضيف : الصحراء ، الفيهق : ما اتسع من

الارض ، من قوله : انفهق الوادي اذا اتسع ، القى به : أي بهذا الفيف

والديسق : الابيض وهو الغدير الكثير الماء .

٣ - ضحلاً : تراه من بعيد فتحسبه كثيراً وهو لاشيء مثل السراب والضحيل :

الماء القليل ، رقرقته حركته ، يعني اذا دنوت منه ترقرق أي تحرك وماج .

يقول : اذا دنوت منه كان قليلاً واذا تباعدت عنه رأيتيه كثيراً ، اللامعات :

الجبال والأكم . والخفق : الذي يخفق اذا تحرك في السراب ، وهي

لا تتحرك ولكنك تراها في السراب كأنها تتحرك .

٤ - القتام : الغبار ، والابرق : الجبل الذي فيه طين يختلط بحجارته يقول :

قد استدار القتام حول هذا الجبل فاذا انحسر السراب عن الجبال رأيتها

غبراً قد استدار الغبار حولها .

وكأنها تتحرك .

وطبيعة صحرائهم هذه ، تجعل الانسان شديد الظمأ دائماً العطش ، لا يكاد يرتوي من الماء . فاذا كانت هذه الصحراء تجعل الانسان بهذه الصورة ، فكيف به اذا سار وسط تلك المقازة الخالية من المياه في اوقات الهاجرة حينما يشتد الحر ؟ ! لاشك أنه يقاسي أشد العذاب واوجع الآلام .

ومن هنا كان لمنظر السراب أثر بين في نفس العربي ، حتى جاء على لسانه في مناسبات عدة ، ذلك لأن الحديث عن الصحراء يقودهم الى الحديث عن السراب . فهم حينما يتناولون وصف القفار لا يجدون بدأ من ذكر الآل والسراب الذي يظهر في تلك القفار .

وهم مع وصفهم هذا للصحراء وقساوتها ، يظهرون قدرتهم على اجتيازها وان كان ذلك في أشد اوقاتها قساوة ، وهو وقت الضحى والظهيرة ، قال الراجز يذكر كيف أنه استطاع أن يسلك أرضاً قفراً يجري عليها الآل : - (١)

وبلدة يستنُّ جاري آلهما ترى بها العوهق في وثالها (٢)

---

١ - معاني الشعر - الأشتانداني ص ٦٠ .

٢ - العواحق : الطويل من النعام ، وقوله : وثالها : أي في مواضعها ، والمواولة : الألتجاء وطلب النجاة .

كانابِ حرتِ طرْفِي حبالها لولا حديثُ الناسِ لم اباها (١)

وكان الرجاز حينما يتأثرون بالسراب يتناولون في حديثهم عنده ارتفاعه الذي يكون به عن ارتفاع النهار وشدة الحر ، ثم يتطرقون الى وصف رواحهم ويصفون عليها كل صفات القوة وهي ترتفع وتنخفض وسط هذا السراب كما تتراءى لهم ، استمع الى رؤبة حيث يقول : - (٢)

بلْ بِلْدِي مَلءُ الفجاجِ قتمه لا يشتري كنانه وجهرمه (٣)

يجتابُ ضحضاحُ السرابِ اكمه خارجة اعناقه ولممه (٤)

بعدَ ائتزارٍ فيه أو تعممه كلفته عيديه تجشمه (٥)

---

١ - الناب : المسنة من النوق ، وعدوها كاناب : يريد أن شخص هذه النعامه قد عظم في الآل كأنه ناب ، وقوله : لولا حديث الناس لم اباها : يقول : لولا ان يتحدث الناس فيقولون اني جبان لم اسلك هذه الأرض ولم اباها .

٢ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٢٩٧ ومجموع اشعار العرب ص ١٥٠ وارجيز العرب ص ١٤٢ .

٣ - القتم : الغبار ، والجهرم : البساط من الشعر ، يقول : لهذا البلد سباب من السراب تجري وهي لا تشتري ولا تباع .

٤ - الضحضاح : مارق من السراب وقل ، يقول ان الأكم كأنها تسير في السراب فتقطعه .

٥ - بعد ائتزار : أي بعد ما تأزرت ، أي بعد ما كان السراب الى النصف من الاكم ، العيديه : الناقة النجبية وهي ابل منسوبة الى العيد .



وحتى في حديثهم عن الجبال الشاخنة وسط هذا الفضاء الرحب  
كانوا يقرنون بوصفها وصف السراب الذي يحيط بها ، فاذا كل هذه  
المظاهر تتحرك في الصورة وتتناقص اجزاؤها قال رؤبة : - (١)

ولو ترى اذ جدّ بي اجزامي وانحلّ بعد لزمه كعامي (٢)  
جرّبي اليك الخرق وأنماي عطشى الصدى خاشعة الأرام (٣)  
على صوى مسترعفِ الشامِ بدرن غرقى غرق الدوام (٤)  
بعد ارتفاع فيه وانكثام في آل خرق كاهب الأطسام (٥)  
اغبر ذي خوالج نهام (٦)

وليس هناك عربي لم يشاهد السراب وهو يسير في تلك المفاضة ،  
لهذا انعكس تأثيره في نفوسهم ، فظهر في رجزهم بلوحات جميلة تنبيء

- 
- ١ — مجموع اشعار العرب ص ١٤٥ وأراجيز العرب ص ٨٢ .
  - ٢ — يخاطب الممدوح بقول : لو ترى اذ جد بي اجزامي أي مضربي ، والكعام  
عود يعرض في الفم ثم يشد الى القفا كالمجام ، وهذا مثل .
  - ٣ — الانعام : القصد ، والعطشى : الفلاة لا ماء فيها ، والصدى : العطش  
بعينه ، والأرام : الأعلام .
  - ٤ — الصوى : الأعلام ، ومسترعف الشام : يعني جبلاً مانلاً اعلاه . يقول :  
تدور الصوى غرقى في السراب دور الدوام .
  - ٥ — كاهب الأطسام : أي مغبرة مطرقة ، والانكثام : التوارى والدخول  
في السراب .
  - ٦ — ذي خوالج : أي ذى شعب وطرائق ، والنهام : البين .

عن مدى التأثير الذي خلفه منظر السراب بعد قطعهم للفيافي الشاسعة  
والقفار الموحشة ، ولهذا وجدنا رؤبة وغيره من الرجاز يفردون أراجيز  
خاصة بوصف الصحراء وما يلوح فيها من آل ونبات وحيوان . بقول رؤبة  
في احدى أراجيزه يصف شدة الحر والنظاء السراب : - (١) .

وبلدٍ عاميةٍ اعمـاؤه      كأن لونَ أرضهٍ سماؤه (٢)  
هياتَ من جوزِ الفلاةِ ماؤه      بحسْرٍ طرفَ عينهٍ فضاؤه (٣)  
هابي العشي ديسقٍ ضحاؤه      اذا السرابُ انتسجت أضـاؤه (٤)  
أوجنَ عنه عربتُ اعراؤه      واجتابَ قِبْظاً يلتظي النظاؤه (٥)  
ذا وهجٍ يحمي الحصى احصاؤه      يبحثُ مكتن الثرى ظباؤه (٦)

١ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٢١٦ ومجموع اشعار العرب ص ٣ .

٢ — قوله : عامية اعمـاؤه : اي لا يهتدي فيه .

٣ — جوز الفلاة : وسطها ، يريد ان ماءه بعيد .

٤ — هابي العشي : أي انه اغبر بالعشي ، وديسق : ابيض ، واضاؤه : جمع  
اضاءه وهي الغدير ، يقول : اذا السراب جرت كذا وكذا فجملت كأنها  
تسدى الاضواء .

٥ — قوله : او جـن عنه : أي ذهب عنه هذه الأضواء ، واجتاب قِبْظاً : أي البلد  
الذي لبس الحر يريد انه اذا اشتد عليه الحر .

٦ — الوهج : الحر ، ومكتن الثرى : ما اکتن ولم يظهر ، يصف شدة الحر فيقول :  
ان الضياء تدخل في الظل وهي لا تدخل فيه الا وقت الهاجرة لأنها اصبر  
شيء على الشمس .

وكثيراً ما يتراعى أهم هذا السراب وكأنه قلائد احاطت باعناق  
الاعلام من اكم وجبال واماكن مرتفعة فتنتطبع صورته في نفوسهم ويبرز  
أثره في رجزهم كما حصل لرؤية اذ قال : - (١)

بل بلدة تخشي الشجاع الفاردا اذا السراب استعمل القراددا (٢)  
وقلدت اعلامها قلائدا الآ والآ وقتاناً باجدا (٣)

ثم يخذعهم هذا السراب فيربهم الاشياء على غير حقيقتها ، فهو اما  
ان يضاعف الاشياء ، واما ان يداخل بعضها ببعض ، وهذا انما يحدث  
اذا كان الحر شديدا والسراب كثيرا ، ولهذا وجده الرجاز سبيلا لظهور  
قدرتهم واستطاعتهم على اجتياز القفار في مثل هذه الاوقات الصعبة ، قال  
رؤية : - (٤)

وبلدة تدرع المدارعا من السراب والقنم السائعا (٥)  
اذا طفت اعلامها شوافعا ترى مع اثنين خسا ورابعا (٦)  
من سن رقراق الضحى مائعا كلفتها المهرية الضوابعا (٧)

---

١ - شرح ديوان رؤية - مخطوط ص ٢٧٤ ومجموع اشعار العرب ص ٤٥ .

٢ - استعمل : اي استنزل ، والقرادد : الاماكن المنقادة المرتفعة .

٣ - قوله : وقلدت : يعني ان السراب كان الى اعناقها ، الباجد : الثابت .

٤ - شرح ديوان رؤية - مخطوط - ص ٢٠٨ ومجموع اشعار العرب ص ٩٣ .

٥ - السائع : الجاري .

٦ - شوافع : يربد اثنين اثنين ، أي أن السراب يرفعها ، وخسا - لا ينون -  
المفرد .

٧ - الممائع : الذي يجيء ويذهب ، ومهرية : منسوبة الى مهرة ، والضوابع :  
التي تذهب ايديها الى ضوابعها في سيرها ، والضبع : العضد .



وإذا اراد مفتخر أن يفترق بثوته وجلده وأحتماله المصائب  
والمشاق ، فإنه يجد في قطع الفيافي المغيرة الموحشة ما يفي له بهذا  
الغرض ، وإذا اراد أن يصور الصحراء في أشد حالاتها وأوقانها قساوة  
فإنه لابد وأن يذكر السراب ويجعله علامة تدل على مدى الصعوبة التي  
لأفائها في قطعه لتلك البيد ، قال الفلاخ : - (١)

وبلدٍ اغبرّ مخشي العطب بضحي به موجُ السراب يضطرب  
لو قذف الكتانُ فيه لالتهب قطعتُ أخشاهُ بسيرٍ منجذب (٢)

وهكذا يكون السراب دليلا على شدة حرارة الصحراء وقساوتها ،  
ومن هنا وجدنا الرجاز لا ينفكون عن ذكر السراب والآل حينما  
يتكلمون عن بلد قفر ، وهذا يدل على مدى التأثير الذي أحدثه السراب  
في نفوسهم ، قال رؤبة : - (٣)

وبلدٍ يجري عليه العساس\* من السراب والقتام المسماس (٤)  
من خرق الآل عليه اغباس (٥)

---

١ - أراجيز العرب ص ١٢١ والفلاخ هو ابن جناب من بني حزن بن منقر بن  
عبيد بن الحارث وكان شريفا .

٢ - سير منجذب : أي يمتد .

٣ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ١٢٠ ومجموع اشعار العرب ص ٦٦  
وأراجيز العرب ص ١٣٥ .

٤ - العساس : سراب خفيف الاطراد ، ومسماس : خفيف .

٥ - الاغباس : الظلمة .

وهذا الأل المتوهج في هذا الوقت من النهار كثيراً ما كان يرتفع  
فيلتف حول الجبال ويغطيها فيكون بمثابة عمامة قد لفت باعناق الجبال  
الشاخنة المنتصبة ، فينفع الناس بهذا المنظر ويؤخذون به ، ثم يظهر اثره  
في رجز الرجاز على النحو الذي نقرأه عند العجاج حين يقول : - (١)

إذا النهارُ كف ركضَ الأخيلِ واعتمتِ القورُ بآلِ سلسلِ (٢)

لاثَ باعناقِ الجبالِ المثلِ (٣)

وكالذي نقرأه عند رؤبة حين يقول : - (٤)

عليه من اكنافِ قبظٍ يغتطي شبكٌ من الألِ كشبكِ المشطِ (٥)

إذا شماريخُ النيافِ الأعيظِ عممنَ بالآلِ اعتمامَ الأشمطِ (٦)

---

١ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٥١ وأراجيز العرب ص ١٧ .

٢ - الأخيل : طائر اخضر صبور على الحر وكانوا يتشاممون به وفي المثل : (اشأم  
من اخيل) والقور : جمع قارة وهي الأكم المنفردة ، وسلسل : بريد كأنه  
الماء السلسل وهو الخفيف الذي يتسائل في الخاق ، يقول إذا انجحر هذا  
الطائر فانا لا انجحر .

٣ - لاث : لف ، يقال : لاث الضباب بالجبل : أي غطاه واكتنفه .

٤ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٢١٣ ومجموع اشعار العرب ص ٨٣ .

٥ - يغتطي : يعلو ، وشبك : بريد شيئاً مشتبكاً ، والمشط : من اللواتي يمشطن

٦ - الشماريخ : رؤوس الجبال المشرفة على الهواء ، النياف : المشرف ، الأعيظ :

المرتفع أي أن الأل يعلو الجبال فيصبح لها كالعمامة .

وما اروع قول ذي الرمة في هذا المعنى حين شبه هذه العمامة  
السراوية بالحريز فقال : - (١)

ومهمة داويةٍ مثكالٍ تقسمت° اعلامها في الال (٢)  
كانما اعتمت° ذرى الجبال° بالقز° والابريسم° الهلهال (٣)

ومثله ايضا قول العجاج : - (٤)

ونسجت° لوامعُ الحرورِ برقرقانٍ آلهما المسجور (٥)  
سبائبا كسرقِ الحريز (٦)

على ان الرجاز صوروا لنا الجبال والسراب صورة بحرية رائعة ، اذ  
جعلوا الجبال غارقة في السراب ، فهي تغطس نارة وتطفو رؤسها نارة  
اخرى ، قال رؤبة : - (٧)

---

١ - اراجيز العرب ص ٤٥ .

٢ - المهمة : الفلاة ، الداوية : التي يسمع بها دوى ، المثكال : التي يشكل من  
بسلكتها ، تقسمت : غاصت .

٣ - القز والابريسم : الحريز ، الهلهال : الهلhel النسيج ، شبه لون السراب  
على الجبال بالقز .

٤ - اراجيز العرب ص ٨٨ وشرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٦٩ .

٥ - لوامع الحرور : يعني السراب ، وقرقانه : اضطرابه ، المسجور : المملوء .

٦ - سرق الحريز : شققه .

٧ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٦١ ومجموع اشعار العرب ص ١٠٤  
واراجيز العرب ص ٢٣ .



تبدو لنا اعلامه بعد الغرق في قطع الال وهبوات الدفق

خارجة اعناقها من معتنق (١)

وهكذا عالج الرجز السراب ووصفه بكل اشكاله المختلفة ، اذ كان

لكل منها صدى في نفوس الرجاز ، على ان هناك اماكن اخرى من

الرجز (٢) . ورد ذكر السراب فيها اعرضنا عن ذكرها هنا خشية

الاطالة ، اذ ان ما ذكرناه يكفي لاعطاء صورة كاملة عن مدى تأثير

الرجاز بالسراب وقدرة الرجز على تناول مظاهر الطبيعة بالوصف ومنها

السراب .

## ٢ — الجبال :

اما الجبال فقد بان تأثيرها في الرجاز حتى ظهر ذلك فيما صدر

عنهم من رجز تردد فيه ذكر الجبال ، وقد رأينا كيف انهم كانوا

يتناولون ذكرها مع ذكر السراب ويقرون بينهما حينما يتحدثون عن الصحراء

---

١ — الاعلام : الجبال ، وهبوات : غبرة ، الدفق : جمع الدقا وهو التراب الدقيق

اللين ، واعناقها : اعناق الجبال ، من معتنق : من حيث اعتنقها السراب

فبدت اعناقها منه .

٢ — انظر مثلاً قول رؤبة في مجموع اشعار العرب ص ٢٠ و ص ٥١ و ص ٦

وفي أراجيز العرب ص ١٦١ وانظر مجموع اشعار العرب ص ١٣٧

و ص ١٦٦ .

وكان الجبال والسراب صورة واحدة متحركة لا يبين احدهما الا مع الآخر  
والجبال بألوانها المتباينة ، واشجارها التي تكتنف سفوحها ، تثير في  
النفس شعوراً غريباً لهذا الوقار الهادئ والرزانة المستديمة ، وقد وجد  
الرجاز في هذه الظاهرة الطبيعية الصامتة صوراً يعبرون بها عن هذه  
المشاعر . استمع الى العجاج وهو يشبه الجيش بالجبل في ضخامته ، وبموج  
البحر في عظمته حيث يقول : - (١)

سرحَ عنه وهو وحفُ المنثلمُ كالعلمِ الأسودِ في جنب العلمِ\* (٢)  
دمخٍ ومثلٍ إضمٍ الى إضمٍ او كعباني ذي اواذي عظم (٣)

ومن هذه الايات الرجزية نعلم ان البحر هو الآخر اثر فيهم  
وجلب انتباههم فراحوا يشبهون به كل ضخمة عظيم .

وربما ورد ذكر الجبال في رجز الرجاز حينما يصفون ديار احبتهم  
النازحين واندراسها بعد تعاقب السنين عليها ، وهم يذكرون هذه الجبال  
على ان مقام احبتهم كان فيها ، قال رؤبة : - (٤)

ياصاح ما شاقك من مقام بأسحمان الجبل السحام (٥)

١ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٣٩ .

٢ - يقول : هو شديد المعتمد حيث ثلمه السيف فطريقه واسع ، يقول : هذا

الجيش كالعلم الاسود : أي كالجبل في ضخامته الى جنبه جبل اسود .

٣ - دمخ : جبل بنجد بين اليمامة وبرية ، وضم : جبل ، والعباب : الموج ،  
والعظم : العالي ، يقال : بحر عظيم : أي عال عظيم .

٤ - مجموع اشعار العرب ص ١٤٤ وارجيز العرب ص ٧٩ .

٥ - مقام : أي مكان اقامة ، اسحمان : جبل ، السحام : الاسود .

بعدَ البلى والزمنِ القدام قد مع الا رممَ الرمام (١)  
واذا كان الرجاز قد وصفوا الجبال في اثناء النهار والتي تبدو وكأنها  
تسبح في السراب حتى تفرق فيه ، فانهم لم يفتلوا عن وصفها بالليل اذ  
تبدو لهم وكأنها تذهب وتدخل في الظلام ، قال العجاج : - (٢)

واطعنُ الليلَ اذا ما اسدفا وفتح الأرض قناعاً مفدفا (٣)

وانغضفت لمرجحن اغضفا حوم ترى فيه الجبال خسفا (٤)

هذا وكانت للجبال اسماء خاصة تعرف بها ، وقد ورد ذكر بعض

هذه الاسماء في أراجيز رؤبة والعجاج وغيرهما ، وقد مر بنا ذكر هذه  
الاسماء منها : دمخ واضم واسمجان .

### ٣ - الدارات : -

وأثرت معالم الصحراء بكل ظواهرها في نفوس قاطنيها ، وبارت

هذا التأثير في رجزهم الذي صوروا به ظواهر الطبيعة المتنوعة . فكانت  
الدارات احدى المعالم التي برزت في رجزهم . والدارات هي كل أرض  
واسعة بين جبال ، أو هي رمل مستدير في وسطه فجوة . (٥) وقد

١ - القدام : القديم ، مع : درس .

٢ - أراجيز العرب ص ٥١ ولم اجد هذه الارجوزة في شرح ديوان العجاج  
المخطوط .

٣ - اسدف : اظلم ، المغدف : المرسل المتسع .

٤ - انغضفت : يقول تثنت الظلمة ، المرجحن : المسترخي الثقل به في الليل ،  
الحوم : الكثير ، وخسفا : كأنها تذهب وتدخل فيه .

٥ - معجم البلدان - باقوت ٢/٤٢٤ بيروت .



وقد حددها بعضهم بميلين ، قال ابو حاتم في رواية عن الأصمعي : الدارة  
رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال . (١) وقال ابو حنيفة : الدارة  
لا تكون الا من بطون الرمل المنبثة . (٢)

ويبدو ان هذه الدارات كانت كالواحات يؤمها المسافرون في الصحراء  
للاستراحة والاستظلال بظلال اشجارها ، او هي اماكن للهو والمرح نظراً  
لوجود الماء والزرع فيها .

وقد سموا كل موضع تكون هذه صفته باسم معين ، واشهر هذه  
الدارات هي دارة جلجل التي كان لأمرى القيس فيها قصة مشهورة ،  
وقد اختلف في عدد دارات العرب ، فقد ذكر الاصمعي انها تبلغ ست  
عشرة دارة . اما ياقوت فقد ذكر نيفا وستين دارة استخرجها - كما  
يقول - من كتب العلماء المتقنة ، واشعار العرب المحكمة ، وافواه  
المشايخ الثقات ، واستدل عليها بالاشعار . (٣)

وقد كان ذكر هذه الدارات يأتي مع ذكر السفر والرحيل وان  
تلك الدارات هي العلامات التي يعرفون بها الاماكن والمسافات . وقد  
كانت بمثابة دار استراحة يأوى اليها المسافرون ليقتضوا فيها بعض الوقت  
كما كان يرد ذكرها مع ذكر ديار الاحبة ويان مواقعها التي غالباً ما  
تكون بين بعض تلك الدارات أو بالقرب منها . فهذا راجز يقول انه

---

١ - معجم ما استعجم - البكري ٥٣٣/٢ ط ١ القاهرة .

٢ - المصدر السابق ٥٣٣/٢ .

٣ - معجم البلدان - ياقوت ٤٢٤/٢ .

وصل دارة ( البعصيد ) قبل ان يخرج الطائر من عشه ، أي قبل  
الفجر : (١)

واحتثها الحادي بهيدٍ هيدٍ كذا لقربٍ فسقسٍ كؤودٍ  
فصبحت\* من دارةِ البعصيدِ قبلَ هتافِ الطائرِ الغريدِ

وهو يريد بكلامه هذا انه خرج مبكرا وسار سيرا سريعا حتى  
وصل الى هذا المكان في هذا الوقت المبكر لئلا تصلبه الصحراء بحرما  
في وقت الهاجرة .

ومن بين تلك الدارات التي عرفها العرب ( دارات العوج ) وقد  
ذكرها راجز من بني سعد على انها تكتنف دار حبيته التي رحلت  
وتركت آثار ديارها ذكرى لها عنده : (٢)

بادارَ سلمى بين دارات العوج جرت\* عليها كل ربيعٍ سيهوج\*  
هوجاء جاءت من بلاد يأجوج (٣)

وقال راجز - واضنه هو الذي قال الأبيات التي ذكرت آنفا -  
في دارة العوج وهي احدى تلك الدارات : (٤)

---

١ - معجم البلدان - ياقوت ٤٢٤/٢ .

٢ - امالي القالي ١٤٧/٢ والتنبيه على ابي علي في اماليه - البكري ص ١٠٩ .

٣ - الريح السيهوج : الشديدة ، والريح الهوجاء : التي جاءت تحمل التراب ،  
وقوله من بلاد يأجوج : اي شرقية .

٤ - التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه - البكري ص ١٠٩ .

بدارة العوج اسلمى مربعُ يكنفه من جانبيه لعلع  
ودارة ( رهبي ) احدى الدارات التي ورد ذكرها في رجز العرب  
حيث قال رؤبة يصف مطاردته للأذن عند هذه الدارة : (١)  
بصلب رهبي أو ممي الأصهاب جوازناً من غدقٍ واخصاب (٢)

#### ٤ — الوقوف على الاطلال :

وكان للأطلال صدى وأي صدى في نفوس اولئك العاشقين المتبعين  
الذين برح بهم الوجد والشوق بعد رحيل احبتهم ونزوحهم عن ديارهم.  
وهل للمدله غير اثار الديار يبثها شكواه ويستخبرها عن كان بالأمس  
منعما فيها ، وماذا يبقى في الدار بعد ان يتركها قاطنوها غير الاثافي  
والدمن والنوى والتي تبقى عرضة للرياح والامطار تلعب بها حتى تتركها  
رسوما شاخصة كباقي الوشم في ظاهر اليد .

وقد وقف الرجاز كما وقف المقصدون كثيراً عند تلك الأطلال  
يحبونها ويبكونها ويسألونها عن الناحية التي انتحاهوا احبتهم ، وهم بوقوفهم  
هذا انما يستذكرون الايام الجميلة العذبة التي قضاهم الراجز مع من  
يحب في تلك الديار التي عادت اطلالا دارسة عبثت بها هوج الرياح

---

١ — مجموع اشعار العرب ص ٧ وارجيز العرب ص ١٦٤ .

٢ — الصلب : المتن من الأرض ، وممي : تصغير ومعي وهو مالان من الأرض  
وانخفض ، والاصهاب : موضع ، والجوازي : اللاتي جزأن بالرطب عن  
الماء اي استغنين به ، الغدق : كثرة الماء ، واخصاب : جمع خصب .



ومياه الامطار وما يحدث في فصول العام من احداث طبيعية تترك الطلل  
عافيا بصبي الراجز ويشير شجونه :

باللصبا للطلل الحولي قفراً بحنو البيضة المحني (١)  
قد خفي او شبه بالخفي غير رماد النار والاثني (٢)  
مقتبلات قعدة النجي (٣)

ووصف الطلل يقود الشاعر الى وصف حبيته التي كانت تسكن  
تلك الاطلال حينما كانت عامرة باهلها ، اذ كانوا يمرحون بها وفيهم  
حبيته التي تشبه شادنا راح يسرح ويلهو مع طباء تنصب اعناقها وتطمح  
بابصارها ، قال رؤبة : (٤)

هل تعرف الدار عفت<sup>٥</sup> بالعنكك داراً لذاك الشادن المرعك (٥)  
في مرشقات كالدمى لم تطمح يخدعن بالتبريق والتأنك (٦)

---

١ — اراد : ياهؤلاء اعجبوا لصباى من اجل الطلل الذي اتى عليه حول ،  
والطلل : ما شخص من اعلام الدار ، البيضة : الرمل ، والحنو : ما  
انحنى منه .

٢ — الأثني : اراد بها الاثافي .

٣ — شبه الاثافي واجتماعها يقوم يتناجون . شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ١٥٥

٤ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٢٤٩ ومجموع اشعار العرب ص ٢٧ .

٥ — العنكك : موضع ، المرعك : الذي اتى عليه الرعات وهو عن يعلق على  
الشام ، والشادن من الطباء : الذي قد تحرك .

٦ — في مرشقات : اي مع نساء كأنهن الطباء المرشقات وهي التي تنصب اعناقها  
وتطمح بابصارها .

وربما عبثت الحيوانات بتلك الاطلال حتى كادت تمحو آثارها ،  
اذ ان بولها وبعرها يتلبدان فوق تلك الاثار فلا تعود الا خطوطا باهتة  
لا يستبينها الراجز ، فيسائل صاحبه عنه يعرفها ، وان كان هو قد عرفها  
حقاً ، قال المعجاج : (١)

ياصاح هل تعرف رسماً مكرساً ؟ قال : نعم اعرفه ، وأبلسا (٢)  
وانحلبت عيناه من فرط الأسى وكيف غربي\* داليج تبجسا (٣)  
من ان عرفت المنزلاتِ الدرسا غيرَها عطفُ السنين أحرسا (٤)  
وكل رجاس يسوق الرجسا من السحاب والسيول المرسا (٥)

الا ترى الى هذه اللوحة الفنية البديعة التي اودعها الراجز وصفاً  
دقيقاً لما ينتاب الانسان عند وقوفه على اطلال الأجابة ، انها صورة رائعة  
تنبي عن مدى قدرة الراجز على تصوير مظاهر الطبيعة وتأثيرها في الانسان

---

١ — شرح ديوان المعجاج — مخطوط ص ٤١ .

٢ — المكرس : الذي قد تلبد من آثار البول والابعار حتى صار طرائق بعضه  
على بعض ، ابلسا : اي سكت .

٣ — الداليج : الذي يمشي بالدلو من البئر الى الخوض ، والتبجس : التشقق ،  
يقال : تبجست عيناه : اذا سالنا .

٤ — الأحرص : جمع حرس وهو الزمن الطويل .

٥ — الرجاس : الصوت المختلط ويقصد به — هنا — صوت الرعد ، المرسا :  
أي السيول التي اذا مرت لم تترك على الأرض شيئاً الا جرفته ومرت به .

وانعكس هذا التأثير في مشاعر العربي حتى بان ذلك في رجزه . ان هذه الرسوم هي بقايا ديار الأجمة فكانت لحظة صمت وهدوء لم يستطع معها كتمان شوقه ووجدته فاشتد به الأسى حتى ذرفت عيناه دمعاً غزيراً وهو يرى تلك الديار وقد درست وغيرتها تنابع الأعوام وكثرة الأمطار وشدة السيول الجارفة . وحينما ينهال دمع الراجز ويجري على خده مدراراً وهو يقف على اطلال النازحين ، انما هو يشناق لأجمة كانوا بالأمس منعمين في ظل اجتماع شملهم ، وهذا ما حدث للعجاج حينما كواه الحب وأحرقه الشوق فراح دمه بسيل على خده بعد ان حركه رسم الاطلال :

ما بالُ جاري دمعك المهلل والشوق شاجٍ للعيون الخذل (١)  
 قد كنت وجاداً على المضلل من رسم اطلال بذات الحرمل (٢)  
 بادتْ واخرى امس لم تحول بالجزع بين عفرة المجزل (٣)

وكانت الديار المهجورة تبلى فنصبح كثوب خالقٍ بالٍ بهيج الحزن  
 ويشير في النفس شجواً عظيماً :

ما هاجَ احزاناً وشجواً قد شجا من طال كالانحامي انهجا (٤)

١ — الخذل : انسلاق العينين واحمرارهما .

٢ — المضلل : الذي لا يدوم على حال ويركب الضلال فهو يجد عليه ويفضبه .

٣ — الجزع والمجزل : مواضع في شق بني تميم ، والعفره : مكان فيه رمل احمر

شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ٤٦ .

٤ — الانحامي : موضع باليمن تعمل فيه البرود ، شبه آثار الديار يبرد قد اخلق



امسى لعافى الرامسات مدرجا واتخذته النائجات متأجا (١)  
فهذه الاطلال لم تعد الا مسرحا للرياح العانية الشديدة تعبت بها  
كما تشاء .

وللهوى الدفين في النفس اثر كبير حينما تبعته وتهيجه الديار المقفرة  
الموحشة التي مرت عليها السنون فأحالتها الى اطلال دارسة كأنها صحف  
مكتوبة حيث امحت آثارها الشاخصة ولم تبق الا الرسوم ، قال رؤبة : (٢)

ياصاحـ هاجتك الديارُ الاكراسُ<sup>٣</sup> على هوى في النفس منه وسواس (٣)  
كيف وقد مرت لهن احراس وهن عجم لو سألت اخراس (٤)  
كأنهن دارسات اطلال من صحف أو باليات اطراس (٥)

ويروح الراجز يسأل تلك الرسوم والأطلال ، ويستخبر الرماد  
والنوى والأثافي المقبعات على الرماد لعلها تعطيه جوابا يشفي غليله ، ولكن

---

١ — العافى : ما عفى الأثر فمجاه وأذبه ، والرامسات : الرياح وأصلهن  
انهن يدفن ، من الرسم أي الدفن ، والنائجات : التي تمر مرأ سريعا ،  
ومتأجا : أي ممرا . شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ١٠٢ .

٢ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ١١٩ ومجموع اشعار العرب ص ٦٦ .

٣ — الأكراس : جمع كرس وهي الابعار والابوال .

٤ — الاحراس : الدهور .

٥ — الاطلال والاطراس : صحف التهجي .

أنى لها ذلك وهي خرس لا تنطق عجم لأتبين :

- وما صباي في سؤال الأرسم وما سؤال طائل وحمم (١)  
والنؤى بعد عهده المثلّم غير ثلاث في المحل صيم (٢)  
روائم أو هن مثل الرؤم بعد البلى شلو الرماد الأدهم (٣)

ثم ان تلك الاطلال قد هدمتها الرياح الهجم ، وتتابعت عليها  
السحب السجم التي جعلت ماءها سيلاً يجري فيها ، أما السنون فقد  
تتابعت عليها وهي ممتدة طويلة فتركتها كأنار المداد في الكتاب :-

- في عرصة هاجت شجون المؤلم كأنها بعد الرياح هجم (٤)  
وبعد هذاذ السحاب السجم من مر اعوام السنين العوم (٥)  
مراجع النفس بوحى معجم (٦)

---

١ — حمم : جمع حمة : وهي الرماد .

٢ — النؤى : كل حاجز حول الخباء لئلا يدخله الماء من نواحيه ، والثلاث :  
يعني الأثافي مقيمات على الرماد ، والصيم : الثابتات في مكانهن .

٣ — الرؤم : جمع الرائم : وهي التي تعطف على بو أو غير ولدها ، وشاو الشيء :  
بقيته ، أراد ان الأثافي يعطفن على شلو الرماد . شرح ديوان العجاج -  
مخطوط ص ٨٨ .

٤ — الهجم : اللواتي تهدم كل شيء .

٥ — هذاذ السحاب : ما تتابع منه وتقطع ، والسجم : السوايل ، والسنون  
العوم : أي التي تمد اعوامها ، وذلك على المبالغة .

٦ — النفس : المداد ، والمراجع : الأثار ، والوحي : الكتاب . شرح ديوان  
العجاج - مخطوط - ص ٨٨ .

وهكذا تركت الأطلال في نفوس الرجاز أثراً كبيراً فراحوا يذكرونها  
في كل مناسبة ، حتى أصبح من سنتهم المعروفة افتتاح أراجيزهم بذكر  
الأطلال ووصفها مهما كان غرض الأرجوزة .

#### ٥ - الآبار : -

وقد وجدت في جزيرة العرب آبار عديدة كان الناس يحفرونها  
لحاجتهم الملحة اليها ، حتى ان مكة اشتهرت بكثرة آبارها ، اذ كانت  
كل جماعة في مكة تحفر لها بئراً خاصاً تستقي منه . والذي الجأهم  
الى هذا العمل هو ندرة المياه وجذب الارض ، ولما كان الماء عماد الحياة  
راحوا يبحثون عنه في باطن الأرض بعد ان فقدوه في ظاهرها . ومن  
هنا كان للآبار منزلة عظيمة في نفوس أصحابها حتى أنهم اخذوا يفخرون  
بتلك الآبار وعدوبة مائها وكثرته .

وقد اثرت فيهم هذه الآبار وانعكس تأثيرها في رجزهم الذي  
تناولوا فيه ذكر آبارهم والفخر بغزارة مياها التي تشبه البحر ، قال  
راجز بني عدي حينما حفروا بئرهم المسمى ( الحفير ) : - (١)

نحنُ حفرنا بئرنا الحفيرا بحرأ بجيش ماؤه غزيرا

على أني سأفرد لرجز الآبار فصلاً خاصاً فيما يأتي من الفصول  
ان شاء الله ، ذلك لأن فن المنح والأستقاء من الاغراض التي انفرد  
بها الرجز .

---

١ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٧/١ بيروت .



٦ - المطر والبرق والرعد : -

أما المطر فقد كان مصدر الحياة للإنسان والحيوان والنبات ، لذلك سموه الحيا والرحمة والغيث وما الى ذلك ، ومن هنا وجدنا تعلق العربي به شديداً ، لأنه اساس حياته ومصدر رزقه ، والمنبع الرئيس لمعيش حيوانه ثم به يسقي الزرع ، وبه ينبت الكلا ، فلاعجب اذا ما تغنى به ورسم له في ذهنه اجمل صورة ، فهذا العجاج يشبه رذاذ المطر بحبات الشذر ، وهل هناك اغلى واجمل من الشذر : - (١)

وان نحا كالنابك المثير      مرت له دون الرجاء المحفور (٢)  
نواشط الارطاة كالسيور      مجرمزاً كضجعة الماسور (٣)  
مستشعراً خوفاً على وقور      كأن هفت القطقط المنثور (٤)  
بعد رذاذ الديمة المحدور      على قرأه فلق الشذور (٥)

١ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ٧١ وأراجيز العرب ص ٩١ واللسان مادة ( هفت ) .

٢ - وان نحا : أي اعتمد يريد به الثور ، والنابك : الذي يخرج التراب ، والرجاء : الناحية .

٣ - نواشط : عروق ، يريد أنه اذا حفر في هذا الكناس صادف عروق الارطاة ، المجرمز : المنقبض المجتمع الخلق ، الماسور : الأسير .

٤ - وقور : أي وقار : يقول أنه خائف ولكنه مظهر الوقار ، هفت : سقط ، القطقط : القطر .

٥ - القرا : الظهر ، الديمة : السحابة ، والشذور : جمع شذر وهو ما صيغ من الذهب حلياً .

وقد ملك المطر على الرجاز حسهم ، وأثر في عواطفهم ومشاعرهم ،  
فهطلوه بعد بشارة بالخير والبسر والغنى في البلاد الصحراوية ، لأن سقوط  
المطر يؤذن بظهور النبات وحلول الربيع ، فالأبل تسمن والمال يكثر ،  
والخير يزداد ، قال الرجاز بذكر الغيم وما فيه من مطر . - (١)

أقبل في المسنن من ربابه أسنمة الأبل في سحابه (٢)

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الأبل فتسمن ونصير شحومها  
في أسنمتها . ومن هنا انعكس أثر المطر في نفوس العرب فجاء ذكره في  
مناسبات عدة في كلامهم ، فقد ذكروه مع ذكر الاطلاق الدراسة التي  
لعبت بها الرياح الهوج والامطار الغزيرة ، قال ذو الرمة : (٣)

ما هاج عينيك من الاطلاق المزمنا بعدك البوالي (٤)  
غيرها تناسخ الأحوال وغير الأيام واللبيالي (٥)

---

١ — الكامل في اللغة والأدب — المبرد ٦٨/٢ .

٢ — الرباب : سحاب دوين المعظم من السحاب .

٣ — أراجيز العرب ص ٤٠ .

٤ — المزمنا : التي أنت عليها أزمان متتابعة ، والبوالي : جمع بالية .

٥ — تناسخ الأحوال : مرور السنين عليها حولا بعد حولا ، وغير الأيام :

تغيرها .

وهطلانُ الهضبِ والتهتالِ من كلُّ احوى مطلق العزالي (١)

جون النطاق واضح الاعالي (٢)

وأثرت فيهم ظاهرة المطر الغزير حينما يكون مصوتاً ، قال  
الراجز : (٣)

لشخبها في الصحنِ للأعشارِ بربرةٌ كصخبِ المماري

من قادمٍ منهمرٍ ثرثارٍ (٤)

على ان نزول المطر كان يسبقه برق ثم رعد ، وربما صاحبه  
ذلك ، فاذا ابرقت السماء علموا أن سيحدث رعد ، قال رؤبة : (٥)

رأيت أروى وهي تخشى فقدي تعجبُ والبرقُ أذانُ الرعدِ

بمطرٍ ليس بثلجٍ صردٍ

---

١ — الهضب : المطر ، واحدها مضبة ، وهطلانه : سيلانه ، والتهتال ، السيلان  
أيضاً ، والأحوى : الذي لونه الحوة وهي ضرب من السواد والمراد  
سحاب احوى ، والعزالي : جمع عزلاء وأصلها مخارج الماء من افواه  
القرب وشبه به خروج الماء من خلل السحاب .

٢ — الجون : الأسود ، وجون النطاق : سود النواحي والجوانب ، وواضح  
الاعلى : أي أعلاه ابيض .

٣ — امالي القالي ٢/٢٩٦ بيروت .

٤ — يقال مطر ثرثار وسحاب ثرثار : اذا كان ماؤه مصوتاً .

٥ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط — ص ١٠١ ومجموع أشعار العرب ص ٤٨ .



وصوت الرعد مقدمة الغيث و اماره من امارته ، فاذا كان صوته  
شديداً استدلوا بذلك على بعد المطر ، واذا كان صوته اشد استدلوا  
به على قربه .

وقد تردد ذكر البرق كثيراً في الرجز ، وربما يكون بريقه الساطع  
سبباً كبيراً في جلب انتباههم وتأثرهم به ، قال الراجز يصف البرق وشدة  
التهابه : - (١)

أرق عينيك عن الغموض برق سرى في عارض نهوض  
ملتهب كلهب الاحريض بزجي خراطيم غمام بيض (٢)

وقد راحوا يشبهون ثغور الحسان بالبرق في بياضه ولمعانه ، حتى  
ان رؤبة أولع بهذا التشبيه فتردد على لسانه في اماكن عدة ، يقول في  
أرجوزة له يصف ضحكة احبته التي انكشفت عن برق لمع من  
الاسنان : - (٣)

بخدعن بالتبريق والتأنت بالضحك لمع البرق والتحدث  
تألق الجن برمل الأدوات (٤)

---

١ - تاج العروس - مادة ( حرض ) .

٢ - الاحريض : العصفر أو حبه .

٣ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٢٤٩ وبمجموع أشعار العرب ص ٢٧ .

٤ - يقال للمرأة تألقت : اذا تزينت ، وتألق البرق : اذا لمع .

وقال في أرجوزة اخرى ذاهباً الى نفس هذا التشبيه : — (١)  
تضحك عن اشنب عذبٍ ملثمه \* يكادُ شفافِ الرياحِ يرثمه\* (٢)  
كالبرقِ يجلو برداً تبسمه

وهكذا كان رؤبة معجباً بشدة لمعان البرق ، فلم يستطع التخلص  
من التشبيه به في مواضع كثيرة من رجزه . (٣)  
وقد تطور هذا اللون من رجز الطبيعة فيما بعد فكانت لأبي نؤاس  
أبيات جميلة في وصف السحابة وما يحدث في الأرض بعد ان يزورها  
المطر فكانها شيخ هرم عاد له شبابه فطرح عنه الحزن والاكتئاب وأصبح  
ذا منظر بهيج (٤)

- 
- ١ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٢٩٦ ومجموع أشعار العرب ص ١٥٠ .  
٢ — الشنب : عذوبة وبرودة في الاسنان ، وقيل : هو تحديق في الاسنان ،  
الشفاف : البارد .  
٣ — أنظر مثلاً قوله في شرح ديوانه المخطوط ص ١٣١ و ص ٢٢٧ وفي مجموع  
أشعار العرب ص ١٢١ و ص ١٤٤ .  
٤ — من ذلك قوله :

وزائر حبيبه اغباؤه	طال على رغم الثرى اجتنابه
جاءت به مسيلة هدايه	ركب حياة والصبا ركابه
باك ضنين رعدده انتحابه	حتى اذا ما اتصلت اسبابه
وضربت على الثرى قبابه	وامتد في ارجائه اطنابه
وشرفت بمائه شعابه	جلى عن وجه الثرى اكنتابه
وخلبت في نورها رحابه	كانما الماء انجلي منجابه

شيخ كبير عاده شبابه

كما ابداع أبو تمام في هذا الباب فانشأ مطربانه الرائعة التي تناول فيها الأنواء والبروق والسحاب والرعد ، وقد وجد في اجتماع البرق الذي هو نار ، والمطر الذي هو ماء ، حكمة الهية العظيمة ، حتى ذكر ذلك في رجزه (١)

هذه هي صورة المطر والبرق والرعد انطبعت في ذهن العرب وهي تحمل في طياتها ميلاً شديداً نحو المطر ، وحباً وغراماً به ، ذلك لأنه باعث للنماء والخصب ومحبي الارض المجدبة ، ونظراً لهذا الولع الشديد بالمطر فقد وجدنا رجزه زاخراً بذكره وصفاته ، اذ استطاع هذا الرجز ان يصور مشاعر الرجاز واحاسيسهم تجاه المطر واثره فيهم .

#### ٧ - الأشجار والنباتات : -

وكما وصف الرجاز المطر واثره في نفوس العرب ، فانهم وصفوا الاشجار والنباتات التي عرفوها في جزيرتهم ، وكان جملها يلائم المناطق الصحراوية وما فيها من حر وجفاف . وعلى هذا فالراجز لم يغفل عن وصف الاشجار التي استظل بظلها وتغذى بشعرها ، كما لم يغفل عن وصف النباتات التي كانت غذاء لحيوانه وعلى الاخص الابل ، واهم تلك النباتات التي كانت ترعاها الابل هي الحمض والاشنان وما شابه ذلك من اشواك وغيرها . قال ركاض الديري بصف ابلأ كانت ترعى الحمض والاشنان : (٢)

١ - أنظر ديوانه بتحقيق عبد الحميد بونس ص ٣٥٧ .

٢ - امالي القالي ٨١/١ بيروت .



تربعت في حرصٍ وحمصٍ جاءت تهض الارضَ أي هض<sup>(١)</sup>  
يدفع عنها بعضها عن بعضٍ مثل العذارى شمنَ عينِ المغضي<sup>(٢)</sup>  
وقال الراجز يصف ابلا رعت الحمص في بلاد خالية فحرق اكبادها  
فهزلت فما كادت تسير : (٣)

حرقها حمصُ بلادِ فلٍ وغممِ نجمٍ غيرِ مستقلٍ  
فما تكادُ نبيها تولي

وكان الحماض من نباتات الجزيرة المعروفة ، منه حامض ومنه مر  
وله ورق أزرق . قال الزفيان يصف ما زينت به الهواجج : (٤)

كأنما علقن بالاسدان يانع حماضٍ واقحوان

وثمر الحماض هذا ، ابيض فيه حمرة ، وبه شبه رؤبة دم الحمر  
الوحشية النازف منها نتيجة رميته لها ، ذلك لأنه كان يخرج مع الدم

---

١ — تربعت : اقامت في الربيع ، الحرص : الاشنان ، الحمص : ما ملح من  
النبات ، تهض : تدق .

٢ — قوله : يدفع عنها بعضها عن بعض ، اي هي مستوية حسان كلها ليست  
فيها واحدة تبينها فتسبق اليها العين ، ولكن اذا قيل : هذه احسن ، قيل :  
لا ، هذه ، فيدفع بعضها عن بعض العين ان تعينها ، وشمن : فتحن عين  
المغضي فينظر اليهن وهن مثل العذارى في الحسن .

٣ — اراجيز العرب / ٥ .

٤ — امالي القالي ٤٢/٢ بيروت .

زبد يختلط به . قال : (١)

ترى بها من كل مرشاش الورق كثمر الحماض من هفت العلق (٢)  
وكان لون ثمر الحماض يستهوى الرجاز فيتخذونه مثلاً يشبهون به  
حلي النساء في جمال شكله وبداعته . قال رؤبة : (٣)

وعلقت من أرنب ونخل كثمر الحماض غير الخشل (٤)

ومن بين النباتات التي ترعاها حيواناتهم والتي وردت في رجزهم  
القراص والحمصيص وهما ضربان من النبات : قال بعض الرجاز : (٥)

يارب شاةٍ شاص في ربرب خماص (٦)

يأكلن من قراصٍ وحمصيص أص (٧)

---

١ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٨٣ ، ومجموع اشعار العرب / ١٠٨ وارجيز  
العرب / ٣٧ .

٢ — ترى بها : أي بالائن ، الورق : قطع الدم ، يقول : يخرج من موضع كل  
رمية مرشاش : أي رمية ترش الدم ، والهفت : السقوط ، العلق : الدم .

٣ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٩٥ ومجموع اشعار العرب / ١٣٠ وارجيز  
العرب / ١٢٨ .

٤ — أرنب ونخل : ضربان من الحلي ، والحماض : ثمره ابيض ثم تدخله حمرة  
أي تشكله فهو حسن فشبّه الحلي به ، والخشل : الضعيف .

٥ — ارجيز العرب / ٩٧ .

٦ — الشاة : ثور بقر الوحش وشاص : منتصب .

٧ — أص : متصل .

ولاح لأعينهم في باديتهم شجر السلم فتأثروا به في ضمور اغصانه  
وصلابتها فشبها به النوق التي هزلت من السير . قال جرير بصف الابل  
التي حملت الوفد الى الحكم بن ايوب الثقفي : (١)

اقبلنَّ من نهلان أو وادي خيم\* على قلاص مثل خيطانِ السلم (٢)  
قد طويت\* بطونها طيَّ الأدم\* (٣)

اما الاشجار التي كانت تتخذ منها المساويك فهي الأراك والاسحل  
والبشام وغيرهما فمن هذه الاشجار التي وردت في رجز الرجز  
الاسحل والبشام .

قال رؤبة بصف ثغر حبيته وأسنانها التي كانت تنظفها بسواكها  
الذي اتخذه من هذه الاشجار : (٤)

تميحُ بالأسحلِ والبشامِ كما جلا عن بردِ بسامِ (٥)  
برق اغرُّ طيبُ الأنسامِ كأنَّ مسكاً ذاكي الفغامِ (٦)

١ — اراجيز العرب / ٥٥ .

٢ — نهلان : جبل ، والقلاص : جمع قلاص وهي الشابة من الابل ، وخيطان  
يريد اغصان ، والسلم : شجر شائك ينمو في البلاد الحارة ثمره اصفر .

٣ — الأدم : الجلود المدبوغة .

٤ — مجموع أشعار العرب / ١٤٤ و اراجيز العرب / ٨٠ .

٥ — تميم : تسوك ، والبشام : شجر طيب الرائحة .

٦ — الانسام : الرائحة ، والفغام : يقال : فغمه الطيب وشمله : اذا  
وجد رائحته .



خالطَ بعدَ وسنِ المنامِ رَبَّ العظامِ عذبةَ اللغامِ (١)  
ورأى الرجاز البردي - وهو نبات مائي كالقصب - فتأثروا به  
واتخذوه مثلاً شبهوا به عظام النساء في دقتها وضمورها ، قال العجاج  
يصف شابة حسنة عاشت في هناء ونعمة : (٢)

وقد تُرى اذ الحياة حي واذ زمان الناس دغفلي (٣)  
خوداً ضناكاً خلقها سوى كأنما عظامها بردي (٤)  
سقاءُ رَبِّا حائرٌ روي (٥)

هذا وقد وجدت بعض الاشجار الكبيرة في مناطق معروفة من بلاد  
العرب ، كالسدر والنخيل والزيتون وما الى ذلك . وكان للتمر - وهو مايزال  
غذاءً رئيسياً عند أهل العراق وغيرهم - أثر كبير في نفوسهم ، انعكس في  
رجزهم وقصيدهم ، قال راجز يصف تمرأ رديتاً لم يعجبه : (٦)

بالك من تمرٍ ومن شيشاءٍ ينشبُ في المسعلِ واللهاهِ (٧)  
رأينا بما تقدم ان الرجز قادر على تصوير الطبيعة الصامتة بكل

---

١ - ربا العظام : يريد بها حبيبتها ، واللغام : الريق .

٢ - شرح ديوان العجاج / ٩٤ وأراجيز العرب / ١٧٥ .

٣ - اذ الحياة حي : أي اذ الحياة حياة ، ودغفلي : واسع كثير .

٤ - الضناك : الضخمة .

٥ - الحائر : الماء المجتمع .

٦ - أمالي القالي ٢/٢٤٦ بيروت .

٧ - الشيشاء : الشبص .

مظاهرها حتى أنه نقل لنا هذه اللوحات البديعة عن الطبيعة التي  
احاطت بالعرب .

### ثانياً : الطبيعة الحية :

- لم تساعد بيئة العرب الطبيعية على الزراعة ، لأن أكثرها صحراء  
مجربة ، شحيحة المياه ، كثيرة الرمال ، كما ان الصناعة فيها قليلة ، أو
- قل انها تكاد تكون معدومة الا في اماكن محدودة . ولهذا اضطر العربي  
الى ان يتخذ الحيوان وسيله للعيش ومصدراً أساسياً للرزق . ومن هنا
- رأينا حرص العربي شديداً في المحافظة عليه والعناية به ، فالحيوان هو  
الواسطة الوحيدة للنقل في تلك الصحراء ، والحيوان هو الوسيلة القوية  
الناجحة في الحرب في ذلك الوقت واخيراً فهو طعام الجائع ، وزاد المحتاج ،  
وسؤل الطالب ، ومفخرة الغني ، وعطاء الكريم .

يظهر من هذا ان حيواناتهم كانت تعتمد الى حد كبير على هذا  
الحيوان ولهذا راحوا ينتقلون وراء ماشيتهم من مرعى الى مرعى ، ومن  
موضع ماء الى آخر ، يقيمون أودها ، ويحفظون حيواناتها .

كانت هذه فوائد الحيوان التي حصل عليها العربي في ذلك الزمن  
وهي فوائد عظيمة كانت لها مكانة مهمة في حياة العرب .

أما تأثير هذا الحيوان في نفوسهم ، فكان تأثيراً قوياً ، نظراً لتلك  
المكانة التي كان يحتلها ، وقد تجلى هذا التأثير واضحاً في آداب الأمة  
العربية ، ولاسيما فيما وصل اليها من شعرها ، فقد جاء هذا الشعر طافحاً  
بذكر الحيوان على اختلاف أنواعه ، والاشارة الى اوصافه واجناسه ، كما

ان كثيراً من العلماء ألفوا كتباً في هذا الموضوع .

وقد تعلق الانسان بالحيوان تعلقاً شديداً منذ القدم ، ذلك لأنه اعانه على تذليل كثير من مصاعب الحياة ، والوصول الى ما كان يرمى اليه من الغايات ، وهذه العلاقة القوية منحت الانسان القدرة الكافية على وصف الحيوان باوصاف خلده في آثاره وبقاياها .

وتعلق العرب - كغيرهم من الاقوام - بحب هذه الحيوانات ، فقربوها واعزوها ومنحوها رعايتهم ، ولم يكونوا قادرين على العيش بمعزل عنها .

وانك لتقرأ غرر قصائد العرب ، فتجد وصف الحيوان ، أو ذكره أو اتخاذه وسيلة للوصول الى غاية ، تحتل جانباً كبيراً في تلك القصائد ، ونادراً ما يغفل الشاعر عن التطرق الى الحيوان في شعره .

ونجد في رجز العرب - كما نجد في قصيدهم - صوراً عديدة جميلة لحيواناتهم الذي عاشروه طوال حياتهم ، والذي كان أنيساً ورفيقاً ومساعداً لهم في كل وقت ومكان .

فلو رجعنا الى المعلقات - وبالأخص معلقتي امرئ القيس وطرفة - لوجدنا اكثرها يدور حول الحيوان . وفي نفس الوقت نجد أن أراجيز المعجاج ورؤبة وأبي النجم ورجز الحداء والطرد ، قد مليء بصور كثيرة للحيوان . وسأحاول اجلاء بعض هذه الصور في الصفحات التالية :



## ١ - الحيوان الأليف

### أ - الأبل :

كانت الأبل أكثر الحيوانات ملائمة للحياة في الصحراء ، فهي - بما وهبت من خف يستطيع السير على الرمال فلا يتأثر بها ، وجوف يمتليء ماء ويمدها به حين عطشها فلا تطلب الماء أياما عديدة ، وما كان لها من سنام كيفها لتحمل الجوع ووضع الهوادج ، وفم يتمكن من أكل الشوك ، وهو النباتات المنتشر في الصحراء ، فلا يضيره شيئا - دليل على أن الله سبحانه وتعالى كان رحيماً بالعربي إذ هيا له من الحيوان ما يلائمه ويناسبه في صحرائه تلك ، ولهذا ضرب الله المثل بالأبل في بداعة الخلق وعجيب الصنع إذ قال : ( أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت ) (١)

وقد كانت الأبل رفيقة العرب في حلهم وترحالهم ، يشربون البانها ويأكلون لحمها ، ويحملون اثقالهم عليها ، ويتخذونها مراكباً ذلولا في سلمهم وحربهم ، فتوصلهم الى اماكن لم يكونوا بالغياها الا بشق الأنفس . (٢)

ونظراً لما لهذه الأبل من فوائد جمّة ، فقد أثرت فيهم تأثيراً كبيراً وأبما تأثير . لقد تجلى هذا التأثير العظيم فيما بين ايدينا من شعر العرب : رجزه وقصيده .

لقد وصف العربي رجزاً هذا الحيوان العجيب ، وصور اعضاءه ، وأشاد بمحاسنه ومزاياه وفوائده ، واندمج معه اندماجاً روحياً ، وشاركه بعواطفه واحاسيسه ومشاعره . وكان يسميه كما يسمي الناس . قيل : كان للمعاجج جمل سماه ( مسحولاً ) وقد ذكر ما بلاقيه مسحول هذا من

١ - سورة الغاشية - آية ١٧ .

٢ - سورة النحل - آية ٧ .

عنث وعذاب وضيق في مطلع احدى أراجيزه بقوله : (١)  
أصبح مسحولٌ يوازي شقا ملالةً يملها وأزقا (٢)  
وكان يتألم لألمه ويضجر لما يلافيه جملة من مشقة وضيق ، فكان  
يصف حاله وهو في حبسه مع الأبل ، بأنه مل هذا المقام كما يعمل الرجل  
المأسور أسره ، وأنه قد اشتاق لأن يمتطيه صاحبه فهو يريد لقاءه ومصاحبته  
والبقاء معه : (٣)

أُنيخَ مسحولٌ مع الصبار ملالةً المأسور للأسار (٤)  
يفني جميع الليلِ بالترفار وعبرات الشوقِ بالأدرار  
وللعجاجِ جمل آخر اسمه ( جمان ) ذكره في احدى أراجيزه  
وصور احاسيسه نجاهه وهو عاطل عن المسير ، قال : (٥)  
أمسى جمانٌ كالرهين مضرعا بيطحانَ ليلتينِ مكنما (٦)  
وبالمراضِ أربعاً وأربعاً ترى الفراريجَ عليه وقما  
وكان العجاج عطوفاً على جملة هذا شفوفاً عليه ، فكان يلازمه ،  
ويصلح حاله ، ويخدمه ، ويعتني بزينتته ورحله ، حتى رأته زوجته ذات

١ — شرح ديوان العجاج — محفوظ / ٢٧ .

٢ — يوازي : يكون بازاء مشقة ، والازق : الضيق .

٣ — شرح ديوان العجاج — مخطوط / ٢٨ وأراجيز العرب / ١٥٧ .

٤ — الصبار : الأبل المحبوسة ، يقول : مل مكانه كما يعمل الذي أسره .

٥ — شرح ديوان العجاج — مخطوط / ١٠١ .

٦ — كنع كنعوا : تقبض وانضم .

يوم بصالح رحله في بيته ، فاستنكرت ذلك ، فقال لها : (١)

جاري لاستنكري عذيري سعي واشفاقي على بعيري (٢)

وحذري ماليس بالمحذور وقدري ماليس بالمقدور

وكثيراً ما صور الرجز مشاعر الانسان ازاء الحيوان وما يحس به نحوه ، فهذه الابل ليست جماداً انما هي حيوانات لها ما للانسان من مشاعر وعواطف ، ربما فاقته في بعضها من ذلك مثلاً الحنين الذي اشتهرت به الابل ، فهي اذا ما فارقت وليدها برح بها الشوق والحنين اليه ، وقد قالوا ان ( اكرم الابل اشدها حنيناً ، واكرم الصفايا اشدها حياءً لأولادها ) (٣)

وقد تمكن الرجز من وصف هذا الحنين وتصوير مشاعر الانسان تجاه الابل ، قال الراجز :

ياابها الساقى القليل ذامه افرغ لوردي قد دنا سوامه

تقدمه اذرعته وهامه عجم اللغات انما كلامه

تجاوب بالسجع أو إرزامه (٤)

---

١ — شرح ديوان العجاج — مخطوط/٦٨ وأراجيز العرب/٨٥ .

٢ — العذير : الحال ، بقول : نقدر اشياء لايجوز ان تقع ولا تكون .

٣ — الحيوان — الجاحظ ١١/٧ هارون .

٤ — اراجيز العرب — البكري / ٩٧ . السجع هاهنا الحنين ، والارزام

اضعف منه واخفى ، وهو يصف الابل .



وقال الراجز يحدو ابلا : (١)

دع المطايا تنسجم الجنوبا ان لها لنبا عجيبا  
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا (٢)  
ما حملت الا فتى كئيباً بسر مما اعلنت نصيبا  
لو ترك الشوق لنا قلوبا اذا لآثرنا بهن النيبا (٣)

ان الغريب يسعد الغريبا

أي وحدة بين مشاعر الانسان والحيوان وأي تجاوب روحي بين مخلوقات الصحراء هذا الذي نراه ؟ انني ارى في هذه الصورة ان الحيوان اصبح خير صاحب للانسان ، حتى راح الانسان يتحسس مشاعره ويعطيه الحربة في ان يتنسم هواء الأحية الذين فارقههم ، فألمه الوجد وأودى به الحنين ، ولكنه في كل هذا اكثر جلدا من الانسان واصبر منه فاذا كان الانسان لا يهدأ الا ان يعلن شوقه وحبه ، ويبث شكواه وحنينه فان الجمل يكتنم هذا ولا يبوح به ، ولا ادل على صدق المشاعر التي يكنها الانسان للابل من قول ذي الرمة حينما شبه مشيتها بمشية الامير ووجهها بالحرير ، قال : (٤)

أصهب بمشي مشبة الأمير لا أوظف الرأس ولا مقرر (٥)

١ — تاريخ اداب اللغة العربية — زيدان ٦٥/١ اراجيز العرب / ٤ .

٢ — اللغوب : التعب .

٣ — النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة .

٤ — اراجيز العرب — البكري / ١٣٨ .

٥ — أصهب : يريد بعيرا أصهب ، والأصهب هو الذي في بياضه حمرة ،

والأوظف : الكثير الشعر .

كأن جلدَ الوجهِ من حريرٍ أملس الا خطرة الجرير (١)  
بخطمه أو مسحب التصدير بين الحشا وظلفات الكور (٢)

وكان رؤبة وصافاً للجمل اذ قال لمسلم بن قتيبة : ادنني من ذنب  
البعير (٣) وذلك حينما وصف الخيل فاخطأ فذكر انه اقدر على وصف  
البعير من غيره ، ونقل لنا الرجز صوراً كثيرة لجوانب مختلفة من هذا  
الحيوان ، فمما حدثنا به الرجز ان كثرة الابل عند العربي دليل الغنى  
ورفاهية العيش حتى انهم اطلقوا عليها اسم المال ، قال الرجز بذكر ما  
عنده من مال :

لا مال الا ابل جـاءه مشربها الجبة أو نعاها (٤)  
وعلى عكس ذلك فقد كانت قلة الابل دليلاً على الفقر والفاقة ،  
قال رؤبة معللاً انصراف الغواني عنه : (٥)  
لما ازدرت نقدي وقلت ايلي تألقت واتصلت بمكلى (٦)

---

١ — الجرير : الحبل ، وذلك ان العرب اذا ارادت ان تروض البكر الصعب  
حك الراتض اعلى خطمه بحبل حتى يؤثر فيه كالوسم ، ثم يجعل عليه حبلاً  
يقوده فينقاد .

٢ — الخطم : الانف ، والتصدير : حبل يجعل على الصدر يشد به الرجل لثلاً  
يتأخر ، والكور : الرجل ، وظلفاته : اطرافه .

٣ — الشعر والشعراء ٤٩٦/٢ بيروت .

٤ — لسان العرب — مادة ( جيب ) والجبة : موضع .

٥ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٨٥ وجموع اشعار العرب / ١٢٨ .

٦ — تألقت : أي تغيرت وتلونت ، واتصلت بمكلى : أي قالت بالمكلى ،

وقد وجد العربي ان حركات بحر الرجز وايقاعاته تشبه الى حد ما حركات الابل في سيرها ، اذ انهم رأوها ( تصر آذانها اذا احدا في آثارها الحادي ، وتزداد نشاطاً وتزيد في مشيها ) (١) فراحوا يتغنون لها بنوع من الشعر اطلقوا عليه اسم ( الحداء ) وكان هذا الفن من بحر الرجز بأنواعه القصيرة والطويلة ، وقد جاء الرجز بحمل الينا ما كانت تحمله الابل في قطع المسافات الطويلة ، واجتياز المهام والقفار ، دون ان تضجر أو تمل ، أو تشكو وتسام ، فهي تسير ولا تعبها وعورة الصحراء ، ولا تشيها عن مواصلة سيرها ظروفها القاسية .

وقد كان العربي يفخر بذلك ، ويثني على ناقته ، ويصفها بما يدل على القوة والسرعة ، اذ كانت هذه الابل القاصص تجتاب بهم تلك القبابي وتمسف بهم مجاهل الطريق . قال رؤبة : (٢)

تمسفتها قاصص تجتابها الى دفان سدم اشرابها (٣)

وقال أيضاً يصف وعورة الطريق الذي قطعه بابل ضخام استطاعت ان تسير فوق الاحجار وبين القور والاكام : (٤)

بادرت ورداً من قطاها النمام الى محلات المساتي أسدام (٥)

١ — الحيوان — الجاحظ ١٩٣/٤ هارون .

٢ — مجموع اشعار العرب / ٢١ .

٣ — مر شرح الابيات في صفحة ١٤٦ .

٤ — مجموع اشعار العرب / ١٣٦ .

٥ — النمام : المصوت ، والاسدام : المتغيرة من طول المكث .



من دائري دفرٍ ومن داوٍ طام بصدرنٌ في عاري المعاري نهام<sup>(١)</sup>  
 بقلصٍ بصدعنَ بين الاوجام ضرح المعالي عن قياس الانشام<sup>(٢)</sup>  
 وهم كثيراً ما واصلوا سير الليل بالنهار ، تقلهم ناقة شديدة عوجاء  
 قد اضناها طول التطويح والجوع والعطش اضع الى ذلك شدة سيرها  
 تحت الشمس القوية المحرقة ، قال المعجاج<sup>(٣)</sup>  
 قلت لعنسٍ قد ونت طليحٍ عوجاءٍ من تتابع التطويح<sup>(٤)</sup>  
 بالجدعٍ بعدَ الجدعِ والتلويحِ والنص بالهاجرةِ الصموحِ<sup>(٥)</sup>  
 لا تأملينَ في السرى ترويحى وان تشكيتِ أذى القروح<sup>(٦)</sup>  
 وقد كانت أكثر الابل قوة ، واشدها تحملاً ، واسرعها سيراً ، تلك  
 الناقة الصلبة الضامرة المهزولة الخفيفة ، قال المعجاج بذكر ناقته ويصفها  
 بهذه الأبيات : (٧)

- 
- ١ — دفر : خبيث الرائحة ، المعاري : المواضع التي لا تنبت ، والنهام : وسط  
 الطريق الواضع .  
 ٢ — القلص : الطويلة القوائم ، والاوجام : حجارة ، موجومة بعضها فوق بعض  
 على رؤوس القور والاكام او هي علامات تهتدي بها في الصحارى .  
 ٣ — شرح ديوان المعجاج — مخطوط / ٥٥ .  
 ٤ — العنس : الناقة الشديدة ، ونت : فترت ، قال : هي معيبة قد طلحت .  
 ٥ — الجدع : الحبس على غير الملف ، والتلويح : العطش ، والنص : ارفع السير  
 واشده ، ويقال : صمحته الشمس اذا اشتد وقعها عليه .  
 ٦ — قوله : لا تأملين : أي لا ترجي ان اروح عنك وافتر ، والقروح : الدبر .  
 ٧ — شرح ديوان المعجاج — مخطوط ٥١ وارجيز العرب / ١٧ .

فكم حسرنا من علالةٍ عنسلٍ حرفٍ كقوسِ الشوحطِ المعطلِ (١)  
 لا تحفلُ الزجرَ ولا قيل حلٍ تشكو الحفا من اظللٍ واطللٍ (٢)  
 وطولٍ املالٍ وظهيرٍ مملٍ بوبزلٍ في راجفاتٍ بزلٍ (٣)  
 وامتطاء مثل هذه الناقاة السريعة ربما كان أمنية راودت الكثير من  
 الاعراب الذين حرموا نعمة الابل هذه ، قال أحد هؤلاء : (٤)  
 باليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون يوما وأمرىء مجمع  
 وتحت رحلي زفيان ميلع كأنها نائحة تفجع (٥)  
 تبكي لميتٍ وسواها الموجع  
 وقد وصف جرير الابل التي حملته الى مدوحه بأنها هزيلة

- 
- ١ — حسرنا : أي تركناها هائلة ، العلاة : الناقاة الجسيمة ، والعنسل : الخفيفة ،  
 والحرف الضامرة المهزولة وشبهها بقوس الشوحط لصلابتها ، والمعطل :  
 التي ليس عليها وتر ولا سيور يقول : تركت عن الرمي بها لصلابتها .  
 ٢ — قوله : لا تحفل ، أي لا تبالي السوط ولا الزجر ، قد اعيت فلا تبالي ،  
 وحل : زجر للنوق اذا اعيت وابت ان تمشي . والاظلل : ما تحت المنسم  
 أي باطن الخف .  
 ٣ — قوله املال : يريد انه امتطاها حتى يملها : أي اعيت ، والراجفات التي  
 ترجف رؤوسها في السير . البازل : الذي انشق نابه .  
 ٤ — امال المرتضى ٥٥٩/١ طبعة أولى .  
 ٥ — الزفيان : الناقاة الخفيفة ، الميلع : السريعة ، وشبه رجع يديها في السير  
 لنشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الاشارة  
 يديها ليرى مكانها .

كخيطان السلم حين مدح الحكيم بن ايوب وهو خليفة للعجاج يومئذ (١)  
يد ان هذا السير المتواصل ، وهذه السرعة الشديدة ، كثيراً ما  
ترك في الابل جروحاً بسبب حزمهن ، قال الراجز يصف ابلا يتجافين  
عن جراحهن : (٢)

اذا تجافينَ عن النسائجِ تجافيَ البيضِ عن الدمالجِ (٣)  
وليس هذا وحده ما يفعله فيهن تتابع المسير ، انما يتركهن  
هزلاً وكأنهن شرائج نبع ، قال الراجز : (٤)  
كانها وقد براها الابراس ودلجُ الليلِ وهادِ قياس (٥)  
شرائجُ النبعِ براها القواس

وتناول الراجز وصف الابل السريعة ، وما يجب ان تتحلى به من  
صفات ، من ذلك مثلاً ان تكون صلابة ، أي منحصرة الشعر غير وبراء  
ذلك لأن الهجينة شعراء العنق ، كزرة ، قال رؤبة : (٦)

- 
- ١ — انظر الاغانى ١٤/٨ وزارة الثقافة والارشاد .
  - ٢ — امالي القالي ١٧٦/١ بيروت .
  - ٣ — بقول : بهن جراح من حزمهن ، فهن يتجافين عنها كما تتجافى النساء عن  
دمالجهن اذا بردت عليهن .
  - ٤ — امالي القالي ١٢/١ بيروت .
  - ٥ — الدلج : سير الليل كله .
  - ٦ — شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٦٢ ومجموع اشعار العرب ص ١٠٤  
واراجيز العرب ص ٢٣ .



تنشطته كلُّ مغللةٍ الوهق مضبورةٍ فرواء هرجابٍ فنق<sup>(١)</sup>  
مائرةٍ المضدينِ مصلات العنق مسودة الاعطاف من وسم العرق<sup>(٢)</sup>

وكان لسرعة تقلب يدي الابل ورجليها في السير أثر ظاهر في نفوس العرب وضح في رجزهم ، حيث راحوا يشبهون سرعة المائح بسرعة الابل وهي تسير في أرض مستوية واسعة ، قال الراجز : (٣)

كأنَّ أوبَ مائحٍ ذي أوبٍ أوبُ يديها برقاقٍ سهبٍ<sup>(٤)</sup>  
وقد شبه الراجز الأبل السريعة بتشبيهات عديدة ، اذ انهم شبهوها بزورق خفيف المؤخر سريع الجرى ، وشبهوها ، بذكر النعام في سرعته المشهورة ، كما شبهوها بالحمار الوحشي الطويل القوائم السريع العدو ، قال رؤبة يصف ناقته : (٥)

---

١ — النشاط : ان تتقدم اليد ثم تسرع رجعها ، المغلاة : المبعدة ، وتغلو : تبعد في الغلو ، الوهق : السير : المضبورة : المجموعة الخلق ، الفرواء : الطويلة ، الهرجاب : الضخمة الوثيقة الخلق ، الفنق : الفنتية الكثيرة اللحم .  
٢ — المائرة : هي التي تمور : أي تجيء وتذهب ، يقول : انها ليست بكزة اليدين أي قليلة الشعر غير وبراء ، وقوله : مسودة الاعطاف : أي انها جهدت حتى عرفت وتراكب عليها العرق واسود ، وقد صار هذا وسما عليها .

٣ — لسان العرب — مادة ( أ و ب ) .

٤ — الأوب : السرعة ، أو سرعة تقلب اليدين والرجلين في السير ، والمائح : الذي يستقي الماء مغترباً ، الرقاق : أرض مستوية لينة التراب صلبة مانحت التراب ، السهل : الواسع .

٥ — مجموع أشعار العرب ص ١١٠ وشرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ١٢ .

كأن أفتادي جلزن زروقا      أزل أو هيق نعام أهيقا  
أو أخدرياً بالثمانى سهوقا      ذا جدد اكدّر أو تزهلقا

ان تشبيه رؤوبة هذا للأبل بالزورق الخفيف ، يدل على بداية  
تأثر الرجاز بالبيئة النهرية في العراق ، فالزورق الخفيف لا يوجد في  
البحار ، وانما يستعمل غالباً في الانهار ، ومن هنا رأه رؤوبة في انهار  
العراق فتأثر به .

ونرى في الرجز تأثير الأبل في أهل الصحراء في كل حالة من  
حالاتها ، حيث أثرت فيهم بسرعتها ، وحينما تنطلق في الصحراء وهي  
تتبختر في مشيها ، وهذه الصورة أثرت حتى في دعائهم ، اذ راحوا  
يتضرعون الى رب هذه الابل التي ترفل (١) في سيرها أن يعفو عنهم  
ويتقبل توبتهم ، ويشمر اعمالهم ، قال العجاج : (٢)

يارب رب البيت والمشرق والمرفلات كل سهب سملق (٣)  
كما رأينا في الرجز تأثيرها فيهم حينما تبرك وهي تطلق صوتها  
كأنه انين السقيم ، قال حكيم بن معية : (٤)  
اذا علون اربعا بأربيع في جمعج موصية بجمعج  
أنن نأنان النفوس الوجع (٥)

١ — ترفل : أي تجر ذيلها وتبخر .

٢ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ٤٠ .

٣ — السهب : الارض البعيدة المستوية ، والسملق : القاع الصفصف .

٤ — امالي القالي ١/١٦٠ بيروت .

٥ — يعني الابل علون اربعة أو ظفة بأربيع اذرع ، وكأنه انث على الكراع ،  
وأنن : من الانين : يعني انهن اذ بركن انن .

ولم يقف وصف الرجاز للابل عند هذا الحد ، انما تعدى ذلك الى شيء هو اكثر ما يكون اتصالا بمشاعر العربي وعواطفه ، ذلك هو الغزل ، نعم ، ان العربي تعنى ان تكون حبيبته معه حتى في اثناء عمله لكي تساعده في رفع الحمل على البعير ، قال أمية بن ابي الصلت (١) :

يا ليتَ امَّ الفِيضِ كانت صاحبي مَكَانَ من أنشا على الركائبِ  
ورابعتني تحت ليلٍ ضاربٍ بساعدٍ فخمٍ وكفٍ خاضبٍ (٢)

وكانت عادة العرب أن يردوا بأبلهم الماء نهاراً ، وفي هذا دليل على شجاعة صاحبها وبأسه وقوته ، وبأنه لا يرهب الاعداء والمغيرين . أما ورد اللبل فقد كان علامة الخوف والجبن ، قال الراجز يطلب من صاحبه أن يرد ليلاً خوفاً عليه من اللصوص : (٣)

لا تَردنَ الماءَ الا آبيهِ اغشى عليكَ معشراً قراضية (٤)  
سودَ الوجوهِ يأكلونَ الآهبة

اراد ان يحذره من هؤلاء القوم ، فأخبره بان لا يرد الماء الا ليلاً . وكان لعاب الأبل يسقط في الحوض فيخالط الماء فيظهر اثره ثم يجلب

١ — امالي القالي ١٤٦/١ و ٣٥/٣ بيروت .

٢ — يقال : رابت الرجل وهو أن تأخذ بيده وتأخذ بيدك تحت الحمل ثم ترفعه على البعير .

٣ — لسان العرب — مادة ( أ و ب ) .

٤ — الآية : أن ترد الابل الماء كل ليلة ، القراضية : اللصوص ، الآهبة : جمع اهاب وهو الجلد .



انتباه الرجاز ، قال هميان بن قحافة : (١)  
فأسارت في الحوضِ حوضاً حاضجاً قد عادَ من انفاسها رجارجا (٢)  
وجانب آخر من الأبل وصفه الرجز ، وهو مرضها وطريقة علاجها ،  
فحينما يصيبها داء الجرب يسرع صاحبها الى طلبها بالهناء وهو القطران  
وهذا الدواء يشفي الأبل من الجرب ، قال رؤبة : (٣)  
والجرب اكوى عرّها واطلي بالقارِ أو بالقطرانِ الشعلي (٤)  
وقد كانوا يغمسون خرقة أو صوفاً في القطران ثم يدهنون بها  
الاجرب ويفردونه عن باقي الأبل لئلا يعديها ، قال صخر بن عمير يذكر  
الخرقة التي تغمس بالهناء وبطلي بها موضع الداء : (٥)  
وهل علمت فحشاء جهله مغموثة اعراضهم ممرطله  
كما ثلاث في الهناء الشملة (٦)  
وقد تعتري الأبل حالات الهيجان ، فتحبس في محل يسمى ( العنة )

- 
- ١ — امالي القالي ٢٥٧/١ بيروت .
  - ٢ — اصل الرجرجة : الماء الذي خالطه لعاب ، وجمعه رجارج ، الحوضج : ما يبقى في حياض الأبل من الماء .
  - ٣ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٨٧ وبمجموع أشعار العرب ص ١٢٩ .
  - ٤ — العر : الجرب ، الشعلي : الذي يشتعل من الجسد .
  - ٥ — امالي القالي ١٨/١ و ٢٨٥/٢ بيروت .
  - ٦ — مغموثة : أي مذلة ، الممرطلة : الملاحظة بالعيب ، الشملة : خرقة تغمس في الهناء .

خشية أن تصيب احداً بمكروه ، وهذه العنة هي حظيرة للأبل تحبس فيها ، ومن ذلك قيل للبعير معنى ، وهو الذي قد هاج فحبس في العنة ، قال الراجز يذكرها : (١)

عَلَمَا إِنْ عَكَفَ الشَّفِيفُ الزَّرْبُ وَالْعِنَةُ وَالْكَنِيفُ (٢)

بعد هذا كله نستطيع أن نقول : ان الرجز تمكن من تصوير بعض الجوانب المهمة في الابل ، واجلائها بصورة واضحة ، كما استطاع ان يبرز لنا عواطف العربي واحاسيسه نحو الحيوان عامة والابل خاصة ، ويعطينا مثالا جلياً لامتزاج مشاعر الانسان بمشاعر الحيوان .

#### ب — الخيل :

استأثرت الخيل بجانب كبير من رجز العرب ، حتى خلد لنا الرجز صوراً بديعة لهذه الخيول العربية الأصيلة ، وكيف لا ينصرف العربي الى وصفها والاشادة بها وهي سلاحه في المعركة ورفيقه في السفر وأنيبه في الوحشة ومفرج همومه عند الضيق .

يحدثنا رجز العرب انهم كانوا يكرمون الخيل ويعتنون بها ، ويأنفون من أن يدنس صهواتها من لا يستحق امتطائها ، قال الاشهب بن رميلة وكان أول من رمى بني مجاشع بأنهم قيون : (٣)

يا عجباً هل يركب القينُ الفرسُ وعرقُ القينِ على الخيل نجس

١ — اعالي القالي ١٧٤/١ بيروت .

٢ — عكف : اقام الشفيف : البرد .

٣ — الحيوان ٣١٥/١ هارون ، وخزانة الأدب — البغدادي ٥١٠/٢ بولاق .

وانما ادانته اذا جلس الكلبان والعلاء<sup>(١)</sup> والعنس<sup>(١)</sup>  
ألا ترى ان العرب كانوا يرون أن الخيل لا يصح لأمتطائها الا  
السيد الكريم ، اما اولئك القيون فليسوا اهلاً لأعلاء ظهورها ، وانما  
شغلهم عن ذلك نفخ الكير والصناعات الحقيرة ، وكانوا يختارون من  
الخيول اجودها واشهرها نسباً ، حيث كان لها انساب معروفة مشهورة ،  
ذكر صاحب انساب الخيل أكثر من مئة فرس من افراس الجاهلية والاسلام  
مع نسبتها الى اصحابها<sup>(٢)</sup> .

وبالأضافة الى معرفة انسابها وعدم الخلط بينها ، اطلقوا عليها اسماء  
خاصة ليتمكنوا من تمييزها وقد كان لزبد الخيل ستة افراس بأسمائها<sup>(٣)</sup>  
وقد وصف الرجز الخيل التي استأثرت بأهتمام العرب جملة وتفصيلاً ،  
حيث تناولوا اعضاءها بالوصف والتشبيه ، من ذلك مثلاً اذانها ، فقد  
رأوا انها ان كانت صغيرة دقيقة ، كان ذلك دلالة عتقها ، لهذا شبهوها  
بالأشياء الصغيرة اثباتاً لما ذهبوا اليه من أن هذا الصخر علامة نجابتها ،  
روى أن العتابي دخل على الرشيد فأنشده في وصف الفرس :<sup>(٤)</sup>  
كأن اذنيه اذا تشوفاً قادمة أو قلما محرّفاً<sup>(٥)</sup>

١ — العلاء : السندان .

٢ — انساب الخيل — ابن الكلبي ص ١٢٩ .

٣ — الأغاني ٤٦/١٦ ساسي .

٤ — العقد الفريد ٣٦٧/٥ .

٥ — القادة : واحدة القوادم ، وهي الريشات التي في مقدم الجناح . وحينما  
أنشده البيهقي هكذا علم الناس أنه لحن ، ولم يهتد احد منهم الى اصلاحه  
غير الرشيد فإنه قال : قل : تخال اذنيه اذا تشوفاً



وهذا الراجز وان كان قد لحن فإنه اصاب في التشبيه .

ومن ذلك أيضاً قول رؤبة يصف ضخامة فرسه وقوة مناكبه : (١)

تسرى له مناكباً وليبياً وكاهلاً ذا سهواتٍ شرحباً  
شداخةً ضخماً الضلوعِ جندباً (٢)

وحرص العرب على ان لا يمتلكوا من الخيل الا جيادها ، أما الهجن فلم تكن لهم رغبة في امتلاكها ، وكانت عندهم طرق ووسائل للتمييز بين العتاق والهجن ، كما كانوا يعرفون ذلك من صفاتها ، يروي أن عمر بن خطاب رضي الله عنه شك في العتاق والهجن من الخيل ، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء فوضعت بالارض ثم قدم الخيل فرساً فرساً ، فما ثنى منها سنبكه فشرب جملة هجيناً ، وما شرب ولم يثن سنبكه جملة عتيقاً ، وذلك لأن اعناق الهجن قصار فهي لاتنال الماء على تلك الحال حتى تثني سناكبها ، واعناق العتاق طوال (٣) .

ولشدة حرصهم على هذه الجياد قربوها من بيوتهم وانفسهم ، ذلك

---

١ — لسان العرب — مادة ( جندب ) .

٢ — اللب : المنجر ، الشرجب : الفرس الكريم ، شداخة : يقال شدخت غرة الفرس أي انتشرت من الناحية الى الخلف ، الجندب : الضخم .

٣ — شرح ديوان لييد — الدكتور احسان عباس ص ٣٢٧ الكويت من تعليق لشارح الديوان .

لأنها عزيزة عليهم فهم اشد حفاظاً عليها ، وكانت الخيل الجياد لا تجتمع  
الا عند ملك أو أمير أو رئيس أو غني ، وكانت هذه الخيول من دواعي  
الفخر والمباهاة ، قال الشيعظم الغساني بمدح ملك الشام (١) :

يا صاحب الخيل الجياد المقربه      وصاحب الكتيبة المكوكبه  
والقبة المنبعة المحجبه      وواهب المضمره المريبه  
والكعب البهكنه المؤتبه      والمائه المدفأة المنتخبه

لقد رأى هذا الشاعر ان أول شيء يستحق ان يمدح به هو ملكه  
لجياد الخيل وعتاقها . ولو رجعنا الى الرجز الذي قيل في مواطن الحماسة  
والشجاعة والحروب ، لوجدنا أن للخيل مكانا بارزاً في ذلك الرجز ، فانت  
تجد الراجز يفتخر بأنه وقومه فاتلوا على خيل كثيرة ، ولم يقاتلوا راجزين ،  
ومكانة الراجل في القتال لم تلحق مكانة الفارس ، قال الأخطل يفتخر  
بالنصر الذي حققه قومه وهم فوق خيول عرفت للقتال فنونا : (٢)

لما رأونا والصليب طالعا      ومار سرجيسَ وسمأ ناقعا  
والخيل لا تحمل الا دارعا      والبيض في ايماننا قواطعا  
خلوا لنا الثرثار والمزارعا      وحنطة طيساً وكوماً يانعا  
كأنما كانوا غراباً واقعا

وكثيراً ما تغنوا في حروبهم وانتصارانهم بجيادهم التي كانت تحملهم  
وكانهم اسود ضاربة ، ولهذا شبه رؤبة قومه وهم فوق خيولهم بأسد غاب

١ — امالي القالي ٣/١٨٠ بيروت .

٢ — انساب الأشراف — البلاذري ٥/٣١٩ .

يخشى الأعداء وثبها . قال : (١)

والخيلُ تعدو القفزي عرابها بأسدٍ غابٍ يتقى توأبها

ولا نعجب اذا رأينا أن الخيل تحتل هذا الجانب المهم من رجز العرب . فقد كانوا يعدونها اغلى واعز من الأهل والولد ، حتى أنهم آثروها على أنفسهم ، فكان العربي يبيت طاوياً وبشبع فرسه ، كما كان يختصها باللبن دون عياله ، قال النمر بن توبل يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٢)

إنا أتيناك وقد طال السفر نقودُ خيلاً ضمراً فيها عسر  
نظعمها الشحمَ اذا عزَّ الشجر والخيلُ في اطعامها اللحمَ ضرر (٣)

وكانوا يفخرون بحسن قيامهم عليها ورعايتهم لها ، فقربوها من بيوتهم تعظيماً لقدرها واعتزازاً بها ، ومن مبالغتهم في ذلك انهم كانوا لا يهتنون الا بغلام بولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج (٤) . وكان هم العربي وغاية جهده أن يمتلك فرساً لبغزو عليها وليتمكن من رد هجوم الأعداء ، وقد اثني عليها النبي (ص) اذ قال : (٥) ( الخيل معقود بنواصبها الخير ) . ومن شدة افتخارهم بسرعة عدو خيولهم ، انهم كانوا

١ — مجموع أشعار العرب ص ٢١ .

٢ — الشعر والشعراء ٢٢٧/١ بيروت .

٣ — يقصد بالشحم : اللبن .

٤ — العمدة ٢٩/١ حجازي .

٥ — مسند الامام أحمد ١٢٩/٨ .



يقبضون لها سباقاً كبيراً بشركون فيه من الخيل ما كان مشهوراً بالركض  
وكانت هناك حلبات لهذا الغرض .

وقد تطرق الرجز الى وصف حلبات السباق وما يجري فيها ،  
فكانت صوراً جميلة بديعة نقل فيها ما يجب أن يتوفر في الخيل من صفات  
لكي تصالح الاشتراك في السباق ، وما يجري من مراسيم في اثناء السباق ،  
من ذلك ما يروى من أن الوليد بن عبد الملك كان متأهباً لسباق الخيل ،  
فقاد دكين الفقيمي فرسه السباق ، فلما رآه الوليد - وكان الفرس  
ديمماً - قال : اخرجوه من الحلبة قبح الله هذا . فقال دكين : يا أمير  
المؤمنين والله مالي مال غيره ، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيس في  
سبيل الله . فضحك الوليد وأمر بختمه ، وأرسلت الخيل ، فجاء سابقاً  
فقال دكين :

قد اغتدى والطير في اكنات	يحدوني الشمال في الفلاة
والليل لم يحسر عن القناة	وللندى لم على لماني
بذي شنيب سابغ الصلعات	ناني المعد مشرف القطاة (١)
من قارح وأمن وآت	ومن رباع ورباعيات
ومن ثني ومثنيات	وجذع عبل ومجذعات
بتن على الجبل مسطرات	حتى اذا انشقت دجى الظلمات
ووضع الخيل على اللبات	وفرّق الغلمان بالوصاة
من كل ذي قرطٍ مقزعات	ارسلن يغبطن ذرى الصعدات
يسرى دوين الشمس ملحفات	من قسطلان القاع مسجلات

١ - الشنيب : ابيض الاسنان حسنها . والناني ، كل شيء مرتفع .

حتى اذا كُنَّ بمهوبيات      بالنصف بين الخُطِّ والغايات  
 عرضَ بنايهِ على الشبَّاتِ      وسط سنا ضنطٍ ملمحات  
 مثل السراحينِ مصليات      جاء امامَ سبقِ الغاياتِ  
 منهن من عرضَ للذمات (١)

وكان الرجاز يسبقون الشعراء الى وصف الفرس السابقة والاشادة بها ، ذلك ان اصحاب القصيد اذا ابطأوا في ذلك ، اسرع اصحاب الرجز وراحوا يصفون على تلك الخيول السابقة صفات الحسن والقوة والسرعة ، يقال ان هشام بن عبد الملك كان مسبقاً لا يكاد يسبق ، فسبق ذات يوم على فرس له اشى وصلى على ابنها ففرح وقال : - علي بالشعراء ، قال أبو النجم العجلي : فدعينا ، فقبل لنا : قولوا في هذه الفرس وفي ابنها ، فقال المقصدون : انظرنا حتى نقول ، وقالت في مقامي ذلك : هل لك في رجل ينقدك اذا استنسيوك ؟ قال : هانه . فقلت من ساعتي :

أشاعَ للغراءِ فينا ذكرَها	قوائمٌ عوجٌ أظعنَ امرها
وما نسينا بالطريق مهـرها	حين نقيسُ قدره وقدرها
وضبره اذ أوعثا وضبرها	والماءُ يملو نجره ونجرها (٢)
مليونة شدَّ المليك اسرها	اسفلها وبطنها وظهرها
قد كاد هادبها يكون شطرها	لاتأخذُ الحلبة الا سورها (٣)

- 
- ١ - معجم الادباء - ياقوت ١١٣/١١ وتهذيب ابن عساكر ٢٤٧/٥ .
  - ٢ - ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب ، وأوعث ، وقسع في الطريق الغليظ العسر السلوك .
  - ٣ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة ٥٠٢/٢ بيروت .

وينقل لنا أبو النجم هذا - وكان وصافاً للفرس - صورة طريقة واضحة المعالم لحلبة السباق وصفات الفرس التي اشتركت في هذا السباق اذ يقول: (١)

ثم سمعنا برهاناً نامله      قيد له من كل افق جحفاه  
فقلت للسائس قد أعجله      واعد لنا في الرهان نرسله  
فظل مجنوناً وظن جملة      بين شعيبين وزاد يزمله  
نعلوبه الحزن ولا نسهله      اذا علا الأخشب صاح جنده  
ترنم النوح تبكي مشكله . . . الخ

وكان سباق الخيل هذا متعة جميلة احبها الخلفاء واستأنسوا بها فجمعوا من اجلها الخيول ونظموا الحلبات ، ومازال الناس يحبون اللعبة المسلية ، وبسارعون لمشاهدتها سواء في ذلك العرب وغيرهم . وقد افتخر حميد الarfط بانه يخرج مبكراً على فرس كأنه يوم الرهان وقد جاء سابقاً صقر أصابه مطر فهو يتفضه عن ريشه ، قال : (٢)

قد اغتدي والصبح محمر الطرر      والليل يحدوه تباشير السحر  
وفي نواليه نجوم كالشدر      بسحق الميعة ميال العذر (٣)  
كأنه يوم الرهان المحتضر      وقد بدا أول شخص ينتظر

١ - العقد الفريد ١/١٧٢ ط ٢ .

٢ - أراجيز العرب / ٢١ .

٣ - السحق : البعد ، والميعة : النشاط ، وجعله سحفاً لانصاله ودوامه ،  
والعذر : الخصل من الشعر .



دون أنابي من الخيل زمر ضار غدا ينفض صبيان المطر (١)  
عن زف ملحاح بعيد المنكدر أفنى تظل طيره على حذر (٢)  
يلذن منه تحت أفنان الشجر (٣)

وحينما كانوا يصفون سرعة الخيل وشدة عدوها يلجأون الى ايجاد  
حيوان له مخالب يرقد على بطن هذه الفرس فهي لذلك تسرع في جريها ،  
من ذلك قول العماني وكان يجيد وصف الفرس (٤) :

كان تحت البطن منه أكبا بيضاً صغاراً ينتهش المنقبا (٥)

جعل هذه الكلاب قدام السرة ينهش بطنها ، فهي تريد الخلاص  
منها فتعدو سريعاً ومثل هذا قول الآخر (٦) :

كان أجرا كلاب بيض دون صفاقيه الى التعريض (٧)

- 
- ١ — الأنابي : الجماعات ، وقوله : قد بدا أول شخص ينتظر : أي جاء سابقاً ،  
ضار : أي صقر قد ضرى بالصيد ، وصبيان المطر : ما صاب منه .
  - ٢ — الزف : الريش ، والملحاح : بناء للمبالغة من ألح ، والمنكدر ، الموضع  
الذي ينكدر فيه ، أي بنصت يقول : كأن هذا الفرس وقد جاء سابقاً  
يوم الرهان صقر صفته كذا وكذا . والقفي في الصقور : طول المنكب  
وقصر الذنب وغور العينين وبعد ما بين المنكبين .
  - ٣ — أي أن الصقر يبطش بالطير فهي تخشاه ويلذان منه تحت الشجر .
  - ٤ — الشعر والشعراء ٦٤٢/٢ بيروت .
  - ٥ — المنقب : قدام السرة حيث ينقب البطن .
  - ٦ — الشعر والشعراء ٦٤٢/٢ .
  - ٧ — الاجراء : جمع جرو ، والصفاق : ماحول السرة ، والتعريض : ربما كان  
موضع المراض وهو سمة في فخذ البعير .

وقال آخر في مثل هذا المعنى : - (١)

كان قطعاً أو كلاباً أربعاً دون صفاقية اذا ما ضبعا (٢)

وهم أنما كانوا يلجأون الى مثل هذه الصور ليمرزا الخيل في اجلى مظاهر سرعتها وشدة عدوها .

### جـ - الكلاب

الكلب حيوان أليف ليس للعرب غنى عنه في صحرائهم الموحشة ، فهو الذي اعتمدوه في صيدهم ، واهتموا بتدريبه للانتفاع به في الحراسة ومرافقة الماشية لحمايتها من الوحوش ، قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : أن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقلنا (٣) .

وقد أطلق العرب على الكلاب أسماء معروفة وألقاباً مشهورة وقد ذكروا بعض هذه الاسماء في شعرهم ، منها براقش وضبار ودرواس ووثاب وغير ذلك (٤) .

والكلاب اصناف لا يحيط بها الا من أطال الكلام ، على أن الكلاب السلوقية أشهر تلك الاوصاف ، وقت أختصت بالصيد وعدت من أحرار الكلاب وعناقها . ومن تلك الاوصاف الخلاسية ، وهي من هجن

١ - الشعر والشعراء ٦٤٢/٢ ،

٢ - ضبغ مدّ ضباعه أي أعضائه ، في السير .

٣ - الحيوان ٢٨٣/١ هارون .

٤ - المصدر السابق ١٧/٢ .

الكلاب ومقاريفها ومنها أيضاً كلاب الرعاء (١) .

ولعل باب الطرد هو أوسع الابواب التي ورد فيها ذكر الكلب في رجز العرب ، فكان اهتمام أبي نواس به كاهتمام امرئ القيس وعترة والمتنبي وغيرهم بجيادهم ، فإنه حينما يتحدث عنه يجعله مصدر رزق لاصحابه ووليا لعمتهم ، وهم ينظرون اليه فتلتذ أعينهم برؤية قدمه الحسن الجميل ، يقول في ذلك : (٢)

أنعتُ كلباً أهله من كده	قد سعدتُ جدودهم بجده (٣)
وكلُّ خيرٍ عندهم من عنده	بظلُّ مـولاه له كعبده
يبيب أدنى صاحبٍ من مهده	وان عـرى جـللهُ ببروده
ذاغرةٌ محجلاً بزنده	تلك منذ العينُ حـسنَ قدمه (٤)
تأخير شد قبـه وطول خده	تلقي الطباءُ عنتاً من طرده
يشرب كأس شدّها بشده	يعيدُها عشرين في مرقدِه (٥)

بالك من كلبٍ نسيحٍ وحده

وكانوا يستعملون ألفاظاً خاصة حينما يفرونها بالصيـد كقولهم

١ — الحيوان ٣١١/١ .

٢ — ديوان أبي نواس — الغزالي ٦٢٤ ،

٣ — اهله من كده : أي يعيش أصحابه من كده وتعبه ، والجدود : الحظوظ ،  
الجد : الاجتهاد .

٤ — الغرة : بياض الجبهة : الزند : موصل الذراع بالكف .

٥ — المرقد كـمـتـز : الطفرة نشاطاً .



« هيتاه » فينطلق الكلب الى صيده ، قال الراجز بذكر الذئب (١) .

جاءَ يدلُّ كرشاه الغرب      وقلتُ هيتاهُ فتاهَ كلسي

الى جانب هذا ، رأى العرب في الكلاب العادية خصالاً استقبحوها فيها ، فقالوا أنها تجمع خصال اللؤم والنذالة والحرص والشره ، والبذاء والتسرع وأشباه ذلك ورأوا في قوله تعالى : ( فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ) (٢) دليلاً على ذم طباعة والاخبار عن تسرعه وبذائه ، وعن جهله في تدبيره ، وتركه وأخذه (٣) . وقد جاء رجز العرب طافحاً بذكر الكلب وخصاله الحسنة وصفاته القبيحة اذ شبهوا من أرادوا هجوه وذمه بالكلب ونباحه ، قال النجراني في ذلك : (٤)

من منزلي قد اخرجتني زوجتي      نهر في وجهي هرير الكلبة  
زوجتها فقيرةٌ من حُرْفِي      قلتُ لها لما اراقت جرتي  
أمَّ هلالٍ ابشري بالحسرةِ      وابشري منك بقربِ الضرةِ  
ومن ذلك أيضاً قول لبيد بهجو ضمرة بن ضمرة (٥) الذي انتصر  
للربيع بن زياد : (٦)

١ — لسان العرب — مادة ( هيت ) .

٢ — سورة الاعراف / ١٧٦ .

٣ — الحيوان ٤ / ٣٨ .

٤ — الحيوان ١ / ٢٥٧ .

٥ — هو ضمرة بن ضمرة بن جابر النهشلي من بني دارم شاعر جاهلي من الشجعان الرؤساء .

٦ — شرح ديوان لبيد — احسان عباس ٤٠٣ .

يا ضمير يا عبد بني كلاب      ويأين كلب معلق بناب  
أكان هذا أول الثواب      لا يعلقنك ظفيري ونابي  
اني اذا عاقبت ذو عقاب

وانشد الرياشي للاعرابي يهجو بنيه: (١)

ان بني<sup>٢</sup> كلهم كالكلب      ابرهم أولهم بسبي

وأراد رؤية أن يوضح غلبته لخصومه وعدم استطاعتهم مطاولة  
فشبههم بكلاب لاهثة ألقمها حجراً: (٢)

ملأت أفواه الكلاب اللهث      من جندل القف وترب الكشكث (٣)

وكان يهجو بالكلاب الملتوية الاذنان للؤمها ، والتي في اعناقها

الاطواق لاذلالها ، قال الاعشى يهجو بني قميئة: (٤)

ان بني قميئة بن سعد      كلهم ملصق وعبد

أدنى لشر من كلاب عقد      وهم اذل من كلاب عقد

عبدان بين عاجز ووذ

ومن صفات الكلب القبيحة التي ينقلها لنا الرجز ، هي أن لحمه  
قذر كربه ، بل أنه غاية في النجاسة ، ولهذا وجدنا العرب حينما يريدون  
أن يبالغوا في الهجاء يشبهون بلحم الكلب خسة وفذارة ، قال الرجز :

---

١ — امالي الفسالي ١٩٧/٢ بيروت والمحاسن والمساوي ٣٥٧/٢ مع اختلاف  
في الرواية .

٢ — لسان العرب مادة ( كث ) .

٣ — القف : حجارة غاص بعضها ببعض لانخالطها سهولة ، الكشكث :  
الحجارة .

٤ — ديوان الاعشى الكبير ٢٧٣ النموذجية .

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عذبٍ أو كنتَ سيفاً كنتَ غيرَ عضبٍ (١)  
أو كنتَ طرفاً كنتَ غيرَ ندبٍ أو كنتَ لحماً كنتَ لحمَ كلبٍ (٢)

هذا وقد احتل الحديث عن الكلب جانباً واسعاً في ديوان الجاحظ بين فيه محاسنه ومساوئه ، وكثيراً ما كان يضع الحديث على لسان صاحب الكلب أن كان الكلام على فوائد الكلب ومحاسنه ، أو يضعه على لسان أحد اصحاب الحيوانات الاخرى ، أن كان الكلام يدور حول مضمار الكلب وما يستتبع منه ، وهذه طريقته في مؤلفه هذا حينما يتكلم على الحيوان .

ويلاحظ أن أكثر حسنات الكلب التي وجدناها في الرجز هي صفات قبيحة واكثرها كان يأتي في مجال الذم والهجاء ، اللهم الا كلاب الصيد فقد حظيت بمكانة حسنة عند العرب .

#### د - الغنم

يحدثنا الرجز أن العرب عدوا الابل والغنم من احسن النعم التي وهبوا ، وراحوا يفخرون بكثرة عددها ، وجودة أنواعها ، ولهذا فان الكذاب الحرمازي حينما أراد أن يدعو قومه ، دعا عليهم بذهاب اموالهم من غنم وابل ، تلك الاموال التي اعتمدت عليها قوتهم يقول في دعائه عليهم : (٣)

١ - العضب: السيف القاطع .

٢ - الذنب : السريع الى الفضائل .

٣ - البيان والتبيين ٣/٢٧٦ ط ١ .



لاهم ان كانت بنو عميره رهط التلب دعوة مستوره  
قد اجمعوا الحلفة مصبوره واجتمعوا كأنهم قاروره  
في غنم وابل كثيره فأبعث عليهم سنة فاشورة (١)  
تخلق المال أختلاق النوره

ونادت امرأة ربها - وهي تطوف بالبيت - ذاكرة ما انعم عليها  
من خيل وابل وغنم : (٢) .

انت وهبت الفتية السلاهب وهجمة يجاراً فيها الطالب (٣)  
وغنما مثل الجراد السارب متاع أيام وكل ذاهب

والغنم على قسمين : ضأن ومعز ، وقد ذكر الجاحظ فضائل  
ومساوىء كل منهما ، وكانت اكثر من المعز فائدة ، لأن صوفها اغلى واثمن  
واكثر قدرا من الشعر ، ولبنها اطيب واخثر وادسم (٤) . كما كانت  
للمعز مضار ربما لم يكن للضأن مثلها ، حتى ان العرب عندما يريدون  
ان يذموا أحداً يشبهونه بالتيس . قال عمرو بن العاص للشيخ الجهني  
المعترض عليه في شأن الحكمين : وما انت والكلام ياتيس جهينة ؟ !  
ولم يقل ياكبش جهينة ، لأن الكبش مدح والتيس ذم (٥) . كما ان

١ - سنة فاشورة : مجدبة .

٢ - الحيوان ٧٥/٣ .

٣ - وهبهم السلاهب : اى الخيل الطويلة ، الهجمة : عدد عظيم من الابل .

٤ - الحيوان ٥ / ٤٥٦ .

٥ - المصدر السابق ٥ / ٤٦٢ .

أبا ذؤيب حينما رد على حسان قال له : (١) .

ارجع الى معزك نيساً ذا حيد

أما الكبش فقد كانوا يرون فيه القوة والشجاعة ، وربما قرنوه بالاسد في ذلك ، قال رؤبة (٢) .

ومن أراد دفعه تزحزحا وخاف اسداً وكباشاً نطحا

وكان العرب يهجون بجنس من الغنم ، قصار الارجل ، قباح

الوجوه ، يدعى ( النقد ) يكون بالبحرين ، وفي المثل ( لهو اذل من  
النقد ) (٣) وقال الكذاب الحرمازي : (٤) .

لو كنتم قولاً لكنتم فندا او كنتم ماءً لكنتم زبدا

او كنتم شاهاً لكنتم نقدا او كنتم عوداً لكنتم عقدا

ومع فضل الضأن على المعز ، فإن العرب احبوا ما يملكون دون

النظر الى نوعه أو جنسه ، قال الراجز يذكر عنزين له : (٥) .

لهفى على عنزين لا انساهما كأن ظل حجر صفراهما (٦)

---

١ — شرح اشعار الهذليين — السكري ٢٣٣/١ المدني .

٢ — مجموع اشعار العرب — الورد ٣٥ .

٣ — الحيوان ٤٦٢/٥ .

٤ — المصدر السابق ٤٨٤/٣ و ٤٦٢/٥ .

٥ — الحيوان ٤٩٣/٥ .

٦ — قوله : كأن ظل حجر صفراهما : يريد انها كانت سوداء ، لأن

ظل حجر يكون اسود . وكلما كان السائر اشد اكننازا ، كان الظل

اشد سوادا .

وصالغ معطرة كبراهما (١)

وكانت الغنم مشهورة بتخاذلها وعجزها وجبنها (٢).

## ٢ - الحيوان الوحشي

### أ - البقرة الوحشية

تعرض الرجاز لذكر البقرة الوحشية في مواضع الغزل ، وعند تشبيههم لأحبتهم بها في جمال عينيها وسعتها ، وفي حديثهم عن الديار التي ارتحل عنها ساكنوها فافترت بعدهم حتى عادت البقرة الوحشية هي وامثالها ، تنعم بالحياة والامن والحريّة في ديار كان ينعم فيها قوم احبهم الشاعر واحبوه ، من ذلك قول العجاج في احدى اراجيزه : (٣)  
واستبدت رسومه سفنجا أصك نفصاً لا بني مستهدجا (٤)  
وكل عيناه تزحى بحزجا كأنه مسرول<sup>٥</sup> أرندجا (٥)

١ - قوله : صالغ : يريد انتهاء السن ، والمعطرة ، الحمراء ،

٢ - الحيوان ٦٤/٧ .

٣ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ١٠٣ وارجيز العرب / ٧١ .

٤ - السفنج : الظليم ، والاصك الذي تصكك عرقوباه وهو الظليم ، والنفض : الذي بهز رأسه وينتفض اذا مشى ، لا بني ، لا يفتر والمستهدج : الذي في قلبه شيء فيحمله على ان يهدج ، والهدجان مقاربة الخطو وسرعته .

٥ - عيناه : عظيمة العينين وهي بقرة : تدفع قليلاً أو تهينه للمشي والبهزج : ولد البقرة المسرول : الذي ليس السروال ، الارندج : يعمل منها جلود الخفاف ، يقال لها يرندج وهو اعجمي قد اعرب ، يقول : هذا الثور كأنه قد البس هذه الجلود التي تعملها الاساكفة .



في نعجات من بياض نعجا كما رايت في الملاء البردجا (١)  
يتبعن ذبالاً موشى هبرجا فهن يمكن به اذا حجا (٢)  
وهو - هنا - يشبه النعاج بنساء عليهن الملاحف . وهذه صورة  
تطرق اليها امرؤ القيس قديما حيث قال : (٣) .

فمن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوارٍ في الملاء المذبل  
وربما يكون العجاج قد اخذ هذا التشبيه من امرى القيس ، على  
أن تشبيه النساء بالمهابة كان شائعا بين الشعراء ، عمدوا الى هذا التشبيه  
اظهارا لحياة المرأة وجمالها . قال رؤبة : (٤) .

وقد ترى مؤتلفاً انرابها أزمان اروى رؤدة شبابها  
مهابة خنسٍ عذبة رضابها يلقي بعطفي شارعٍ اخطابها

وكان الرجاز حينما يذكرون ديار الأجنة النازحين في رجزهم  
ينتطرقون الى وصف الحيوانات التي تألف تلك الدبار وتعبث بها ، وكانت  
الظباء والنعاج والنعام من بين تلك الحيوانات التي امنت تلك المنازل  
فأخذتها مسرحا ومراحا ، قال رؤبة : (٥) .

- 
- ١ — النعجات : الشديبات البياض وهي بقر . والبردج : السبي وهو معرب .
  - ٢ — الذبال : الطوبل الذنب ، وقوله موشى : يقول في قوائمه خطوط من سواد  
والهبرج الذي يخالط في مشيته يتبخر ، يمكن : يقمن حواه ، وحجا : اقام
  - ٣ — ديوان امرى القيس / ٢٢ .
  - ٤ — مجموع اشعار العرب - الورد / ٢٠ .
  - ٥ — شرح ديوان رؤبة - مخطوط - ص ٩٠ .

تستن فيها امهات السخل من النعاج والظباء الخذل (١)  
وكل زجاج سخام الخمل تبرى له في زعلات خطل (٢)  
ونلمح في الرجز وصفا لعيون البقرة الوحشية التي كانت شديدة  
السواد ، اذ نجد احد الرجاز يشبه الفحم الأسود بعيون هذه البقرة ،  
قال : (٣) .

اقبلن من اعلى فياف بسحر يحمان صلا لا كأعيان البقر  
يقول : انهن يحمان فحما يصل ، اى بصوت ،  
كما يصف الرجز عيون هذه الابقار بالانساع والعظمة ، وقد لاحظنا  
ذلك في قول العجاج (٤) ( وكل عيناء تزجي بحزجا ) أي كل بقرة  
عظيمة العينين . على ان صورة البقرة الوحشية قد عولجت - ايضا -  
في الحديث عن الصيد ، ومطاردة الصائد لها ، وذكر ما يعثر بها في تلك  
الحالة .

#### ب - الظباء

استهوت الظباء الرجاز فشبها محبوباتهم بها ، حيث أن طول اعناقها  
ونصاعة الوانها . وتناسق اعضائها ، ورشاقتها ، قد بعثتهم على حبها  
والاعجاب بها ، فهم حينما يتحدثون عن النساء ويصفون جمالهن ، لا يجدون

---

١ - السخل : اولاد البقر ، النعاج : البقر ، الخذل : اللواتي خذت اولادها .

٢ - الزجاج : الواسع الخطو وهو الظليم ، تبرى : تعرض ، زعلات : نشيطات

٣ - امالي القالي ١١٧/١ بيروت .

٤ - شرح ديوان العجاج - مخطوط - ص ١٠٣ .

أجمل من الظبي يشبهون به تلك الأنساء . فالظبي - عندهم - غاية في الجمال ، سواء في ذلك منظره العام ام اعضاؤه المختلفة ، ولعل نضاعة بياضه ، وطول عنقه ، أكثر ما جلب انتباه العرب الى هذا الحيوان ، كما ان لمقلتيه اثرا عظيما في نفوسهم ، فهذا رؤبة يقول : (١) .

وتستبي الهيامة المرهقا بمقلتي ريمٍ وجيدٍ أرشقا (٢)

بالجمال هذه العيون التي سبت المعجبين ، وبالروعة هذا الجيد

الذي فتتهم ، ومثل هذا قول بعض الرجاز : (٣)

هل يغلبني واحد اقاتله ريمٌ على لبانه سلاسه

سلاحه يوم الوغى مكاحله

وذكر العجاج أنه كان يغازل اوانس غرا كالظبي الخالص البياض (٤)

فقد أراني ولقد أرني بالفن من نسج الصبا والفن (٥)

غراً كرامٍ الصريمِ الفن (٦)

---

١ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٣

٢ - الهيامة : الذي يهمله النساء ، المرهق : الذي يتبع النساء ، الأرشق : الطويل .

٣ - بتيمة الدهر - للثعالبي ١٥١/١ السعادة .

٤ - شرح ديوان العجاج - مخطوط - ص ٥٩ .

٥ - قوله : فقد أراني : أي ادبم ابصار الغواني الى ، وأرني : ادبم نظري

اليهن ، قوله : بالفن : أي أنظر من ناحية من قولهم : الاخبار فنون أي

ضروب مختلفة ، نسج : عمل .

٦ - غراً : يريد اوانس غرا وهن البياض ، الريم : الظبي الابيض ، الصريم :

المنقطع من الرمل . الفن : يقول في اصواتهن غنة .



وفي حديثه عن تلك الشابة التي سبته يقول انها كظبية ترعى  
شجر الاراك: (١)

فقد سبني غير ما تـذـبـري مرمارة<sup>٢</sup> مثل النقا المرمور (٢)  
براقة<sup>٣</sup> كظبية البربري تمشى كمشي الوحل- المبهور (٣)  
على ان تشبيه المرأة بالظبي كان مسلكاً معروفاً سلكه أكثر الشعراء  
حتى أصبحوا يكتنون عن المرأة بالظبي أو الريم ، وكانوا ينسبون تلك  
الظباء التي يشبهون بها محبوباتهم الى اماكن خاصة ، من ذلك ما قاله الشماخ  
ابن الضرار في تشبيه محبوبته: (٤)

أو كظباءِ السدرِ البريات يحضن<sup>٥</sup> بالقبضِ على ركيات  
والظبي كالبقرة الوحشية والنعامة ، يتخذ من الاطلال مرتعاً ومسرحاً  
ينعم فيها ، فهو حينما يجد الديار خالية ، والمنازل موحشة بمن كان  
يسكنها ، يأنس بذلك ، ويبعد عنه الخوف والذعر ، فيغدو سارحاً بتلك  
المنازل المقفرة ، وقد مر بنا ان رؤبة وجد في ديار النازحين اسراباً من  
التعاج والظباء . (٥)

---

١ — شرح ديوان المعراج — مخطوط ص ٦٩ .

٢ — المرمارة : الشابة التي كأنها ترعد من الرطوبة ، البربر : ثمر الاراك .

٣ — البراقة : الملساء ، الوحل : الماشي في الطين ، المبهور : الذي  
علاه بهر .

٤ — الشعر والشعراء ٢٣٤/١ بيروت .

٥ — أنظر شرح ديوان رؤبة — مخطوط — ص ٩٠

و قد امتازت الطباء بسرعة جريها ، وفرارها من الصائد ، ووحشتها  
من الانسان .

### ج - النعام :

هذا الحيوان جمع المتناقضات ، فهو مع ضخامة جسمه ، وطول  
ارجله قد اشتهر بالجبن والخوف والفرع ، وهو مع عظيم عظامه ، وشدة  
عدوه ، غبي بليد لامخ له (١)  
وقد ضربوا المثل بجبن هذا الحيوان وحماقته وشروده ، فقالوا :  
احمق من نعامة . (٢) واموق من نعامة . (٣) واجبن من نعامة . (٤)  
كما قالوا : اشرد من نعامة . (٥) واعدي من ظليم . (٦) .  
وهم إنما وصفوه بالحماقة ، لأنه لا بدع الحظن على بيضه ساعة  
الحاجة الى الطعام ، فإن هو في خروجه ذلك رأى بيضة نعامة اخرى قد  
خرجت للطعم ، حطن بيضها ونسي بيض نفسه . (٧) واعل النعام أكثر

---

١ - الحيوان ٣٢٦/٤ هارون .

٢ - الأمثال - الميداني ٢٢٥/١ والمستقصي - الزمخشري ٨٥/١ والحيوان  
١٩٨/١ .

٣ - الأمثال ٣٢٣/٢ والموق : الحمق في غباوة .

٤ - الأمثال ١٨٧/١ والمستقصي ٣٩٧/١ حيث يقول : انفر من نعامة .

٥ - الحيوان ١٩٨/١ .

٦ - الأمثال ٤٥/٢ والمستقصي ٢٣٨/١ وفي مجموع الامثال : اعدى من  
الظليم .

٧ - الحيوان ١٩٨/١ .

الحيوانات التي جمعت الشرود والنفار الى جانب الموق وسوء الفهم (١)  
ولهذا فأننا نجد أكثر الشعراء حينما يريدون وصف انسان بالخوف والجبن ،  
يلجأون الى تشبيهه بالنعام ليجعلوه غاية في الجبن والخور ، قال أوس بن  
مغراء يهجو النابتة الجعدي : (٢)

لما رأته جمدةٌ منا ورداً      ولوا نعاماً في البلاد ربداً (٣)  
أن لنا عليكم معداً      كاهلها وركبها الأشداً  
كل امرئ يعدو بما استعدا

وتعرض الرجاز لذكر النعام كما تعرضوا لذكر الحيوانات الوديمة  
في حديثهم عن ديار الاحبة ، وخلوها من اهلها عندما تزهق فيها  
النباتات ، وتنتشر في جوانبها الوحوش ، ولا بد أن تكثر هذه الحيوانات  
في مثل هذه الاماكن ، لتوفر الأمن والاطمئنان الذي تنشده ، ولم يجد  
الشعراء حيوانات اكثر وداعة من الظباء والأرام والنعام ترود مثل هذه  
الاماكن التي يحفظون لها احسن الذكريات ، لتكون متناسبة مع عظم  
منزلة الديار في نفوسهم ، وقد رأينا ما وجده رؤبة في ديار احبته النازحين  
بعد أن غادروها وتركوها موطناً للأبقار والظباء والنعام . (٤) كما ان

١ — الحيوان ٣٩٥/٤ .

٢ — الأغاني ١٣/٥ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ — الورد : الجيتس ، ربدأ : جمع ربداء وهي من النعام ما كان لونها سواداً  
مختلطاً وقيل ما كان كله سواداً وقيل ما كان بين السواد والغبرة .

٤ — شرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ٩٠ .



العجاج وجدد النعام والابقار رانمة في المنازل الموحشة التي غادرها  
قاطنوها . [١]

وكانت لصورة الظليم وهو يسير خلف امه مقاربا خطوه ، اثر في  
نفس الشيوخ الذين تقدمت بهم السن فهم لا يستطيعون السير بصورة  
طبيعية ، ولهذا فقد وجدوا في سير هذا الظليم ما يشابه سيرهم ، قال  
ابو الزحف الراجز يصف حاله وقد كبر : (٢)

البك اشكو وجمعاً بركبتي وهدجاناً لم يكن في مشيتي (٣)  
كهديجان الرأل خلف الهيقت مزوزياً لما رأها زوزت (٤)

#### د — الضب

حيوان يعيش في الصحارى ، ويحفر له مكنأ في الأماكن الصلبة  
المرتفعة حتى لا ينهدم عليه . (٥) وهذا الحيوان لا يحتاج الى شرب الماء

---

١ — شرح ديوان العجاج — مخطوط — ص ١٠٣ .

٢ — الشعر والشعراء ٧٥٨/٢ وامالي القالي ١٨٩ / ١ والعقد الفريد ٥٤ / ٣  
وفي شرح ديوان العجاج المخطوط ان هذه الايات لعلقمة التيمي .

٣ — الهدجان : مقارنة الخطو وسرعته وهو مشية الشيخ .

٤ — الرأل : ولد النعام ، الهيقة : النعامه ورسمها بالهاء الطويلة في المرور عليها  
مزوزيا : من الزوزاة وهي شبه الطراد أي ان ينصب ظهره ويسرع  
ويقارب الخطو .

٥ — الحيوان ١٥٠/٤ و ١٧٢ و ٣٩/٦ و ٤٢ و ٥٦ و ٥٧ .

— كما يزعمون — ولهذا ضربوا به المثل فقالوا : اروي من ضرب (١)  
وقد رووا في ذلك اسطورة عجيبة حيث قالوا : (٢) ان الاعراب تزعم  
ان الضب خاطر الضفدع ابهما اصبر عن الماء . (٣) وكان للضفدع حينئذ  
ذنب ، وكان الضب لا ذنب له ، فخرجا من الكلاء ، فصبرت الضفدع  
يوماً فنادت : يا ضب ورداً وردا ، فقال الضب :

اصبح قلبي سردا لا يشتهي ان يردا

ونادت في اليوم الثاني : يا ضب وردا وردا ، فقال الضب :

اصبح قلبي سردا لا يشتهي ان يردا

الا عراداً عردا وصلباناً بردا

فلما كان في اليوم الثالث نادى أيضاً فلم يجبها ، وبادرت الى الماء  
واتبعها الضب فاخذ ذنبها . (٤) ولهذا فانهم كثيراً ما يذكرون الضب اذا  
ذكروا الصيف . (٥) لانه يحتمل الحر ويصير على المعطش .

وقد اشتهر الضب بطول العمر ، وانه لا يموت حتف انفه ، وانه  
يعيش حتى وان قطع منه ثلث جسمه . (٦) اما سنه فقد زعموا فيه زعماً

---

١ — الحيوان ١٢٨/٦ والمخصص — ابن سيده ٢٥٨/١٣ .

٢ — المعاني الكبير — ابن قتيبة ٦٤١/٢ الهند .

٣ — في مخصص ابن سيده ٢٥٨/١٣ ان هذه المحاوره دارت بين السمكة والضب

٤ — انظر هذه الأبيات في الحيوان ١٢٥/٦ ولسان العرب ٢٨٨/٣ بيروت .

٥ — الحيوان ١٢٤/٦ .

٦ — الحيوان ٥٤/٦ و ١١٦ و ١٨٤/٧ .

غريباً ، ذلك انهم قالوا : انه تنفقىء عنه البيضة وقد خرجت سنه ، فلو  
بقي الف سنة لم تتغير عن حالها ، انما تظل كما كانت عليه حين خروجه  
من بيضته ، والى هذا ذهب رؤبة في قوله : (١)

فقلتُ لو عمرتُ سن الحسلِ صرتُ رهين هدمٍ او قتلِ (٢)

وذهبوا الى انه اراد بذلك ان يقول : لو عمرت انا لا اتغير بل  
ابقى مثل سن الحسل . واستطاب بعض الناس لحمه . (٣) قال فراس بن  
عبد الله الكلابي : (٤)

لما خشيتُ الجوعَ والارملا ولم اجد بشولها بلالا [٥]  
ابصرت ضباً دحناً محتالاً أوفدَ فوقَ حجره وذالا [٦]  
فدب لي يختلني اختيالاً حتى رأيت دوني القذالا [٧]  
ومبلةً ما ملك حينَ مالا فذهبت كفاي فاستطالا  
مني فلا نزعُ ولا ارسالاً فما جزأ وبرأ الأوصالا

١ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط — ص ٨٦ .

٢ — الحسل : ولد الضب .

٣ — الحيوان ٤٤/٤ و ٩٦ و ٢٥٣/٥ و ٧٧/٦ و ١٤٣ و ٣٨٥ .

٤ — الحيوان ١٤٣/٦ .

٥ — الشول : المرتفع ، البلال : ما يبيل به الخلق من ماء أو لبن .

٦ — ذال : سحب ذيله ونشره .

٧ — القذال : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .



مني ولم ارفع بذاك بالاً لما رأت عيني كشي خدالا [١]  
 منه وثنيت له الاكبالاً ورحت منه دحناً دالا [٢]  
 ونستدل بما بين ايدينا من رجز ان الضب كان سريع تقليب العينين  
 يدل بذلك على مكره ودهائه . قالت امرأة في ولدها وتهجو اباها : [٣]  
 وهبت من ذي تفالٍ خبٍ يقلبُ عيناً مثلَ عينِ الضبِ [٤]  
 ليس بمعشوقٍ ولا محبٍ  
 وذنب الضب كثير العقد ، ومن امثالهم : اعقد من ذنب الضب .

#### — الأسد

انطبعت صورة الأسد وهي تحمل معاني الشجاعة والجرأة والأقدام  
 في اذهان العرب الذين كان لبعضهم مواقف تذكر مع هذا الحيوان المفترس  
 وقد وجدوا فيه جميع مستلزمات الشجاعة ، من سرعة وثب ، ورباطة  
 جأش ، وحدة انياب ، وقوة مخالب . وانهرات شديدين ولهذا فإنه ما من  
 شاعر يريد ان يصفى على نفسه او على مدوحه كل صفات الجرأة والبطولة  
 الا اتخذ من الاسد مثالا ، وجعل من نفسه او مدوحه نداء او نظيراً له  
 وانك لتجد كثيراً من امثال هذه الصورة في شعر العرب ، فهذا رؤبة بعد

- 
- ١ — الكشي : جمع كشبة : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، الخدال :  
 الممتلي الضخم .  
 ٢ — الدال : مشى مشياً فيه ضعف .  
 ٣ — الحيوان ١٠٦/٦ .  
 ٤ — الحُب : الذي يمنع ما عنده .

نفسه وقومه أسد غاب ، يخوضون المعامع والحروب فلا يرهبون بأس  
احد ، يقول : [١] .

انا اذا ما الحرب حد نابها وصر في قصرها اشناها  
نردها مقللاً كلابها بأسد غاب في الأكف غابها [٢]  
غاب وشيخ سلب كعابها عوائر يزيدا اضطرابها [٣]  
لينا اذا ما نشبت حرابها والخيل تعدو حسنا الهابها [٤]

وبصور لنا الرجز ما لهذه الاسود من رهبة في نفوس الناس ،  
وحتى المتشبهين بها يكون لهم ما لتلك الاسود من هيبة ورهبة ، قال  
رؤبة : [٥]

والخيلُ تعدو القفزي عرابها بأسد غاب يتقى توثابها

وحينما مدح رؤبة ابا جعفر المنصور لم ير اكثر من الليوث  
شجاعة ، فجعله وقومه اسدا ، وجعل اعداءهم كلابا : [٦]

---

١ — مجموع اشعار العرب ص ١٩ وقد وردت هذه الارجوزة في شرح ديوان  
العجاج المخطوط ص ١٣٣ على انها للعجاج .

٢ — الكلاب : الذي يعلق بالشيء ، يقول : نردها وقد فللنا حدها عنا ، الغاب  
الرماح .

٣ — الوشيخ : القنا والرماح ، عوائر : يريد مضطربات اذا هزت عثرت .

٤ — يقال : الهب في العدو : كأنه من سرعته وشدة عدوه احراق نار .

٥ — مجموع اشعار العرب ص ٢١ .

٦ — مجموع اشعار العرب ص ٣٥ .

ومن أراد دفعه ترحزحاً وخاف أسداً وكباشاً نطحاً  
من آل عباسٍ وعضباً مجوحاً والأسد يخشين الكلاب النبحاً (١)

وعندما استنجد عياض بخالد بن الوليد اجابه : من خالد الى  
عياض : اياك اريد :

لبث قليلاً نأتك الحلائب يحمان أساداً عليها الفاشب  
كنايبٌ تتبعها كنايبٌ (٢)

ولما احاطت خيل المختار بالقربة التي احتوى فيها شعر بن ذي  
الجوشن خرج اليهم شعر فقاتلهم وهو يرتجز ويقول : (٣)  
نبتهم ليثاً عريناً باسلاً لم ير يوماً عن عدوٍ ناكلأ  
الا كذا مقابلاً أو قاتلاً

وفي غزوة خيبر خرج مرحب اليهودي من حصنهم للمبارزة قد  
جمع سلاحه وهو يرتجز مدعيأ ان اللبث لانجرؤ من أن تقرب حماه  
ومثل ذلك فعل اخوه باسر بعد قتل مرحب . [٤]

وقد وجدنا في الرجز لوحات بدبعة جميلة ظهرت فيها قوة الاسد  
وحالته حين وثبه وتهيوه لصيد فريسته ، وما يلتمع في عينيه من شعاع  
ويريق يأخذ الأبصار وبذهل العقول ، يقول العماني في صفته :

١ — العضب : السيف القاطع ، المجوح : الشديد .

٢ — تاريخ الامم والملوك — الطبري — ٥٧٨/٢ الاستقامة .

٣ — انساب الاشراف — البلاذري ٢٣٨/٥ .

٤ — أنظر تاريخ الامم والملوك ٢٩٩/٢ .



اجراً من ذي لبدة هماس غنضفر مضبر رهاس [١]  
مناع اخباس الى اخباس كأنما عيناه في مراس [٢]  
شعاع مقباس الى مقباس

وانهرات شدي الاسد اماره شجاعته وقدرته على النيل من فريسته.

قال العجاج يصف اسداً [٣]

وكل ريبال خضيب الكلكل كأنه في جلد مرقل [٤]

منهت الأشداق غضب موكل في الأهلين واخترام السبل [٥]

وقال مورق العبدي : (٦)

وشدق ضرغام وناب يحرق

وقد نقل لنا القالي ٧ مجلس يزيد بن معاوية الذي ضم ابا زيد

الطائي وجميل بن معمر العذري والاخلطل ، فقال لهم يزيد : ايكم يصف

١ — الهماس : الشديد الغمز بهضسه ، المظفر : الموثق الخلق ، الرهاس : الذي

يطأ الارض وطناً شديداً .

٢ — الاخباس : جمع خبس : وهو الاجمة يكون فيها الاسد ، المراس : أي في

اثناء ممارسته للصيد .

٣ — شرح ديوان العجاج — مخطوط — ص ٥٢ وأراجيز العرب ص ١٩ .

٤ — الريبال : الاسد ، خضيب الكلكل : خضيب الصدر من الدماء ، المرقل :

الذي قد وسع عليه بدنه فهو يرقل ، والجلد : ان يذبح الحوار فيأخذ جلده

فيلبس آخر فذاك الجلد : يقول : الريبال كأنه في جلد مما عليه من الوبر .

٥ — منهت الأشداق : الواسع ، الغضب : الغليظ الشديد ، موكل : معلم

أكل للصيد ، قوله : في الأهلين : أي فيمن يغير عليه في اهله ، اخترام

السبل : يقول بقطع الطريق على ابن السبيل .

٦ — البيان والتبيين ١٥٢/٢ .

٧ — امالي القالي ١٨١/٣ بيروت .

الأسد في غير شعر ؟ فتكلم أبو زيد ووصفه بنثر في غاية البلاغة ، ثم ختم كلامه بشعر قال فيه :

خبعتن اشوس<sup>١</sup> ذوتهمكم      مشتبك الانيابِ ذو تبرطم  
وذو أهاويل<sup>٢</sup> وذو تهجم      ساط على الليث الهزير الضيغم  
وعينه<sup>٣</sup> مثل الشهاب المضم      وهامه كالجر الملمم

فقال : حسبك يا أبا زيد ثم قال قل يا جميل . فوصفه جميل بنثر جيد جيد وأخيراً قال : —

ليث<sup>١</sup> عرين<sup>٢</sup> ضيغم غضنفر      مداخل في خلقه مضبر<sup>٣</sup>  
بخفاف<sup>٤</sup> من أنيابه<sup>٥</sup> وبذعر<sup>٦</sup>      ما أن يزال<sup>٧</sup> قائماً يزجر  
له على<sup>٨</sup> كل السباع<sup>٩</sup> مفخر<sup>١٠</sup>      قضاقض شتن البنان<sup>١١</sup> قسور<sup>١٢</sup> (١)

فقال : حسبك يا بن معمر ، ثم قال قل : يا اخطل . فقال الاخطل كلاماً أفصر من كلام سابقه وصف فيه الأسد ثم قال : —

قضاقض<sup>١</sup> جهم<sup>٢</sup> شديب<sup>٣</sup> المفصل      مضبر<sup>٤</sup> الساعد ذو تعكل<sup>٥</sup>  
شربث<sup>٦</sup> الكفين<sup>٧</sup> حامي<sup>٨</sup> اشبل<sup>٩</sup>      اذا لقا<sup>١٠</sup> بطل<sup>١١</sup> لم ينكل<sup>١٢</sup> (٢)  
ملمم<sup>١٣</sup> الهامة<sup>١٤</sup> كمش<sup>١٥</sup> الارجل<sup>١٦</sup>      ذو لبد<sup>١٧</sup> بغتال<sup>١٨</sup> في تمهل<sup>١٩</sup>  
انيابه<sup>٢٠</sup> في فيه<sup>٢١</sup> مثل<sup>٢٢</sup> الانصل<sup>٢٣</sup>      وعينه<sup>٢٤</sup> مثل<sup>٢٥</sup> الشهاب<sup>٢٦</sup> المشعل<sup>٢٧</sup> (٣)

١ — قضاقض : الأسد ، شتن البنان : غليظ الاصابع خشنها .

٢ — شربث ، غليظ الكف وعروق اليد .

٣ — لا توجد هذه الارجوزة في ديوان الاخطل وإنما ذكرت مع القصة في ترجمة الاخطل الملحقة بالديوان تحت عنوان ( الشعر المنسوب الى الاخطل ) .

فقال له : حسبك وأمر لهم بجوائز .  
على أنك نادراً ما تجد مثل هذا الوصف البديع الرائع للأسد  
في غير هذا الرجز .

× × ×

وقد تطرق الرجز الى وصف الزواحف والحشرات التي التقى بها  
العربي والتي كانت تعيش في بلاده ، وكان لكل منها صورة خاصة في  
ذهنه رسمها لها نتيجة ممارسته لافعالها وتجربته بما تقوم به من أعمال .  
ومن تلك الحشرات البعوض والبرغوث والجراد والافاعي . وقد حفل  
كتاب الحيوان الملاحظ بطائفة من هذا الرجز الذي يصف هذه  
الزواحف والحشرات .



## الفصل الثاني

### الرجز والحياة السياسية

#### أثر السياسة في الرجز :-

سار مؤرخو الأدب في دراستهم لتاريخ الادب العربي على أساس تقسيم الأدب الى فترات يختلف بعضها عن بعض تبعاً لاختلاف الظروف السياسية ، وعللوا مذهبوا اليه بأن الأدب يتأثر بالسياسة ، اذ يكون لكل فترة من الحكم نهج خاص به وسياسة مستقلة عما سبقها من فترات ، وعليه فإن تأثير هذه السياسة يكون واضحاً وبيئاً في نفس من يخضع لذلك الحكم وتلك السياسة ، حيث نجد فريقاً مناصراً لها ، تانياً مناوئاً ، وآخر محايداً وهكذا .

وقد كان لهؤلاء المؤرخين بعض الحق في ما ذهبوا إليه ، إذ أننا نجد أن الأدب هو إحدى وسائل التعبير عما تكنه النفوس من عواطف وأحاسيس وانفعالات . وقد رأينا نشوء الأحزاب المختلفة في العصر الأموي ، وكيف كان لكل حزب من هذه الأحزاب شعراء وخطباء يدافعون عن معتقداتهم وآرائهم ، ويفندون مزاعم خصومهم فقد كان عبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، والكميت شاعر العلويين ، وعمران بن حطان والطرماح بن حكيم وعمرو بن الحصين شعراء الخوارج .

أما الخطباء السياسيون وكان أبرزهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ثم قطري بن الفجاءة زعيم الخوارج ، فقد اتخذوا من الخطابة وسيلة فعالة لتأييد آرائهم وآراء الأحزاب التي ينتمون إليها .

والسياسة في الحقيقة تؤثر في الأدب تأثيراً مباشراً وغير مباشر ، وهناك أدلة كثيرة على ذلك نجدها في أدبنا العربي لا داعي لذكرها هنا . والشعر سلاح فعال في الذود عن الآراء والمذاهب أو مهاجمتها ، ولهذا وجدنا كثيراً من الحكام بصلطعون لهم شعراء خاصين بمدحونهم وبمجدونهم وينصرون مبادئهم وفي نفس الوقت ينددون بخصومهم واعدائهم . أما الرجاز فأنهم لم يقصروا في هذا الميدان ، بل خاضوا فيه كما خاض المقصدون . فاستخدموا الرجز في أغراض حزبية وفي أغراض شخصية ، كتأييد حكم ، أو مناصرة رأي ، أو مناوئة عدو . من ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يبائع لابنه عبد العزيز بعد أخيه سليمان فأبى ذلك سليمان وشنع عليه ، فقبل للوليد : لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعله كان يسكت فتشهد عليه بذلك . فدعا الأقبيل العتي

فُقال له : ارتجز بذلك وهو يسمع . فدعا سليمان والأفيل خلفه ،  
فرفع صوته وقال : —

أن وليَّ العهدِ لابنُ أمهٍ ثمَّ ابنه وليُّ عهدِ عمهِ  
قد رضي الناس به فسمهٍ فهو يضمُّ الملكَ في مضمهِ  
يا ليتها قد خرجت من فمهِ

فالتفت سليمان وقال : يا ابن الخبيثة ، من رضي بهذا (١)

ولو أن سليمان سكت لكانت هذه المقطوعة من الرجز سبياً في  
البيعة لعبد العزيز .

ومثل هذا أيضاً ما يروي من أن المنصور أراد أن يخلع عيسى بن  
موسى ويعقد البيعة للمهدي ، وأحب أن تقول الشعراء في ذلك لكي  
يعرب عن قصده ويتبين رأي عيسى وموقفه بما عزم عليه ، فقال أبو نخيلة  
الراجز (٢) أرجوزة بحث فيها المنصور على تنفيذ ما أراد ، وفيها  
يقول : (٣)

ماذا على شحط النوى غشاكاً أم ماجرى دمعك من ذكراكا  
وقد تبكيت فما ابكاكا

---

١ — العقد الفريد ٤٢٣/٤ القاهرة — لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٤ .

٢ — هو أبو نخيلة بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن بني حمان من  
سعد بن زيد مناة بن تميم ، راجز مقصد كان عاقلاً لايه فنفاه أبوه  
عن نفسه .

٣ — الاغانى ٣٩٠/٢٠ بيروت .



ومنها : -

خليفةُ اللهِ وانتَ ذاكَ      أسندُ الى محمدِ عصاكَ  
فأحفظُ الناسَ لها أدناكَ      وابنكَ ما استكفيتَه كفاكَ  
وكاننا منتظرٌ لذكَاكَ      لوقاتِ : هاتوا ، قلتِ : هاكَا هاكَا

ونظم أبو نخيلة أرجوزة أخرى طلب فيها من المنصور خلع عيسى  
والبيعة للمهدي ، وهي أرجوزة رواها الخدم والخاصة ، وتناشدها العامة ،  
فبلغت المنصور ، فدعا به وعيسى بن موسى جالس عن يمينه فطلب منه  
انشادها على رؤوس الناس ، وفيها يقول :

لم ينسني بالبنة آلِ معبدٍ      ذكراكِ تكرارُ الليالي العودِ  
ولا ذواتُ العصبِ المورِدِ      ولو طلبنا الودَّ بالتوددِ  
ورحنَ في الدرِّ وفي الزبرجدِ      هيهاتِ منهنَّ وانَّ لم نعهدِ  
نجديةُ ذاتُ معانٍ منجدِ      كأن رباها بعيدَ المرقدِ  
ربا الخزامى في ثرى جمعددِ      كيف النصابي فعلَ من لم بهتدِ  
وقد علتْ ذراهُ بادي ذي بدِ      رثينهُ تنهضُ في تشددِ  
بعدَ انتهاضِ في الشبابِ الأملدِ

الى ان يقول في ذكر البيعة لمحمد :

ليسَ ولي عهدنا بالاسعدِ      عيسى فزحلقها الى محمدِ  
من عندِ عيسى معهداً عن معهدِ      حتى تؤدى من بدِ الى يدِ  
فقد رضينا بالغلامِ الأمدِ      وقد فرغنا غير ان لم نشهدِ  
وغيرَ ان العقد لم يؤكدِ      فلو سمعنا قواك : امددِ امددِ  
كانت لنا كدعة الورد الصدي      فنادِ للبيعة جمعاً نحشدِ  
في يومنا الحاضرِ هذا اوغدِ      واصنع كما شئت ورد بردد.. الخ

ولما انتهى من انشادها قال المنصور لعيسى : واثن كان عن رأبك  
لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته اقصى ما يبلغه الولد البار السار  
فقال عيسى : لقد ضللت اذاً وما انا من المهتمدين . فلما عاد عيسى الى  
البيت جمع اولاده وقال لهم : يا بني : قد رأيتم ناخري ، فأيما احب  
اليكم ، ان يقال لكم يا بني المخلوع ، أو يقال لكم يا بني المفقود ،  
فقالوا : لا بل يا بني المخلوع . فقال : وفقتم يا بني .

وكان ابو نخيلة قد حظي بجائزة المنصور ولكنه دفع الثمن غالباً  
اذ بعث عيسى في طلبه فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى  
خبره ، فجرد خلفه مولى له يقال له قطري ، معه عدة من موابه ،  
وقال له : نفسك ان يفوتك ابو نخيلة ، فخرج في طلبه بغد السير فاحقه  
في طريقه الى خراسان فقتله وسلخ وجهه . (١)

وقد عالج الرجز كثيراً من الجوانب السياسية ، وصور بعض  
احداثها ، لهذا وجدنا الرجز ينقطعون الى مدح خليفة أو دولة ، فاذا  
ما زالت وانقرضت هبأوا انفسهم ورجزهم ليناصروا الحكم الجديد  
شأنهم في ذلك شأن كثير من الشعراء . وكان ابو نخيلة خير مثال لذلك ،  
فقد اصطنعه مسلمة بن عبد الملك واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدا  
بعد واحد فاغنوه ، ولما نكب بنو امية وقامت دولة بني العباس ، انقطع  
اليهم ولقب نفسه شاعر بني هاشم ومدحهم وهجا بني امية (٢)  
يروى انه دخل على أبي العباس السفاح ، وكان يخاف ان يدخل

---

١ — الأغاني ٣٨٧/٢٠ — ٣٩١ بيروت .

٢ — الأغاني ١٣٩/١٨ ساسي .

عليه لما يعرفه به من اصطناع مسلمة أياه وكثرة مديحه لني مروان ،  
حتى علم انه قد عفا عن هم اعظم جرماً منه ، فلما وقف بين يديه  
سلم عليه ودعا له واثني ، ثم استأذنه في الانشاد فقال له : ومن انت ؟  
قال : عبدك يا امير المؤمنين ابو نخيلة الحماني ، فقال : لا حياك الله ولا  
قرب دارك يانضو السوء ، ألسن القائل في مسلمة بن عبد الملك بالامس :  
أمسلم يامن سادّ كل خليفةٍ وبافارس الهيجا وباقمر الأرض  
والله لولا اني قد امننت نظرامك لما ارتد اليك طرفك حتى اخضبك  
بدمك . فقال ابو نخيلة :

كنا اناساً نرهب الاملاكا إذ ركبوا الاعناق والاوراكا  
قد ارتجينا زمناً اباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا  
ثم ارتجينا بعده اباكا وكان ما قلت لمن سواكا  
زوراً فقد كفر هذا ذاك

فتبسم ابو العباس ثم قال له : انت شاعر وطالب خير وما زال  
الناس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفر الخطيئة ، والظفر يزيل  
الحقد ، وقد عفونا عنك ، واستأنفنا الصنعة لك وانت الآن شاعرنا (١)  
ومثل ابي نخيلة رؤبة بن المعجاج ، فقد كان منقطعاً الى بني أمية ،  
يمدحهم ويثني عليهم ، فلما أفضت الخلافة الى بني هاشم ، بعث اليه ابو  
مسلم الخرساني وطلب منه أن ينشده قوله :-

وقاتم الاعماقِ خاوي المخترق

---

١ — الأغاني ٢٠/٢٧٠ و ٢٧١ بيروت ،



فقال رؤبة : أو أنشدك - اصالحك الله - أحسن منها ؟ قال :  
هات . فأنشده :-

قلتُ ونسجى مستجدٌ حوكاً ليك اذ دعوتني ليكاً  
أحمدُ رباً ساقني اليكاً

قال له أبو مسلم : هات كلمتك الأولى . فأجابه : أو أنشدك  
أحسن منها ؟ قال : هات . فأنشده :-

ما زال يبني خندماً وبظلمه\* ويستجيشُ عسكرياً ويهزمه\*  
ومغتماً يجمعه ويقسمه\* مروانُ لما أن تهاوت\* انجمه\*  
وخانهُ في حكمه منجمه\*

قال : دع هذا وانشدني : وقاتم الاعماق . فقال رؤبة : أو احسن  
منه ؟ قال : هات فأنشده قوله :

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً وشدت ركنَ الدينِ اذ بنيتا  
في الاكرمين من قريشِ بيتا  
قال : هات ما سألتك عنه . فأنشده :

ما زال يأتي الملكَ من اقطارهِ عن اليمينِ وعلى يسارهِ  
مشمراً لا بصطلي بنارهِ حتى اقرَّ الملكَ في قرارهِ  
ومرَّ مروان على حمارهِ

فقال : ويحك ، هات ما دعوتك له وأمرتك بانشاده . فأنشده  
ما أراد . (١)

---

١ - الاغانى ١٨/١٢٢ و ٥٨/٢١ ساسي .

وهو انما كان يتبع هذا السبيل فلا ينشده الا مدحاً له ، لأنه  
كان يرهبه مدحه بني امية ، وخشي أن يغيظ ذلك ابا مسلم فعمد الى  
مدحه ليأمن جانبه .

وهكذا كان أكثر الناس ومن بينهم المقصدون والرجاز ، يتقلبون مع  
السياسة وبسايرون كل حكم جديد . وكان شعرهم يتقلب معهم أيضاً ،  
فيصور انجاهاتهم السياسية ، وتقلباتهم وميولهم ، حتى أنه قيل : أن أحد  
الرجاز قال قصيدة في مدح خليفة اموي ، فلما جاءت دولة بني العباس  
نقلها اليهم .

وكثيراً ما كان الحفاظ على كرسي الزعامة ، والسيطرة على الحكم ،  
يتطلبان حرباً ضرورياً يذهب ضحيتها الآلاف . كما أن مجيء دولة بدل  
اخرى لا يحصل - في الغالب - الا بالحرب . فالحرب - اذن - كانت  
تابعة للأغراض السياسية غالباً ، فاذا ما تعرض أمن دولة من الدول  
للخطر ، أو أرادت دولة ضرب اخرى ، أو رغب قوم في سحق آخرين ،  
لجأوا الى الحرب .

وقد رسم لنا الرجز ، كما رسم لنا القصيد ، صور الحرب بكل  
جوانبها وابعادها وما تستلزمه من آلات واسلحة ومعدات ، وما تتطلبه من  
بعث الهمم واثارة العواطف ، وكان الرجز خير مصور لهذا كله .

ومن هنا يتحتم علينا البحث في رجز تلك الحروب التي خاضها  
العرب والمسلمون قديماً فدونك رجز الحرب في الصفحات الآتية :

## رجز الحرب

لا يروي التاريخ لأمة من الأمم مثل ما يروي للعرب من وقائع  
حرية ، وشجاعة فائقة وكرم اصبل ، فقد حرص العربي قديماً وما يزال ،  
على أن ينعت بصفتين لهما اثرهما في نفسه هما الشجاعة والكرم ، وفي  
سبيلهما راح يبذل المال والنفس ، وهو يرى أن الجود بالنفس اقصى  
غاية الجود ، فلا عجب اذا رأيناه يرخص نفسه لأبسط الاسباب حفاظاً  
على عزته وكرامته ، فهو اذا ما جرحته كلمة نابية ، اعانها حرباً شعواء  
تفني الاهل والولد ، لأنه يعتقد أن جرح اللسان انكى من جرح  
السنان .

وكان العربي بطبيعته شجاعاً ، بسبب الظروف الخاصة التي كان  
يحياها في جزيرته وبسبب ما فرضته عليه بيئته تلك ، وكان يتحين الفرص  
التي تمكنه من اظهار شجاعته ونشر اخبارها بين الناس ، وجعلها مفخرة  
ومأثرة ، والحرب موطن الشجاعة الصادقة واظهر مكان لأجلانها .

وكان العربي في هذه الحرب يشجع نفسه وبيعت فيها النخوة والحماس  
بما تجود به اريحته من شعر يذكر فيه أن الموت غاية كل حي وانـه  
لا بد أن يلاقي حنقه في المعركة أو في خارجها ، كما أن من مبادئه التي  
يؤمن بها ، هي أن الحياة بدون حرية وكرامة أمر لا يحتمل . بل أن  
الموت حينئذ يكون احلى من الحياة والذ من العسل :

نحنُ بني ضبّة اصحابُ الجملُ نزلُ بالموتِ اذا الموتُ نزلُ

الموتُ أحلى عندنا من العسل (١)

---

١ — العقد الفريد ٤/٢٢٧ وأيام العرب في الاسلام ص ٣٧١ .



فالتغني بالشعر في الحرب كان لازمة من لوازمها ، وسلاحاً من  
أسلحتها التي تساعد على الانتصار ، ويسود الإيجاز هذا الشعر ، إذ أنه  
شعر اللحظات السريعة والمواقف الحاطفة ، لذلك فمقطوعه مقطوعات قصيرة  
يجري فيها الشاعر على سجيته دون تدقيق أو تنقيح ، أنه يعبر عن  
خاطر يعتمل بصدره ويرمي به في سرعة كما يرمي بسهمه ، أو يضرب  
بسيفه . ولذلك كانت تشبع فيه البساطة وعدم التكلف لما يمترض صاحبه  
من شواغل الجهاد التي تحول بينه وبين اطالة التفكير ، كما تحول بينه  
وبين المعاودة للفظ وتجويده وتحبيره . (١)

وطبعي ان يكون اكثر هذا الشعر من الرجز ، لأنه كان وزناً  
شعبياً يساعد على الاستجابة لمثل هذه الحالات ، وانه وزن ينظم فيه عامة  
العرب ، ومن هنا وجدنا ان الرجز الذي قيل في تلك الحروب كان  
كثيراً جداً ، وهذه الارجيز الحربية تعطينا اجمل الصور واوضحها عن  
معارك العرب وفنونهم الحربية وتقاليدهم في القتال . وتبدأ معركة الرجز  
قبل ان يتلاقى الفرسان ، حيث يسبق ذلك الاستعداد للحرب والتهيئة  
لها ، إذ يأتي الى القبيلة من يستصرخها ويستنفرها ويدعوها الى القتال .

ونلاحظ في الرجز بواعث الحرب الحقيقية في الجاهلية ففيه اشارة  
واضحة الى امور تتصل بالحياة الاقتصادية للقبيلة كما تتصل بحياتها  
الاجتماعية ، ثم ان العصبية القبلية لها دور مهم في بعث هذه الحروب  
حيث ان كل قبيلة كانت تسجل انتصاراتها وتروى ايامها ولهذا فان

الفرد كان يذوب داخل نطاق هذه القبيلة ، فهو يقاقل الكبي يحرز نصرا  
يكون مفخرة لقومه وعشيرته ، وربما كان بعض الدوافع اموراً شخصية  
فقد يطمع بعضهم في رئاسة قوم وزعامتهم وهو يظن ان هذا لا يكون  
الا بالقتال ، قال عيسى بن حذار يرتجز موجهها الحديث لفرسه في يوم  
الرقم : (١)

أقدم قديداً لا تكن خنوساً لاطعن طعنةً قلوباً  
ذات رشاشٍ تفزع الحميسا من لا يقاقل لا يكن رئيساً

ورجز العرب يبرز لنا دافعهم الى الاستبدال في القتال وهو اعتقادهم  
بان الهزيمة فيها الذل والعار :

ليس علياً أن أموت عار والعار في الناس هو الفرار (٢)

وفيها فناؤهم وفناء قبيلتهم واطفالهم ونسائهم ، قال يزيد بن  
المكسر بن ثعلبة بن سيار في يوم ذي قار يحرص قومه على القتال (٣)

من فر منكم فر عن حربهم وجارهم وفر عن نديمهم  
انا ابن سيار على شكيبهم مثل الشراك قد من أدبهم  
وكلهم يجري على قديمهم من قارح الهجنة أو صميمهم

ويحدثنا الرجز بأن الباعث على القتال قد تغير في زمن الاسلام

---

١ — شعر الحرب — علي الجندي ٢٧٧/١ ومعجم الشعراء — المرزباني ٤٨٢/

٢ — تاريخ الأمم والملوك — الطبري ٤٨٧/٣ .

٣ — المصدر السابق ٦١١/١ وامالي المرتضى ٥٧٢/١ ط ١ .

حيث استجدت بواعث جديدة فرضها الدين الجديد وجعلها عبادة روحية وجسمية كسائر العبادات التي فرضها عليهم من صوم وصلاة وحج وزكاة فكانت نظرة المقاتل من المسلمين تختلف عن نظرة المقاتل من الجاهلين فالمسلم اضافة الى انه يعلم ان الموت حق وهو حتم مؤجل ، وان الانسان لا بد انه يوما الى الموت صائر :

يا نفسُ إلا تقتي تموني هذا حمامُ الموت قد صليت (١)

اضافة الى هذا كله كان يعلم انه يقاقل لينال احدى الحسينين ، اما النصر واما الشهادة ، فالنصر هو الأمل الذي يراود فكره ويطمع في تحقيقه ، والشهادة - التي يكون ثوابها الجنة - غاية ما يرتجى واقصى ما ينشد . وكان هذا اقوى حافز واعظم دافع لأن يبذل المسلم نفسه رخيصة في سبيله .

قال رسول الله ( ص ) في قومه في معركة بدر : « والذي نفسي بيده لا يقاثلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .

فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمه وفي يده تمرات يأكلها :  
بخ بخ ! اما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتاني هؤلاء ! ثم  
قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو  
يقول :

---

١ - ايام العرب في الاسلام / ٨٩ ط ١ .



ركضاً الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد  
والصبر في الله على الجهاد وكلُّ زادٍ عرضةُ النفاقِ  
غير التقى والبر والرشاد (١)

وفي وقعة مؤتة حمل الراية زيد بن حارثة ، ثم التقى الجمعان  
وقاتل زيد حتى شاط في رماح القوم ، فأخذ الراية جعفر بن ابي  
طالب وارتجز :

ياحبذا الجنةُ واقترابها طيبةٌ وبارداً شرابها  
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها  
عليّ اذا لاقيتها ضرابها

ثم لم يلبث ان قتل ، واخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم بها  
على فرسه وارتجز :

اقسمتُ يانفس لتنزلني أو لتكرهني  
ان أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنة  
قد طالما كنت مطمئنه هل انت الا نطفة في شنه  
واخذ سيفه وقاتل حتى قتل . (٢)

ويبدأ الرجز مع أول نذر الحرب ، فهم حينما يعدون لها اسبابها  
وبهيشون لها عدتها وعتادها فيجمعون لها السلاح ويستنفرون لها الرجال ،  
ويستميلون القبائل ، ويمقدون الاحلاف يكون الرجز معيناً وناصرأ لهم

١ — الأغاني ١٩٣/٤ وتاريخ الخميس ٣٨٠/١ وتاريخ الطبري ١٥٠/٢ .

٢ — تاريخ الامم والملوك - الطبري ٣٢١/٢ وايام العرب في الاسلام ٨٩ .

في ذلك ، فعندما نقضت قريش حلفها مع الرسول (ص) وتظاهرت  
على قضاة ، وأصابوا منهم ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم  
على رسول الله (ص) المدينة ، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين  
الناس فقال :

لا هم اني ناشد محمدا حلف ابينا وأبيه الأنددا  
فأنصر رسول الله نصرنا اعتدا وادح عباد الله بأنوا مددا  
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
وجعلوا لي في كدام رسدا وزعموا ان لست ادعو احدا  
وهم أذل وأفل عددا هم بيوتنا بالوتير هجدا  
فقتلونا ركعاً وسجدا (١)

ويبعث الرجز الحماس في نفوس القوم حين يتأهبون للقتال ويبدأ  
بعضهم بعضاً ويذكره بعار الهزيمة وحلاوة النصر ، وعليهم أن  
بعضوا ولا يستسلموا لأية عقبة تعترض طريقهم ، قال مالك بن عامر وهو  
أول من عبر دجلة يوم المدائن : (٢)

امضوا فأن البحر بحر مأمور والأول القاطع منكم مأجور  
قد خاب كسرى وأبوه سابور ما تصنعون والحديث مأثور

وفي يوم ذي قار جعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن  
سيار العجلي :

---

١ — تاريخ الطبري ٢/٣٢٥ .

٢ — المقدم الفريد ٣/٤٠٠ ط ٢

قد شاع أشباؤكم فجدوا ما علي وانما مؤد جلد  
 والقوس فيها وتر عرد مثل ذراع البكر أو أشد  
 قد جعلت أخبار قومي تبدو أن المنايا ليس منها بد  
 هذا عمير حية ألد يقدمه ليس له مرد  
 حتى يعود كالكميت الورد خلوا بني شيبان واستبدوا  
 نفسي فداكم وابي والجد

وهم انما يلجأون الى مثل هذه الاثارة لانهم يعلمون أن الحرب  
 النفسية امضى وأقوى من حرب السلاح ، فكانوا يهيئون المقاتلين تهيئة  
 نفسية قوية لكيلا يسمحوا لأنفسهم بتخاذل او تراجع .  
 والرجز نشيد حماسي يشد من العزائم ويقوي النفوس الضعيفة  
 ويزيد النفوس الأبية اياه ، قال الاعشى لابن اخيه خيثم بن حمه بحرصة  
 على القتال : (١)

وبهاً خيثم انه يوم ذكر لم تر شمس مثله ولا قمر  
 فادن من البانس اذا البأس حضر وزاحم الاعداء وبالثبت الصبر  
 وارجم اذا ما ضيع الناس الدبر

كما كانوا يستخدمون الرجز ليلقوا في قلب خصومهم الخوف والرعب  
 محاولين اضعاف نفوسهم من ذلك ما حدث في حروب الردة ، حيث التقى  
 المسلمون مع المرتدين في حضرموت ، فارتجز راجز المرتدين في جوف  
 الليل فوق حصنهم :

١ — ديوان الاعشى الكبير — م . محمد حسين / ٢٦٩ .



صباح سوم لبني قتيير  
والأمير من بني المغيرة  
وجعل راجز المسلمين زياد بن دينار يرد عليهم :  
لاتوعدونا وإصبروا حصيره نحن خبول ولد المغيرة  
وفي الصباح نظفر العشيعة (١)

وبداية المعركة تكون بالمبارزة الفردية : اذ هي ايدان لاشتعال  
نار الحرب . وهنا لابد ان يشجع المبارز نفسه بشيء من الرجز يذكر  
فيه مآثره وشجاعته ليستأنس بذلك ، ثم يذكر فيه مصيره المحتوم الذي  
سبلاقيه ان أجلا او عاجلا .

فليعيش اذا حياة حرة حتى يأتيه أجله ، قال البخترى في معركة  
بدر حين نازله المجذر وأمي الا القتال وهو يرتجز : (٢)

ان يسلم ابن حرة اكيله حتى يموت أو يرى سبيله  
وفي غزوة خيبر خرج مرحب اليهودي من حصن اليهود جامعا  
سلاحه وهو يرتجز ويقول : من يبارز ؟

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب  
اطعن احيانا وحينما أضرب اذا اللبوث اقبلت تحرب  
كان حماي للحمى لا يقرب

فأجابه كعب بن مالك يرد عليه برجز مقابل وكأنه رأى واجبا  
عليه في تلك الساعة الحرجة أن يوجه اليه طعنة بالرجز قبل طعنة السيف

١ — تاريخ الامم والملوك — الطبري ٥٤٦/٢ .

٢ — الاغانى ١٩٥/٤ ،

والرمح قال :

قد علمت خبير اني كعب مفرج الغمى جريء صلب  
ان شبت الحرب نلتها الحرب معي حسام كالعقب عضب  
نطؤكم حتى بذل الصعب نعطي الجزاء او يضيء الشهب  
بكف ماض ليس فيه عتب

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر يرتجز ويقول :

قد علمت خبير اني ياسر شاكي السلاح بطل مغاور  
اذا الليوث اقبلت تبادر واحجمت عن صواتي المغاور  
ان حماي فيه موت حاضر

فخرج الزبير بن العوام الى ياسر فقالت صفية بنت عبد المطلب :  
أبقتل يا رسول الله ؟ قال : ابنك بقتله ان شاء الله ، فخرج الزبير وهو  
يقول :

قد علمت خبير اني زبار قرم لقوم غير نكس فرار  
ابن حماة المجد وابن الاخير ياسر لا يفرك جمع الكفار  
فجمعهم مثل السراب الجرار

ثم التقيا فقتله الزبير (١) . وهكذا كان الرجز لازمة من لوازم  
الحرب يرهب به المقاتل خصمه وبوهن من قوته وبضعف من عزيمته  
ففي حصار عثمان شد المغيرة بن الاخنس بالسيف وهو يقول :

قد علمت جارية عطبول لها وشاح ولها جديل  
اني بمن جاريت ذو تنكيل

---

١ - تاريخ الامم والملوك - الطبري ٢/٢٩٩ .

فشد عليه رفاعه بن رافع وهو يقول :

قد علمت خود سحوب للذيل ترخي قروناً مثل اذنان الخيل  
ان لقرني في الوغى مني الويل

وخرج مروان بن الحكم وهو يقول :

قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول  
اني اروع أول الرعيل

ثم ضرب عن يمينه وشماله فحمل عليه الحجاج بن غزبه وهو  
يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الليتين قعساء الكفل<sup>(١)</sup>  
اني غداة الروع مقدم بطل

فضربه على عنقه بالسيف فلم يقطع سيفه وخر مروان اوجهه<sup>(٢)</sup>  
وبلاحظ في رجزهم هذا انه متفق في وزنه وقافيته ، وهو نموذج  
بسيط للنقائض التي تطورت فيما بعد .

وفي هذا الحصار دخل عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام على  
عثمان هو واثنان معه يدافعون عنه ، فقال عبد الله : يا عباد الله بيننا  
وبينكم كتاب الله ، فشد عليه عبد الرحمن بن عبد الله الجمحي وقال  
مستعملاً الرجز سلاحه النفسي القوي :

---

١ — في معجم الشعراء ص ٢٣٧ ان هذه الايات للمختار الثقفي وروى الشطر

الثاني على النحو التالي : واضحة الخدين عجزاء الكفل .

٢ — انساب الأشراف — البلاذري ٧٩/٥ .



لأضربن<sup>١</sup> اليوم بالقرضابِ بقية الكفارِ والأحزابِ  
ضربَ امرئٍ ليس بذى ارتيابِ أنتَ تدعونا الى كتابِ  
نبدته في سائر الاحقاب (١)

اما في حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير بمكة فقد جعل عبد الله  
ابن مطيع بن الاسود العدوي يقاتل اهل الشام ويرتجز بما يبعث في  
نفسه العزم والثبات :

انا الذي فررتُ يومَ الحرة والشيخُ لا يفرّ الا مره  
فاليومَ أجزي فرةً بكره لا بأس بالكرة بعد الفره (٢)

ولما التقى الناس بصفيين نظر معاوية الى هشام بن عتبة . وكان  
اعور والراية بيده وهو يقول :

اعورُ يبغى نفسه محلا قد عالجَ الحياة حتى ملا  
لابدًا ان يفلا<sup>٣</sup> أو يفلا (٣)

وتبدأ المعركة ويبدأ معها القتال ، فيصرخ الفرسان ويزجر الابطال  
وهنا يظهر دور المرأة العربية التي كانت تشارك الرجل في تلك الحروب  
وكانت مهمة المرأة في تلك الحروب هي ان تضمد الجرحى وتسعف  
المصابين ، وتحمل الماء لتسقي منه العطاش ، واهم من هذا كله هو  
تشجيعها للمقاتلين وبعث النخوة والحمية في نفوسهم ، ولا اقدر على هذا

١ — انساب الاشراف — البلاذري ٨٠/٥ .

٢ — العقد الفريد ١٥٩/١ و ٣٨٩/٤ .

٣ — المصدر السابق ٣٤٠/٤ .

من المرأة ، فان لها تأثيراً نفسياً عظيماً ، وتجاوباً سريعاً من قبل  
المحاربين ، ولا يوجد اذى من الرجز تزجر به فتلهب نار الحمية في  
نفوس المقاتلين وتبعثهم على الغداه والاستبسال قالت بنت الفند الزماني  
في يوم التحاق وهي تحض الناس : (١)

وغى وغى وغى وغى حر الحرار والنظى  
وملئت منه الربى يا حبذا المحلقون بالضحى

وقالت بنت الفند الاخرى : (٢)

نحنُ بناتُ طارق نمشي على النمارق  
ان تقبلوا نمارق أو تدبروا نمارق

وقالت امرأة من بني عجل في يوم ذي قار : (٣)

- 
- ١ — شرح حماسة ابي تمام - التبريزي ٣٥/٢ .
  - ٢ — اختلف في نسبة هذه الايات ، فالتبريزي يرويهما لبنت الفند ، والطبري  
يقول ٦١٠/١ : انها لامرأة من بني عجل تقولها في يوم ذي قار واستشهدت  
بها هند بنت عتبة في غزوة أحد وشايعة في ذلك الدكتور علي الجندي في  
كتابه شعر الحرب ٢٧٧/١ اما صاحب لسان العرب فيقول مادة ( طرق )  
انها لهند بنت عتبة ، في حين يرى صاحب تاج العروس مادة ( طرق )  
انها للزرقاء اليبادية وتمثلت بها هند بنت عتبة بن ربيعة يوم أحد ،  
والبكري ينسب هذه في معجم ما استعجم ٧٠/١ الى هند بنت بياضة  
ويرويها مع زيادة في الأيات .
  - ٣ — تاريخ الامم والملوك - الطبري ٦١٠/١ .

ان يظفروا يحرزوا فينا الغرل إبهأ فداء لكم بني عجل  
وفي أحد خرجت هند بنت عتبة ونسوة اخريات مع جيش المشركين  
فلما دنا الجيشان ، والتقى بعضهم ببعض اخذت النساء الدفوف وضربن  
بها خلف الرجال وحرضنهم ، وكانت هند تقول والنسوة يرددن  
معها : (١)

وبهأ بني عبد الدار وبهأ حماة الأديار  
ضرباً بكلّ بتار

وكنّ بقلن أيضاً :

نحنُ بناتُ طارق ان تقبلوا نعاق . . . الخ

ورجز النساء هذا لايقف عند تشجيع الرجال المقاتلين ، انما  
تستخدمه النساء لتشجيع انفسهن وهن بصطالين بنار الحرب ، اذ كانت  
بعض النسوة لا يكتفين بتشجيع المقاتلين ، انما ينزلن مع الرجال في ساحة  
الوغى ويحملن على الاعداء ، وهذا ما حصل لأم حكيم الخارجية التي كانت  
من اشجع الناس واجملهم وجهأ واحسنهم بدينهم تمسكاً ، وقد شوهدت  
وهي تحمل على الناس وترتجز : (٢)

احملُ رأساً قد سئمتُ حمله وقد مللتُ دهنه وغسله

الافتى يحمل عني ثقله

ويشتد القتال ، ويحمي الوطيس ، وتخر الابطال صرعى كريمة ،

---

١ — تاريخ الامم والملوك — الطبري ١٩٥/٢ .

٢ — الأغاني ١٥٠/٦ وزارة الثقافة والارشاد .



هناك يتغنى الفرسان مشيدين ببلاتهم وبطشهم ، وهناك يخناط هدبر الرجال بالرجز مع قرع السيوف .

ورجز العرب تعبير صادق لنفوسهم الأبية ، حتى في اخرج المواقف ، واشد الأزمات ، فنحن نجد رجراً لأحدهم صور فيه نشوة النصر الذي حاله فدعاه بأنف من قتل الرجال فيتركهم ويعمد الى الفرسان لكي يشفي نفسه بقتل الأبطال ، ففي يوم الكلاب الثاني نادى قيس بن عاصم عندما حملوا على أعدائهم : يا لتميم ، لانقتلوا الا فارساً ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عُصياً هواربا أقسمتُ لاطمنُ الراكبا  
اني وجدت الطمنَ فيهم صائبا (١)

أما أساليب الحرب التي كان يستعملها العرب فنجد في الرجز صورة من صورها ، وهي استعمال الأبل وحبسها ثم اطلاقها على الأعداء حتى تتركهم بين صريع تحت اقدامها وشارد من بأسها ، فقد استعملت بنو أسد في يوم شعب جبلة هذا السلاح فكان مساعداً لهم على النصر ، قال أحد بني أسد يسخر من بني عامر بعد أن اغارت عليهم ابلهم في هذا اليوم :

زعمتَ أن العيرَ لانتقالُ بلي ، اذا تقمعَ الرحائلُ  
واختلفَ الهنديُّ والذوابلُ وقالتِ الأبطالُ من ينازلُ  
بلي وفيها حسب ونازل (٢)

١ — العقد الفريد ٢٢٧/٥ .

٢ — الأغاني ١٤١/١١ وزارة الثقافة والأرشاد .

وكان الرجز أداة يصورن به بلاءهم في المعركة، اذ كانوا يظهرون  
شجاعة فائقة، ونفساً ابية، لا يشبهها جرح، ولا يمنعها ألم عن مواصلة  
القتال، يروى أن رجلاً من الأزد شد على حكيم وهو غافل فضربه على  
ساقه فقطع رجله، فاخذ حكيم رجله فضرب بها الأزدي فصرعه ثم جاء  
فقتله وانشأ يقول:

يا نفسُ لا تراعي      إن قطعتُ كراعي  
إنّ معي ذراعي (١)

وفي إحدى حروب علي رضي الله عنه حمل علي بنفسه وقاتل حتى  
انثنى سيفه، وخرج فارس أهل البصرة عمرو بن الاشراف لا يخرج اليه  
أحد من أصحاب علي الا قتله وهو يرتجز ويقول:

يا أمنا يا خير أمٍ نعلمُ      والأم تغذو ولدها وترحمُ  
الا ترينَ كم جوادٍ بكلم      وتختلي هامته والمعصم (٢)

وحينما يضرب الفارس بسيفه أو يطعن برمح أو يرمي بسهمه،  
يطلق معه مكنون قلبه الرجز ليستقر هذا في الجسم وذلك في القلب:  
خذها من ابن مالك      من فاعل كذلك (٣)

وكانت زفراته الرجزية تخرج وصفاً بارعاً لثباته واقدامه ومجاندته:

---

١ — الديارات — الشابثي ص ١٢٦ بغداد .

٢ — الاخبار الطوال — الدينوري ص ١٥٩ ليدن .

٣ — انساب الاشراف — البلاذري ٢٢٧/٥ .

أقد منيتم بأخي جلاذيس بفرار ولا حباديس

ثبت المقام مقعس الاعادي (١)

وكان لاينسى - وهو في مقامه ذاك - أن يصف بالرجز سلاحه  
ويثني عليه ، ويعطيه ابرز مظاهر القوة مقرناً ذلك بجرأة صاحبه وصلابته ،  
قال أحد المقاتلين وقد ابرز كناته واخذ سهمه :

ما عطني وأنا جلد عابيل (٢) والقوس من نبع لها بلابل

يرن فيها وتر عنابيل (٣) ألا اقاتلكم فأمي هابل

اكل يوم انا عنكم ناكل لا اطعن القوم ولا اقاتل

الموت حق والحياة باطل (٤)

وكانوا يتخذون الرجز لتحذير الخصم في اثناء القتال ، حتى أصبحت  
شبه عادة اتبعها كثير من خاصوا غمار الحروب ، وهم بهذا يشحذون عزائمهم ،  
ويرهبون خصومهم ، ويوقعون في قلوبهم الرعب والهلع ، قال عمرو بن  
العاص وقد خرج في خيل من أهل الشام وكان سعد بن قيس قد خرج  
له في مثل ذلك من من أهل العراق :

لأنأمننَّ بعدها أبا حسن طاحنة تدقكم دقَّ الطحن

أنا نمرُّ الحربَ امرارَ الرسن (٥)

١ — انساب الاشراف — البلاذري ٢٩٤/٥ .

٢ — العبل : الضخامة والقوة .

٣ — الوتر العنابيل : الغليظ .

٤ — المحاسن والمساوي — البيهقي ٢٦٣/٢ .

٥ — الاخبار الطوال — الدينوري ص ١٨٧ ليدن .



وقال أيضاً : (١)

شدا عليّ شكني لا تنكشف يوم "اهمدان" ويوم المصدف  
ولتميمٍ مثله أو تنحرف والربعيون لهم يوم عصف  
إذا مشيت مشية العود التطف أظعنهم بكل خطي ثقف

وعندما يقتل الواحد منهم خصمه يشعر بنشوة النصر والغلبة ،  
وكان دم القتييل خمرة تبعث في نفس القاتل هزة وطرباً فيروح شادياً  
مفتخراً ، مفصحاً عن اسمه ومشيداً بما فعله . والرجز أوفق ما يهبر عن  
هذه الافكار السريعة في لحظات خاطفة ، قال سلمة بن دربند بن الصمة  
حينما رمى ابا موسى الاشعري بسهم فقتله :

إن تسألوا عني فاني سلمة ابن سمادير لمن توسمه  
اضرب بالسيف رؤوس المسلمه (٢)

وحينما كانوا يرتجزون في حروبهم مشيدين بما تحلوا به من  
صفات القوة كانوا يتخذون النساء وسيلة للتعبير عن هذه الصفات ، ذلك  
لأن الانسان يرغب في ان تظهر كل صفاته الحسنة امام من يحب . وقد  
مر بنا في حصار عثمان رضي الله عنه كيف انهم اسندوا العلم بشجاعتها  
الى تلك الخود الحسان .

هذا الى ان ذكر المرأة في الحرب حافز قوى للاستبسال في القتال

١ — الاخبار الطوال — الدينوري / ١٨٧ ليدن .

٢ — الاغانى ٤/١٠ وزارة الثقافة . وسمادير : اسم أمه .

فهذا عكرمة بن ابي جهل يرتجز في حروب خالد مع الروم ويقول: (١)  
قد علمت بهكئة\* الجوارى اني على مكرمة احامي  
وسير الفارس امام الجيش وهو يرتجز بهم ، وكانما كان هذا  
بمنابة خطبة حماسية يؤلب فيها قومه على النيل من الاعداء . ففي الحرب  
التي خاضها الخوارج كان امامهم عظيم منهم يسمى ( عمرو القنا ) وكان  
من فرسانهم وهو يرتجز : (٢)

نحن صبحناكم غداة النحر بالخيل امثال الوشيع تسري  
بقدمها عمرو القنا في الفجر الى اناس لهجوا بالكفر  
اليوم اقضي في العدو نذري

وحينما كانوا يفخرون في تلك الساعة بكثرة عددهم وضخامة  
جيشهم كانوا يسخرون الرجز لبؤدي لهم هذا الغرض ، قال ادهم بن ابي  
الزعراء يفخر بجيشه : (٣)

قد صبحت معن بجمع ذي لجب قيساً وعبدانهم بالمنتهب  
وأسداً بغارة ذات حذب رجراجة لم تك مما يؤتشب  
الاصميما عربا الى عرب تبكي عواليهم اذا لم تختضب  
من ثغر اللبات يوما والحجب

---

١ — الاخبار الطوال — الدينوري / ٢٨٥ ليدن .

٢ — الاخبار الطوال — الدينوري ص ٢٨٥ ليدن .

٣ — شرح حماسة ابي تمام — التبريزي ٨٢/٢ و ٦١٣ .

ومن رجزهم الذي تغنوا فيه بقوة جيشهم وصلابته ، قول عبد  
الرحمن المعني : (١)

قد فارعت معن قراعا صلبا      قراع قوم يحسنون الضربا  
ترى مع الروع الغلام الشطبا      اذا احس وجعا او كربا  
دنا فما يزداد الا قربا      تمرس الجرباء لافت جربا

وكان رجز العرب تعبيرا صادقا لعاداتهم في القتال : اذ يصور لنا  
نظام الكر والفر الذي كان سائداً في ذلك الوقت ، ويقول لنا رجزهم  
ان تتابع الكر كان مدعاة لفخرهم واعتزازهم ، واظهارا لبطولتهم  
وبسالتهم ، قال ابو حفصة يوم الدار : (٢) .

لست على الزحام بالأصر      اني لوراد حياض الشر  
معاود للكر بعد الكر

وبعد الضرب والطمع ، وبعد لقاء الاقران واحتدام الفرسان  
تنطفيء جذوة المعركة وتخمد نارها ، فينصرف الناس الى دفن قتلاهم  
والعناية بجرحاهم ، ومع نهاية المعركة يستبين الفوز والخذلان ، فيكون  
احدهما نصيب قوم ، ويكون الآخر مع الاعداء ، وهنا يعالج الرجز  
غرضاً جديداً هو الفخر والاشادة بالبطولة والشجاعة ، والتغني ، بالنصر  
لمن كان حليفه النصر ، قالت امرأة من المسلمين يوم بدر .

غلبت خيل الله ، خيل اللات      والله أحق بالثبات

١ — شرح حماسة أبي تمام — التبريزي ٦٠٣/٢

٢ — الاغانى ٧٣/١٠ وزارة الثقافة والارشاد .



وقال رجل من بني عامر راجزاً بعد ان انتصروا في يوم شعب جبلة :  
لم ار يوماً مثل يوم جبلة يوم أتتنا أسد وحفظه  
وغطفان والملوك أزفله نضربهم بقضب منتخله  
لم تعد ان افرش عنها الصقله حتى حدوناهم حداء الزومله  
وجمل معقل بن عامر يرتجز ويقول :

نحن حماة الشعب يوم جبلة بكل غضب صارم ومعبله  
وهيكل نهدٍ معاً وهيكله (١)

ولما انتهت معركة احد بقرت هند بنت عتبة عن كبد حمزة فلاكتها فلم  
تستطيع أن تسيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرقة فصرخت باعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم يوم بدر والحربُ بعدَ الحربِ ذاتِ سعر  
ما كان من عتبةَ لي من صبر ولا اخي وعمه وبكري  
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدرى  
فشكر وحشي علي عمري حتى نرمَّ أعظمي في قبري  
فأجابتها هند بنت أناة بنت عباد بن عبد المطلب فقالت :  
خزيت في بدر وبعد بدر يابنت وقاع عظيم الكفر  
صبحك الله غداة الفجر بالهاشميين الطوال الزهر  
بكل قطاع حسام بغري حمزة ليثي وعلى صقري  
اذ رام شيب وابوك غدري فحضبا منه ضواحي النحر  
ونذرك السوء فشر نذر

وقالت هند بنت عتبة في ذلك اليوم ايضاً :

---

١ — الأغاني ١١/١٤١ وزارة الثقافة والارشاد .

شفت من حمزة نفسي بأحد حين بقرت بطنه عن الكبد  
أذهب عني ذلك ما كنت أجد من لوعة الحزن الشديد المتقد  
والحرب تملوكم بشوه بوب برد تقدم أقداما عليكم بالاسد (١)  
وعالج الرجز أيضاً غرضاً آخر هو الاعتذار عند من منى بالهزيمة  
ولم يحالفه النصر ، محاولاً تبرير هزيمته واختلاق الاعذار التي يظنها  
سبباً في الفشل ، قال حماس بن قيس يعتذر يوم فتح مكة وكان قد  
انهزم ودخل بيته فلامته امرأته فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمة اذ فر صفوان وفر عكرمه  
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة يقطعن كل ساعد وجمجمه  
ضرباً فلا يسمع الاغمغمه لهم نهيت خلفنا وهمهمه  
لم تنطقي باللوم ادنى كلمه (٢)

اما اسلحة الحرب في ذلك الوقت فكانت لا تتعدى السيف والرمح  
والقوس ، وقد استعملوا مؤخراً المجانيق في مهاجمة المدن وفتح اسوارها  
وفك الحصار المضروب عليها . وفي الرجز نجد ذكراً لبعض هذه الآلات  
ففي حصار عبيد الله بن الزبير الأول نصبوا على البيت المجانيق فدقوه  
بها واخذوا يرتجزون ويقولون :

خطارة مثل الفتيق المزبد نرمي بها عواذ هذا المسجد  
كما جعلوا يقولون :

١ — تاريخ الخميس — الديار البكري ٤٣٨/١ .

٢ — معجم ما استعجم — البكري ٥١٢/٢ .

كيف ترى صنيع أم فروة تأخذهم بين الصفا والمروة (١)

وكانت الحرب مجالاً فسيحاً لظهور الشجاعة والبطولة ، لهذا كان الجميع يتسابقون للأشتراك فيها ، طمعاً في احراز النصر وكسب الشهرة ، اما العاجزون فقد كان لديهم الرجز يطلقونه زفرات تحرق اكبادهم ، قال دريد بن الصمة حينما كبر ولم يستطع الدخول في المعركة :

يا ليتني فيها جذع أحب فيها وأضع

اقود وطفاء الزممع كأنها شاة صدع (٢)

ولكن هذا لا يعني انه لم يكن هناك جنام كانوا يتهربون من الاشتراك في القتال ، ولكنهم قلة لا نجد لهم ذكرا الا نادرا .

وفي الرجز نجد وصفا لأناس ملوا الحرب التي عركتهم عرك الرحى بشقالها ، فيتصورونها غولا تريد افتراسهم :

والحرب غول أو كسبه الغول ترف بالرايات والطبول

تقلب للاوتار والذحول حملاق عين ليس بالملكحول (٣)

فنتتهي الحرب وتمر الايام ، فيصبح النصر حديث المجالس ومفخرة القوم ، واهزوجة يتغنى بها المنتصرون ، ويمدح بها المادحون ، وتعود الهزيمة معرة نجر على اصحابها الخزي والذل ، ويجدها الاعداء ثغرة واسعة لهجائهم والنيل منهم ، وتسجل هذه الحرب في سجل ايام العرب فيتناقلها الرواة ، ويتحدث بها المتحدثون ، وتبقى درة متألقة في جبين

١ — انساب الاشراف — البلاذري ٤٨/٤ .

٢ — سيرة ابن هشام ٦٧/٤ حجازي .

٣ — الحيوان ١٩٦/٦ هارون .



المنتصرين ، يتحينون الفرصة ليسجلوا بالرجز صفحة ناصعة تشهد على قوتهم وبلايتهم .

نحن اللذون صبجوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا  
نحن قتلنا الملك الجحجحا دهرنا فهيجنا به انواحا  
لا كذبَ اليومَ ولا مزاحا مذحجَ فاجتحناهم اجتياحا  
فلم ندع لسارحِ مراحا الا ديارا أو دما مفاحا  
نحن بنو خويلد صراحا (١)

وكيف لا يفخر وقد جعل هامة الملك تندرج في الارض فراحت  
الناتحات يندبته وينحن عليه ويقمن المأتم . وكان الرجز يخلد بطولة  
الافراد فيتخذونه وسيلة الأستجداء وكسب المال ، قال رؤبة بمدح بلال  
ابن أبي بردة :

قد علم الموقدُ نارَ الحرب أنك وثابٌ مخوف الوئب  
تعتز اعنقَ الرقاب الرقب من القروم والاسود الغلب (٢)  
وهكذا نجد رجز العرب قد عالج الحرب وصور اساليبها وبين آثارها  
التي تبقى في نفوس القوم . وكان صالحاً لهذا كله ، اذ كان التوافق بين  
حركات هذا البحر وبين ما يدور في الحرب من جلبة واضطراب مساعد  
على ذلك :

وعلى هذا فإن الحرب موضوع مهم من الموضوعات التي برز فيها  
الرجز واستطاع أن يثبت قدره كبيرة على تصويرها .  
على اننا يجب أن لا ننسى أن بساطة الرجز وخفته وسهولته  
كانت عوامل مهمة لنجاح الرجز في تناوله لهذا الغرض .

١ — مجموع أشعار العرب — الور ١٧٢/ .

٢ — مجموع اشعار العرب — الورد ١٨/ .

## الفصل الثالث

### الرجز والحياة الاجتماعية

دار البحث في الفصلين السابقين حول رجز الطبيعة ورجز السياسة وفي هذا الفصل سأتناول بالبحث الرجز الذي ظهر نتيجة تأثير الحياة الاجتماعية في العرب . هذا الرجز الذي عالج تحت تأثير هذه الحياة فنوناً كثيرة كالمديح والرثاء والفخر والهجاء وما الى هذه الامور التي فرضتها حياتهم الاجتماعية التي كانوا يحيونها .

ففي المديح مثلا كانت هناك صفات معينة جعلوها مقاييس بمدحون من تحلى بها كالشجاعة والكرم والدين والعفة والصدق والامانة وما الى هذه الصفات ، اذ كانت هذه الصفات من مقومات الحياة الاجتماعية لدى العرب . وكذلك كانت هناك خصال معروفة مذمومة عدوها مثالا

هجوا من انصف بها . وقل مثل ذلك في باقي فنون الرجز التي تنأوت  
مخالف نواحي الحياة الاجتماعية ، حيث عالج الرجز هذه النواحي كما  
عالجها القصيد ، بغض النظر عن الأمور التي قصر فيها الرجز لعدم  
صلاحيته للاستعمال في مثل تلك الاغراض ، وذلك كالرثاء مثلاً .

ولكن الرجز - مع كل ذلك - وفي بحاجة العرب في مثل تلك  
الميادين وأسعفهم للتعبير عن أغراضهم ومشاعرهم في كثير من المواقف  
التي مرت بهم .

وستجد في الصفحات التالية من هذا الفصل بياناً للاغراض التي  
نشأت بتأثير الحياة الاجتماعية ، والتي استخدم فيها الرجز ، فإليك هذه  
الاجراض :-

#### أ - المديح

المديح هو مخاطبة الملوك والخلفاء والوزراء والاثرياء والوجهاء ،  
والثناء عليهم والباسهم أحسن الصفات وأجملها ، تحلفوا بها أم لم يتحلوا ،  
والشعراء يجدون في مدحهم هذا وسيلة تدر عليهم أموالاً ونعماً طائلة ،  
توفر لهم ولذويهم حياة رغيدة هائلة في ظلال من يمدحون ، ولهذا  
فأننا وجدنا الشعراء يتمرغون على أعتاب أرباب القصور من أنعم الله  
عليهم بملك ولطان وثروة يستجدونهم ويستعطفون عطاباهم ، وهم يبالبغون  
فيما ينعتون به بمدوحهم - صدقاً كان ذلك أم كذباً - طمعاً في الحصول  
على هبة أوفى وعطاء أجزل ، وقد كان الممدوح بهتز طرباً ويمتلى أريحية  
كلما أوغل المادح في المبالغة فأظهر الممدوح بمظهر عظيم حتى كأنه مزج  
بنفحة من الالوهية . وكانت يد الممدوح تنبسط أكثر فأكثر حينما يسمع  
هذا الاطراء وينعت بتلك النعوت الجميلة ويوصف بكل ما يبدل على الجود



والكرم والشجاعة والمجد والشرف ونحو ذلك من مقومات العز  
والسؤدد .

وكان الرجاز والمقصودون وما زالوا يتهاكفون على معاني المدح المعروفة  
وهي الكرم والشجاعة وشرف النسب وكرم المحتد والصلاح والعدل  
والحلم وسعة الادراك ، يطلونها بسحر القول وأشراق البيان ، وكل يوم  
يبرزونها بحلة جديدة وأشكال بديعة ويستعملونها بأساليب مبتكرة وبكلمات  
مخنارة ، وهي في حقيقتها لا تعدو هذه الصفات ، الا أنهم يلبسونها ثوباً  
جديداً غير ثوبها الاول .

وكان الكرم أكثر الصفات التي استخدمها الرجاز والمقصودون في  
مدحهم والتي جعلوها غاية ما بعدها غاية . وربما كان هذا موافقاً لما في  
نفوسهم من أغراض ، حيث كانوا يطمحون في الحصول على جزيل العطاء  
بوافر الشاء . فكانوا يلينون الاصابع اليابسة بما يصفون عليها من صفات  
البذل والكرم ، فيجملون الممدوح قد نبت أصله في الجود حتى بنى المجد  
عليه سرادقاً :-

ياحكم بن المنذر بن الجارود أنت الجواد ابن الجواد المحمود  
نبت في الجود وفي بيت الجود والعود قد ينبت في أصل العود  
سرادق المجد عليك بمدود (١)

١ - اختلف في نسبة هذه الايات ، ففي مجموع أشعار العرب / ١٧٢ ينسبها  
الورد الى رؤبة والبيهقي يذكر في المحاسن والمساوي ١٥٦/١ الشطر بن  
الاوليين دون أن ينسبها ، وأبن قتيبة ينسب الايات في الشعر والشعراء  
٥٧٥/٢ الى الكذاب الحرمازي مع نقص في عددها ، وانظر الاصابة ٣٥/٤  
والكامل - للمبرد ٥٩/٢ واللسان - مادة ( سردق ) .

ونسب المرء خير دليل على مجده وكرمه ، فالذي بنبت في بيوت  
المجد والذي يكون أباه وأجداده صالحين ينضحون بالندى ، أحر به أن  
يكون مثلهم كريماً ، وافر العرض ، مشرق الوجه ، أبي النفس .

قال أبو حزابة (١) بمدح عبد الله بن أمية حينما ولاه أبوه سجستان : (٢)

اني وان كنت كبيراً نازحاً يطرح الفتقُ بي المطارحاً  
لقى من العرام برحاً بارحاً لمادحٌ اني كفى بي مادحاً (٣)  
من لم اجد في العرض منه قادحاً ان لعبد الله وجهاً واضحاً  
ونسباً في الصالحين صالحاً النافحين بالندى المنافحاً  
وهذه الصفات هي التي تناولها يحيى بن محمد الانصاري في مدحه

اذ قال : (٤)

انت المنقى والمصفى في النسب وانت انقى الناس عرضاً من وكب  
ظننتكم مسكا وانتم من ذهب وانجم البطحاء في ماضي الحقب  
والغيث في قحط الزمان واللزب جيبت قريش لكم مرت القطب  
توسطا في العز منها والحسب

والمخبس بن أرطاة الأعرجي اول من مدح بني العباس في خلافتهم ،  
وقد سخر الرجز في هذا المدح ووصفهم بشدة البأس والندى فقال : (٥)

١ — هو الوليد بن حنيفة من شعراء الدولة الاموية ، وأبو حزابة — بالبلاء —

كنيته الصحيحة كما ورد في ج. وان الجاحظ ٢٥٥/١ هارون في وقد جاء

في انساب الاشراف ١٥٣/٤ المثنى أبو حزانة - بالنون - وهو تصحيف .

٢ — انساب الاشراف — البلاذري ١٥٣/٤ المثنى — بغداد .

٣ — العرام : الشدة .

٤ — معجم الشعراء — المرزباني / ٤٨٩ تحقبق عبد الستار فراج .

٥ — المصدر السابق / ٤٥٣ .

أهلاً وسهلاً بخيار الناس بهاشم أهل الندى والباس  
بدلت الوحشة بالابتناس وعلّي الفرع على الاسناس  
تداولوها يابني العباس تداول الاكف للامراس  
وكان قرى الضيف ورعايته والاهتمام به وايتاره بالطعام والحديث  
خصلة تستحق المدح والثناء ، وقد كثر ذكرها في القصيد والرجز ، حتى  
اصبحت من المعاني الشعرية المكررة ، قال الشماخ بن ضرار بمدح  
عبد الله بن جعفر بن ابي طالب : (١)

انك يا بن جعفر خير فتى وخيرهم لطارق اذا اتى  
وربّ نضوٍ طرقت الحيا سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى

ان الحديث جانب من القرى

وتصيب الناس أحيانا سنة مجذبة ، فيعم القحط وينتشر الجوع  
فينبزي أحد الكرماء ليطعم المحتاجين ويشبع الجائعين ويكفي المعوزين ،  
ثم ينبزي له احد الرجاز فبثني عليه ، فهذا بعض القرشيين بذكر قيس  
ابن معدى كرب ومقدمه مكة واطعامه الناس فيها : (٢)

قيس ابو الاشعت بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه : ابن من  
أشبع آل الله من بر عدن

وكثيرا ما حاول الرجاز ابراز صفة الكرم باجلى مظاهرها في  
مدوحهم ، فانخذوا من الغيث والبحر شبيها وندأ لهم .  
قال رؤبة بمدح مسلمة بن عبد الملك : (٣)

---

١ — البيان والتبيين — الجاحظ ٢٧/١ السندوي، وامالي المرتضى ١/٤٩٣ ط ١

٢ — البيان والتبيين ١/٣٥ .

٣ — مجموع اشعار العرب / ١٤٦ وارجيز العرب / ٨٣ .



مسلمة القائد وهو وسام كالبدر اجلى عن دحي الغمام

فنعيم غيث الوافد المعتام (١)

وهم يببالغون في اظهار ممدوحيههم باعلى صور الكرم ، وذلك بأن يجعلوهم غيثاً ينزل في سنة مجدية شهباء صماء ، فيكون هطواه اذ ذاك رحمة ما بعدها رحمة بالنسبة لأوثك الذين قاسوا مرارة الحرمان وألم الجوع ، قال رؤبة يمدح حرب بن الحكم العبدي : (٢)

قد علموا انك اذ عي البرم وألبس الارض الضباب والقتم (٣)

وسنة شهباء صماء الصمم منجدد الوابل وكاف الديم (٤)

واف اذا عاهدت مناع الحرم

وقال الكذاب الحرمازي يمدح المنذر بن الجارود في سنة

اصابتهم : (٥)

انت لها منذر من بين البشر داهية الدهر وصماء الغبر (٦)

ومن تشبيههم الممدوح بالبحر قول رؤبة في حرب بن الحكم : (٧)

---

١ — المعتام : المختار .

٢ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٢٠٤ ومجموع اشعار العرب / ١٣٦ .

٣ — عي البرم : عي بامر المتبرم ، والقتم : الغبار .

٤ — شهباء : من البرد وشدة الزمان والجذب ، صماء الصمم : شديدة ، الديم : المطر الذي بدوم يوماً وليلة .

٥ — اللسان مادة ( غير ) والمعاني الكبير ابن قتيبة / ٦٧١ .

٦ — داهية الغبر : داهية عظيمة لا يهتدى لمثلها .

٧ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٢٠٥ ومجموع اشعار العرب / ١٣٦ .

وانتَ بحر مدهُ بحر قذم (١)

وكذلك قول الكذاب الحرمازي في مهزم بن الفزر : (٢)

يحملنَ بالمومة بحرأ بجري العامرَ بنَ المهزم بن الفزر

وهم مع تشبيهم الممدوح بالغيث والبحر فانهم لا يكتفون بهذا

انما يجعلون عطاء الممدوح سبلا عارما لا يدانبه النيل وهو يفيض في

بطحائه . قال رؤبة يمدح ابا جعفر المنصور : (٣)

ما وجدَ العدادُ فيه جحجحا أعزَّ منه نجدةٌ واسمعا (٤)

ما النيل من مصر اذا تبطحا مفتدياً يستن أو تروحا (٥)

بمادل منه سجلا نفحا هنا وهنا وغيوثا سمحا (٦)

وديمأ بعد الغيوث نضحاً حتى تمج الارض نورا اصبحا

وكان بعضهم يفتح عما تجود به يد الممدوح مما تملك يده من

حيوان أو نقود أو جوارٍ ، وقصدهم من ذلك الاشارة الى ان الممدوح

يعطي اعز ما يملك ، قال الشبظم الغساني يمدح ملك الشام : (٧)

---

١ — القذم : المتقدم الماضي الذاهب ، يقال : انقذم فلان في أمر كذا وكذا اذا

اسرع اليه ومضى .

٢ — العقد الفريد ٣/٣٥٨ ط ٢ .

٣ — مجموع اشعار العرب / ٣٤ .

٤ — الجحجج : السيد .

٥ — تبطح : انبسط ، واستن : ذهب ، واستن الطريق : وضع .

٦ — هنا : اسم يشار به الى المكان البعيد .

٧ — امالي القالي ٣/١٨٠ بيروت .

ياصاحب الخيل الجياد المقربه وواهب المضمرة المربية (١)  
والكأب البهكنة المؤببة والمائة المدفأة المنتخبة  
ونادى ليبد النعمان من وراء القبة بقوله (٢)

أنام أم بسمع ربّ القبة يا أوهب الناس لعنس صلبه (٣)  
ذات هباب في يديها خديه ضرابة بالمشفر الأذبة (٤)  
في لاحب كاه الأطة (٥)

وننتقل من صفة الكرم التي لم يتركها راجز دون أن يذكرها في  
مدحه أو أن يتخذها مركباً ذلولاً للوصول الى غايته ، لنعرج على صفة  
الشجاعة التي كثيراً ما كانت تقترن بصفة الكرم والجود . قال أحد  
الرجاز : (٦)

اكرم نزارا واسقه المشعشعا فإن فيه خصلات اربعا  
حداً وجوداً وندىً واصبعا

وظني أن العربي كان يرغب رغبة شديدة في ان يمدح بالشجاعة  
أكثر من أي شيء آخر ، وحتى الجبناء كانوا يحاولون تغطية جبنهم ليظهروا  
بمظهر الشجعان ، اذ يلجأون الى سد هذا النقص بمدح غيرهم بالبطولة

١ — المربية : المنعم عليها أي المدللة .

٢ — شرح ديوان لبيد — الدكتور احسان عباس ص ٤٠٣ الكويت ، ونسبت  
هذه الايات الى النابغة في العقد الثمين ص ١٦٥ .

٣ — العنس : الناقة الشديدة الصلبة .

٤ — الخدبة : الطول ، والأذبة : جمع ذباب .

٥ — اللاحب : الطريق الواضح .

٦ — امالي المرتضى ٣١٨/١ الطبعة الأولى .



والشجاعة والشدة ، يروى أن حسان بن ثابت كان معروفاً بجبنه وحين  
مدح سعد بن زيد قال فيه : (١)

إذا أردتَّ السيد الأشداً من الرجال فعليك سعدا  
سعد بن زيد فأتخذه جنداً ليس بنحوار يهد هدداً  
ليس يرى من ضرب كبش بدأ

الا ترى أنه مدحه بشدة البأس ورباطة الجأش ، وأنه بأنف من  
أن يطعن غوغاء القوم ، فلا يخضب سيفه الا بدم السادة ، هذا في حين  
كان حسان يفتقد كل هذه الصفات .

وكانوا يشبهون الشجاع باللبث ، اذ أن اللبث اشجع الحيوانات ،  
واشدها فتكاً ، ولهذا فإن المدوح لا يقل بأساً وشدة من الأسد ، فهو  
إذا ما اشتد الأمر وصعب واشتبكت مسالكه ، رمى به ففرجه بصولاته ، قال  
رؤبة بمدح الحارث بن سليم : (٢)

وأنت لبثٌ المزعج الملائب ذو صولة ترمي بك المدالك (٣)  
وكثيراً ما يعنى الناس بهذا اللبث الشجاع ذى القوة والجلد ،  
فيذوقون منه أمر العذاب ، قال رؤبة بمدح محمد بن الأشعث  
الجزاعي : (٤)

وقد منوا منك بلبثٍ البث اعطى أبا سارة حمض المغلك (٥)

١ — ديوان حسان بن ثابت ص ٨٤ دار صادر — بيروت .

٢ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٢٠٠ ومجموع أشعار العرب ص ٢٩ .

٣ — دلكه : رمى به في الامر .

٤ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٢٥٢ ومجموع أشعار العرب ص ٢٨ .

٥ — الألبث : الشجاع ، يقال : هو البث اصحابه : أي اشدهم واجلدهم ،

الغلك والمغالك : الشديد القتال .

على أنهم يدعون أحياناً أن الميوت لانداني مدوحيهـم شعاعة  
 وبأساً، فهي نخشاهم وترهبهم فتكنم زئيرها لئلا تكون فريسة لهم :  
 والأسد نخشى وقعه جواحرا خرساً فما تسمع منها زائراً (١)  
 وإذا كانوا قد اتخذوا من الحيوانات الأسد وشبهوا به الشجعان ،  
 فأنهم اتخذوا من الجماد السيف وشبهوا به مدوحيهـم في الحدة والمضاء ،  
 فالممدوح سيف لايهتز في وجوه الرعايد والجبناء من ضعاف القلوب ،  
 أو في وجوه من افتدتهم هواء ، إنما يهتز في وجوه الأشداء الاقوياء  
 المنمرسين بركوب الصعاب وتحمم الاهوال ، وهكذا فالممدوح سيف لامثيل  
 له يقطع في أول ضربة :

أن أبا القاسم كالسيف الفرند ذو بداهات لم تخلد في خلد  
 اغر ميمون به الملك اعتضد (٢)

وكان بعض الرجاز يستقبل الممدوح المنتصر في الحرب برجز بشيد  
 فيه بالبطولات التي ابداهها في سوح القتال متغنياً بالنصر فرحاً به ، قال  
 أبو نخيلة : لما انصرف مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب تلقينه  
 فلما عاينته صحت فيه :

مسلم يا مسلمة الحروب أنت المصفي من اذى العيوب  
 مصاصة من كرم وطيب لولا ثقاف ليس بالتدبيب  
 نقري به من حجب القلوب لأمت الأمة شاء الذيب  
 فضحك وضمني اليه واجزل صاتي . (٣)

١ — مجموع أشعار العرب ص ٥٤ .

٢ — يتيمة الدهر — الشعالي ٤٠٠/٢ الطبعة الثانية .

٣ — الاغانى ١٨/١٤٠ ساسي و ٢٠/٣٦٤ بيروت ،

وأصبح الدين جانباً من الجوانب التي تناولها الرجز بالمدح  
والنشمين ، فكانوا يثنون على مدوحهم بالصلاح والتقوى ، وبالتزامهم  
بأوامر الدين والعمل بالكتاب والسنة ، قال رؤبة بمدح أبا مسلم  
الخراساني: (١)

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً      وشدت ركن الدين اذ بنيتا  
في الأكرمين من قریش بيتا

وكان للاضطراب السائد بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه  
وما تبع ذلك من أحداث ، أثر بين في نفوس الناس حيث اخذوا يندشون  
الأمن والاستقرار ويطلبون العدل والمساواة ، فكانت تتردد على السنتهم  
هذه الكلمات في كل مناسبة يجدونها سانحة لذلك . قال رؤبة بمدح  
سليمان بن علي الهاشمي ويشيد بعدله الذي لولاه لما وجد الناس للعدل  
مكاناً: (٢)

والعدل يكفيك الضلال اعدله      حتى استوت اعداله ومحملة  
تالله لولا أنت طال ميله      أو شق عن يرض الجمال حمله  
وحينما يسير الخليفة على الحق والعدل ، ينبسط ظل الخير والرفاهية  
في أرجاء البلاد ، وتعم الناس طمأنينة تكون حافزاً للعمل والجد ، قال  
رؤبة بمدح السفاح: (٣)

سارَ بعدلٍ وبه نكلمه      خليفة الله وتمت نعمه  
فألبست نجداً وغار متهمه      ووصلت في الأقر بين حرمه

١ — الأغاني ١٢٢/١٨ و ٥٨/٢١ ساسي و ٣١٦/٢٠ بيروت .

٢ — مجموع أشعار العرب ص ١٣٤ .

٣ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٣٠١ و مجموع أشعار العرب ص ١٥١ .



وتناول الرجاز في مدحهم الناحية الاخلاقية ، اذ وجدوا في حلم المرء وحسن اخلاقه وامانه ، صفات تستحق أن يشاد بها ، وان تجلب حمداً ورضى لمن تحلى بها، من ذلك ما وصف به أحد الرجاز شخصاً بقوله: (١)  
 لم أفض من صحبة زيد أربي فتى إذا أغضبتني لم يغضب  
 موكل النفس بحفظ الغيب أقصى الفریقين له كالأقرب  
 وكان بعض الرجاز ذوي نفوس ضعيفة فكانوا بمدحون لأنفسهم  
 الأسباب التي تعود عليهم بنفع يسير جداً ، فقد اشتهر أبو نخيلة بنفسه  
 الوضعية ، اذ كان يرضيه القليل ويسخطه حتى عرف ذلك عنه واشتهر به  
 يحدثنا الأصبهاني (٢) أنه مدح سائس الربيع وقرنه به لأنه كان يتفقد  
 فرسه فقال فيه :

لولا أبو الفضل ولولا فضله ما استطيع باب لايسنى فقله  
 ومن صلاح راشد اصطلبه نعم الفتى وخير فعل فعله  
 يسمن منه طرفه وبغله

حتى أن الربيع لأمه في ذلك وعاتبه .  
 ويروى عن أبي نخيلة أنه نزل بسليمان بن صمصمة فأمر غلامه  
 بتمهده ، وكان يغاديه ويرأوجه في كل يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة  
 بمدح خباز سليمان : (٣)

بارك ربي فيك من خباز ما زلت مذكت على أوفاز (٤)  
 تنصب باللحم انصباب الباز

١ — امالي المرتضى ٢/٢٩٢ ط ١ .

٢ — الأغاني ١٨/١٦٤ ساسي و ٢٠/٣٧٣ بيروت .

٣ — الأغاني ١٨/١٤٤ ساسي و ٢٠/٣٧٤ بيروت .

٤ — الاوفاز : المرتفعات .

وقد بالغ في ذلك حتى أن مدحه قد شمل الفائزين على شؤون  
أرضه . (١)

على أننا نجد في رجز بعض الرجاز تناقضاً ظاهراً يفصح عن  
نفس ضعيفة لا يحدوها إيمان ، ولا يدفعها يقين ، فهم يهجون ثم  
يمدحون من هجوا لا شيء إلا لنيل مطمع يسير حقير .

ولنا في حكاية أبي نخيلة مع شبيب بن شبه ما يؤيد قولنا هذا  
ويدعمه ذلك أنه رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله أياها ، فوعده  
ومطله فقال فيه :-

يا قوم لا تسودوا شيبيا      الخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذبية إلا الذيبا

فبلغ ذلك شيبياً فبعث إليه بها ، فقال أبو نخيلة :-

إذا غدت سعد على شيبيا      على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها      عجبت من كثرتها وطيبها (٢)

وهكذا كان ينزل بنفسه الى الخضيض طمعاً فيما لا يعني .

والذي يبدو في رجز الرجاز أنهم كالمقصدین بكيلون المدح جزافاً ،  
اذ لم يكونوا بمتدحون عن صدق وإيمان ، ولا عن يقين بأن هذا  
المدوح يتحلى بما أضفوا عليه من صفات ، إنما كانوا متيقنين وواقفين  
من أنهم سينالون منحة كبيرة وعطاء جزيلاً لقاء بيعهم تلك الصفات  
المزورة ، والادلة على ذلك كثيرة تكاد نجدها أينما تنقلت في شعر العرب .  
فالمسألة ما دامت تلتفياً أكثر مما هي حقيقة ، وما دامت تدر مالا

١ — الاغانى ١٤٤/١٨ أساسى و ٣٧٤/٢٠ بيروت .

٢ — الاغانى ١٣٩/١٨ ساسى و ٣٦٢/٢٠ بيروت .

كثيراً فلم لا يكيل المادح صفات العظمة والقوة والجلود دون حساب .  
وأى شيء يمنعه من ذلك وعنان الكلام طوع أمره وملك يديه ، ثم  
ماذا يضيره اذا جعل الممدوح بحراً لا يفيض ماؤه ، ومن ذا الذي  
يلومه اذا جعل الممدوح غيثاً يحيى الناس بتدفقه وهطوله :-

وجود مروان اذا تدفقا      جود كجود الغيث اذا تبعقا (١)  
وإذا قال بعض النقاد : أن أعذب الشعر أكذبه ، فإنا نقول هنا  
وقياساً على ذلك ، أن أجدى الشعر للمادح أكذبه ، وأن أحسن الشعر  
وأجوده بالنسبة للممدوح أكذبه أيضاً .

ففي باب القصيد نجد مدائح المتنبي الكافورية ومدائح البحري  
وغيرهما نموذجاً حياً لما قلناه ، وفي باب الرجز نجد نماذج أخرى  
لهؤلاء أمثال رؤبة وأبي نخيلة وغيرهما وستجد فيما سأذكره لك من  
رجز أدلة ناطقة تثبت ما ذكرت . استمع أولاً الى ارجوزة بشار التي  
مدح بها عقبة بن سلم والتي يقول فيها :- (٢)

باطلل الحى بذات الصمد      بالله خير كيف كنت بعدي  
أوحشت من دعدٍ وترب دعد      سقياً لاسماء ابنة الأشد  
قامت تراهى اذ رأني وحدي      كالشمس تحت الزبرج المنقد  
وبعد ان بصفها ويذكر وصلها واخلاقها يقول في مدح عقبة :  
إسلم وحييت ابا الملد (٣)      مفتاح باب الحدث المنسد

---

١ - تبعق المطر : اذا فاجأ بوابل . مجموع اشعار العرب ١٤٤ من ارجوزة  
لرؤبة في مدح مروان بن محمد ،

٢ - ديوان بشار ٢١٨/٢ القاهرة والاغاني ١٧٤/٣ وزارة الثقافة . والبيان  
والنبيين ٦٦/١ السندوبي .

٣ - ابو الملد : هو عقبة بن سلم .



مشترك النيل وري الزند أغر لباس ثياب الحمى  
 ما كان منى لك غير الود ثم ثناء مثل ربح الورد  
 نسجته في محكمات الند فالبس طرازي غير مسترد  
 وبستمر بمدحه حتى آخر الارجوزة ، فلما اتم انشادها طرب  
 عقبة لها ووعد بشارا بصلته ، فلما كان اليوم التالي ولم تصل بشارا هبة  
 الامير ، استثقل بشار ذلك ولم يستطع الاحتمال والصبر فكتب اليه  
 قائلا : (١)

ما زال ما منيتني من همي والوعد غم فارح من غمي  
 إن لم ترد حمدي فراقب ذمي

أنراه بعد هذا انه مدح عن يقين وايمان ، ام ان الطمع كان  
 دافعا له على ذلك ومحركا لمشاعره ؟ !

وهكذا كان الرجاز متاجرين في مدحهم ولم يكونوا صادقين ، وهم  
 في هذا والمقصودون سواء . ثم اننا نجد هؤلاء الرجاز بمدحون ملوكا أو  
 خلفاء أو امراء ثم اذا ما انهار حكمهم ودال الزمان بهم ، وأصبحت  
 مقاليد الحكم بيد اعدائهم ، سارعوا للمثول بين يدي المنتصرين مادحين  
 مثال ذلك ما حدث لابي نخيلة الراجز الذي كان مصطنعا لمسلمة بن  
 عبد الملك ومداحا لبني مروان ، فلما افضت الخلافة الى بني العباس دخل  
 على السفاح فوقف بين يديه وسلم عليه ودعا له ، ثم استأذن بالانشاد  
 فقال له السفاح : لا حاجة لنا في شعرك انما نشدنا فضلات بني مروان  
 فاعتذر اليه بأبيات من الرجز قال له فيها : ان مديحي اغيرك كان زورا  
 وبهتاننا ، وانني لم اصدق الا في مدح بني العباس (٢) . فعفا عنه واصطنعه

١ — العقد الفريد ١/٢٤٧ ط ٢ .

٢ — الاغانى ١٤٣/١٨ ساسي و ٢٧٠/٢٠ بيروت .

والله يعلم ان كلامه كان زورا في بني مروان وفي بني العباس معا .  
فاستمع الى شيء من قوله الزور في هشام بن عبد الملك حيث جملة رب  
معد وغير معد وهو الماجد الشريف ذو الوجه المنير المبشر بالخير والسعادة  
وهو البطل الهمام الذي لا يدانيه بطل : (١)

الى امير المؤمنين المجدي رب معد وسوى معد  
من دعا من اصيد ونجد ذي المجد والتشريف بعد المجد  
في وجهه بدر بدا بالسعد انت الهمام القرم عقد المجد (٢)  
طوفتها مجتمع الاشد فانهل لما قمت صوب الرعد  
هذا حينما كان أبو نخيلة فقيراً معدماً ، فلما اصطنعه مسالمة  
اجزل له العطايا حتى اغناه (٣) .

ومن امثلة ذلك أيضاً رؤبة بن المعجاج الذي كان تاجراً يبيع  
مدبحة لكل طالب . فقد كان هو وابوه في اول امرهما مقربين لدى بني  
مروان ومقدمين على غيرهما من الشعراء في الانشاد ، فلما انهارت دولتهم  
واستولى بنو العباس على زمام الحكم اجاب رؤبة أبا مسلم الخراساني  
حين دعاه : (٤)

قلتُ ونسجي مستجدٌ حوكا لبيك اذ دعوتني لبيكا  
احمدُ رباً ساقني اليكا

ولكننا يجب أن لاتتخذ أبا نخيلة ورؤبة مثالين نقبس عليهما باقي

١ — الاغاني ١٤٢/٨ ساسي و ٣٦٦/٢٠ بيروت .

٢ — القرم : العظيم أو السيد .

٣ — الاغاني ١٤٠/١٨ ساسي و ٣٦١/٢٠ بيروت .

٤ — الاغاني ١٢٢/١٨ و ٥٨/٢١ ساسي و ٣١١/٢٠ بيروت .

الشعراء ، إنما هما نموذجان لأولئك الشعراء المتأجرين ضعيفي النفوس ،  
الذين يستهويهم بريق المال فيركضون وراءه .

على أننا نجد نقيض ذلك عند نفر يسير من الشعراء ، من ذلك  
مثلاً ما يروى من أن الفرزدق هجا عمر بن هبيرة والي العراق فحبسه  
ثم أطلقه . فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق ، فقال ابن هبيرة :  
ما رأيت أكرم منه هجاني أميراً ومدحني أسيراً . (١) ومثل ذلك ما قيل  
من أن خولة (٢) بن يزيد الأصبحي وهو من حمير أجهز على الحسين  
رضي الله عنه وحز رأسه وأتى به عبيد الله وهو يقول : (٣)

أوقر ركابي فضة وذهبا أنا قتلت الملك المحجبا  
خير عباد الله أمأ وأبا (٤)

وخولة هذا وإن كان عدواً للحسين ، لكنه اعترف بمكاته ومنزله  
وشرف نسبه وأرومته ، والفضل ما شهدت به الأعداء .  
على أننا يجب أن لا ننسى أن القصد من هذا المدح هو أن يضاعف  
له الهبة مقابل هذا الفعل العظيم الذي ارتكبه .  
ولما كانت الرغبة في الحصول على الهبات هي الدافع الأول لهؤلاء .

---

١ — الأغاني ١٤٢/١٨ ساسي و ٣٦٦/٢٠ بيروت .

٢ — هذه رواية العقد الفريد ، وفي الطبري ٣٤٨/٤ الاستقامة (خولي) .

٣ — العقد الفريد ٣٨٠/٤ لجنة التأليف والترجمة .

٤ — روى الطبري ٣٤٧/٤ هذا الرجز لسنان بن انس حينما وقف على باب

عمر بن سعد بعد قتله للحسين (ع) ثم انه لم يرو البيت الثالث بهذا  
الشكل إنما قال :

قتلت خير الناس أمأ وأبا وخيرهم اذ ينسبون نسباً



الشعراء في مدحهم ، فقد راحوا يحبرون قصائد طويلة وكثيرة في هذا الغرض ، حتى وجدنا أكثر دواوين الرجاز - وهم في ذلك كالمقصدین - قد شحنت بالمدح شحناً ، ويكفي في ذلك ان تعلم أن ديوان رؤبة في مجموع أشعار العرب قد حوى خمساً وأربعين أرجوزة في المدح من مجموع سبع وخمسين أرجوزة وهذا يدلنا على أن هؤلاء الرجاز كان غرضهم الأول النفع المادي ( إلا أن المدح الحقيقي في أراجيز رؤبة قصير جداً مشتمل على أبيات قليلة ، لأن باقي الأرجوزة جار مجرى كل القصائد القديمة ، دائر على ذكر الدمن ومخاوف السفر والنسب ووصف البراري والسراب والمناهل والقوس والسهام والصيد والناقة وهلم جرا ، فضلاً عن الحماسة والافتخار بقومه وبنفسه ) (١) .

ومثل رؤبة في هذا النهج أحد الرجاز ، إذ انى نصر بن سيار والي خراسان لبني أمية فمدحه بقصيدة تشبيها مائة بيت ومديحها عشرة أبيات .

فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مدحني بتشبيك ، فإن اردت مدحني فاقتصد في النسب . (٢)

أما افتتاح أراجيز المدح فقد ساروا فيها على سنن المقصدین ، إذ كانوا يفتتحون أراجيزهم بالنسب وذكر الحبيب ، وما تفعله فيهم الذكرى إذ تثير همومهم وتهيج احزانهم ، وهم في هذا لا ينفكون عن وصف أحببتهم واطراء حسنهم وجمالهم ، ثم يتطرقون الى ذكر الرحيل ، فيشكون النصب والسهرة ، وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة والبعيرة فاذا

١ - تاريخ لآداب العربية - نلينو / ١٧٣ .

٢ - الشعر والشعراء ٢١/١ بيروت .

علم أنه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الاشياء ، وصغر في قدره الجزيل فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدل بين هذه الاقسام ، فلم يجعل واحدا منها اغلب على الشعر ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالثغوس ظماً الى المزيد (١) .

وهكذا كان الرجاز والمقصدون يسلكون سبيلاً واحداً في بنائهم لاراجيزهم وقصائدهم ، كما انهم تناولوا في مدحهم معاني واحدة معروفة مبتذلة ، وعليه فان الرجز وقف على قدم المساواة مع القصيد في تناوله لفن المديح .

## ٢ — الرثاء

الرثاء فن كالمديح . أو قل أنه مديح الأموات ، في حين أن ذاك مديح للأحياء ، فالشاعر حينما يرثي شخصاً ما ، انما يعدد خصاله ، ويسجل مناقبه ، ويظهر أثر فقدته في الناس . (٢)

وعاطفة الرثاء تكون شديدة قوية ، غزيرة مؤثرة ، اذا كان المفقود عزيزاً على الشاعر ، وتكون فاترة باردة . ان لم يمت اليه بصلة ، ويكون رثاؤه له طمعاً في مال ، أو تقرباً من أهله .

وعلى العموم فان الرثاء لا يدر مالا ولا يجلب نفعاً كالمديح ، ولهذا فاننا لم نجد في ديوان العجاج ورؤية أرجوزة واحدة في الرثاء ، بينما

١ — الشعر والشعراء ٣١/١ بيروت .

٢ — الشعر والشعراء ٢١/١ بيروت .

كان معظمهما في المديح .

أن العرب لم يتطرقوا في رجزهم الى الرثاء الا نادراً ، وربما نستطيع ان نعمل ذلك بان بحر الرجز في حركاته الحماسية المتعاقبة مع السكبات والمنفقة مع الحركة والاضطراب لا يلائم حالات الهدوء والسكون والرهبة والجزع التي تخيم على الشاعر حين وفاة المرثي .

على اننا لانعدم وجود مقطعات رجزية رثى بها الشعراء أهلهم وأقاربهم واصدقاهم تطرقوا فيها - كما فعل المقصدون - الى ذكر صفات الفقيده وما كان يتحلى به من بأس وجرأة ، وما كان يولي به أصحابه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال ، ثم هو بعد ذلك غيث للمحتاجين ، وعصمة لهم من جذب السنين ، قال ليبي يرثي عمه أبا براء ملاعب الأسنه : (١)

قوما تجوبان مع الأنواح	في مأثم مهجر الرواح
بخمشن حرّ أوجه صحاح	في السلب السود وفي الامساح (٢)
وأبنا ملاعب الرماح	أبا براء مدره الشباح (٣)
يا عامراً يا عامر الصباح	ومدره الكتيبة الرداح
وفتية كانرسل القماح	باكرتهم بحال وراح (٤)
وزعفران كدم الأذباح	وقبنة ومزهري صداح
لو أن حياً مدرك الفلاح	ادركه ملاعب الرماح .. الخ

١ - شرح ديوان ليبي - احسان عباس / ٣٣٢ الكويت .

٢ - السلب : الثياب السود ، الامساح : ثياب من شعر .

٣ - مدره القوم : الذي يدافع عنهم ، والشباح : مصدر شايح : وهو الجند والحذر ، أو القتال .

٤ - الرسل : القطعة من الابل ، القماح : الابل التي ترفع رؤوسها .



ونادراً ما تجد اللوعة الشديدة والحزن الممض الذي يحرق القلب ويفتت الكبد في الرجز ، ذلك لأنه - كما قلت آنفاً - غير صالح لتناول مثل هذا الفن . فبشار حينما ماتت بنته - وهي اعز الناس لديه وأكثرهم علوقاً بشغاف قلبه - رثاها بالرجز ، فلم تظهر في رثائه لها قوة العاطفة ولا حرارة الشعور ، قال أبو عمرو بن العلاء : رأيت بشاراً يرثي بنية له وهو يقول : (١)

يا بنتَ من لم بكُ بهوى بنتا ما كنتِ الا خمسةً أو سنا  
حتى حلتِ في الحشى وحتى فتتِ قلبي من جوى فانفتا  
لانتِ خيرٌ من غلامِ بنا يصبحُ سكران ويمسي بهتا (٢)  
والكنك - مع هذا - غير واجد مثل هذه المقطوعة الرجزية في اظهارها للألم والحزن وحرقة القلب .

وحينما رثى أبو نواس خلفاً الأحمر ، رثاه بالرجز ، فجاء رثاؤه بارداً وخالياً من المشاعر الجياشة والعواطف المشبوبة ، حيث انه تكلم كلاماً منطقياً يعتمد على العقل اكثر من اعتماده على العاطفة ، يقول : ان كل انسان تتلقفه المنون ، ولو استطاع احد ان يهرب منها ويسلم ، لسلمت العقاب التي ارتفعت الى اعالي الجبال ، ولغانت الموت تلك الوعول التي اتخذت من الاماكن المرتفعة مسكناً . وبعد ذلك شبهة ببشر غزيرة واسعة كثيرة الماء في علمه وسعة اطلاعه ، ونحن لا نجد في كل هذا أثراً لحزن أو صدى للوعة ، اسمعه يقول : (٣)

١ - الأغاني ٢٢٩/٣ وزارة الثقافة والارشاد .

٢ - بت : انقطع عن العمل ، البهت : الدهش والتعجب أو التعب .

٣ - الحيوان ٤٩٢/٣ والشعر والشعراء ٦٧٣/٢ مع نقص في الأبيات .

او كان حي وائلاً من الناف اوأت شغواءُ في اعلى الشعف (١)  
 ام فربخ احرزته في لجف مزغب الالغاد لم يأكل بكف (٢)  
 هاتيك أم عصماءُ في اعلى الشرف تظل في الطباق والنزع الالف (٣)  
 اودى جماعُ العلم مذ اودى خلف قلبنم من العيالم الحسف (٤)  
 من لا بعد العلم الا ما عرف كنا متى نشاء منه نفسترف  
 راوية لا تجتنى منه الصحف

اما من يموت قتلا ، فكان رثاؤهم له بذكر موافقه البطولية التي  
 شهدت له بشدة البأس وقوة الشكيمة ، حتى ان الأبطال خروا صرعى  
 من أثر ضربته أو طعنته ، قال القحيف برثي يزيد بن الطثيرة : (٥)  
 يا عينُ بكى هملا على حمل على يزيد ويزيد بن حمل  
 قتال ابطال وجرار نخل

وهم في رثائهم هذا ربما ذكروا القاتلين بما فعلوه فيهم من قتل  
 واذلال ، حتى أصبحت المجازر تشهد على عظم الواقعة التي أصابتهم ، من

١ — الشعواء : العقاب ، الشعف : جمع شعفة — بالتحريك — وهي رأس الجبل  
 ٢ — يقول : لها فربخ حفظته في صخرة مشرفة على غار .  
 ٣ — العصماء من الوعول : ما في ذراعيها أو احدهما بياض وسائرهما اسود أو  
 أحمر ، الشرف : المكان المرتفع : الطباق : الشجر ، النزع : نبت ،  
 الالف : المتلف .

٤ — القلبنم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء ، العيالم : جمع عيلم وهي البئر  
 الواسعة الكثيرة الماء ، الحسف ، جمع خسيفة وهي البئر حفرت في حجارة  
 فنبتت بماء غزير لا ينقطع .

٥ — الأغاني ١٨٢/٨ وزارة الثقافة والارشاد .

ذلك ما قاله القحيف هذا في رثاء يزيد أيضاً : (١)

ان تقتلوا منا شهيداً صابراً فقد تركنا منكم مجازراً  
عشرين لما بدخلوا المقابرا قتلى اصيب قصماً نحثراً  
نعجاً ترى ارجلها شواغرا

على اننا وجدنا دويد بن زيد بن نهد قد فعل مثل ما فعل مالك  
ابن الريب فيما بعد ، فرثى نفسه وهو في مرض موته ، متأسفاً على فقد  
عمره وانقضاء حياته ، متذكراً ايام حداثته وصباه حينما كان يغزو  
فيصيب من المال أحسنه ، ويصبو فينال من النساء اجملهن قبل في هذا  
الرثاء : (٢)

اليوم بيني لدويد بيته لو كان للمهر بلي ابلينه  
أو كان قرني واحداً كفيته يارب نهب صالح حوبته  
ورب غيل حسن لوبته ومعصم مخضب ثنيتيه  
وهكذا لم يقدر للرجز ان يخوض ميدان الرثاء الا لماماً ، ذلك  
لعدم ملامته لطبيعة الحزن التي تقتضي هدوء ووقاراً لا يتفقان مع  
حركات بحر الرجز السريعة المضطربة .

### ٣ — الفخر

والفخر فن عالج به الرجز وتطرق اليه ، اذ اننا نجد في رجـز  
الرجاز وفي رجز غيرهم من الشعراء فخراً تناولوا فيه وصف انفسهم  
بالعظمة والشرف والمجد والفخر بقبائلهم التي جماعوا لها المحل الالهي

١ — الأغاني ١٨٢/٨ وزارة الثقافة والارشاد .

٢ — الشعر والشعراء ٤٨/١ بيروت .



والمكان الأرفع في الجود والشجاعة والنجدة ، وإذا كان المدح يتناول شخصاً غير الشاعر فإن الفخر يتناول مدح الشاعر نفسه وقومه بكل الصفات التي يتداولها باب المديح . وهذه الصفات التي استعملها الرجاز في فخرهم هي ذات الصفات التي كان المقصدون يفخرون بها وهي لا تخرج عن وصف النفس والقوم بقوة الشكيمة وشدة البأس ، والبلاء في الحرب والثبات فيها والاصطلاء بنارها وعدم الهرب والفرار من هواها ولو كلفهم ذلك انفسهم :

نحنُ بني ضبة لا نفر حتى نرى جماجماً نخر (١)

وافنخر الرجاز بأنهم اذاقوا العدو بأساً شديداً اعاد للمتكبرين منهم صوابهم واذهب عنهم صعر الاعناق ، قال ابو نخيلة مفتخراً بقومه بني تميم : (٢)

نحن ضربنا الأزد بالعراق والحبي من ربيعة المراق

ضرباً بقيم صعر الأعناق بغير اطماع ولا ارزاق (٣)

الا بقايا كرم الأعراق

وكان الراجز يدافع برجزه عن قبيلته ويفخر بها كما كان يفعل المقصد بشعره تماماً ، فهذا رؤبة يقول مفتخراً باجداده وقبيلته ويصفهم بالكرم في حالتي الغنى والفقر وهم اضافة الى ذلك ابطال تشهد بشجاعتهم الحروب . قال : (٤)

١ — امالي المرتضى ٥٧/١ ط ١ ، يريد : لا نفر وان خرت جماجمنا ، أي لا نفر اصلاً .

٢ — طبقات الشعراء ، ابن المعتز / ٢٢ عباس اقبال .

٣ — الصعر : مبل في العنق وانقلاب في الوجه الى احد الشقين ، ويكون ذلك

غالباً من الكبر . ٤ — مجدوع اشعار العرب / ١٤١ .

لأثنين صادقاً بعلمي      بفعل قومي في الغني والعدم  
وهم اذا زاحم يوم الزحم      وصدع الصدم جبال الصدم  
في جاهليات مضت أو سلم      كعب بن سعد من ورائي ترمي  
في باذخ العز عراض فعمم      ومنكب الحارث وابنا رهم (١)

وهم في افتخارهم هذا ربما شبهوا أنفسهم بمصادر القوة والشجاعة  
والاقدام كالسيف واللبث مثلاً . قال عيسى بن موسى : لما وجهني المنصور  
الى المدينة لمحاربة ابني عبد الله بن الحسن وجعل يوصيني ويكثر قلت :  
يا أمير المؤمنين : الى متى توصيني :

اني انا ذاك الحسام الهندي      اكلتُ جفني وفريت غمدي  
فكل ما تطاب عندي عندي (٢)

وكانوا يفخرون بشباتهم في الحروب وظهارهم شجاعة تفوق شجاعة  
اللبث ، قال رؤبة : (٣)

فقد أقومُ بالمقام الثبتِ      اشجع من ذي لبد بنجت (٤)  
وهم مع كل هذه الأحوال التي يلاقونها لا يجزعون من الحرب  
ولا يملونها ، ولا تلين قناتهم امام قوة عدوهم ، قال رؤبة : (٥)

- 
- ١ — الباذخ : العالي ، الفعمم : الممتلىء .
  - ٢ — العقد الفريد ١/١٣٤ و ٥/٨٧ .
  - ٣ — مجموع اشعار العرب ٢٤/ وشرح ديوان رؤبة — مخطوط / ١٠٩ .
  - ٤ — الخبت : ما اطمان واتسع من الأرض .
  - ٥ — مجموع اشعار العرب ٩١/ وشرح ديوان رؤبة — مخطوط / ١٨٧ .

أنا إذا امر العدا نثرعاً واجمعت بالشر أن تافعا (١)  
 حرب تضم الخاذلين الشسما كالنار لا تشبع حتى تشبعا (٢)  
 ان عض شر لم نجدنا الاجزعا قد غلبت مراتنا ان تجرعا (٣)  
 ورؤية هذا يفخر كثيراً ببلاء قومه في المعارك وخوضهم غمار  
 الحروب وما يفعلونه في اعدائهم من ضرب وطعن حتى يتركوا منهم مجازر  
 لكثرة ما اوقعوا فيهم من قتل :

انا اذا الحرب خبت حوام واقتربت بعد ان ائني الاعتام (٤)  
 كرهاً فلاس السم والبرسام ولبست كل كمي كالم (٥)  
 درعاً وحكت مدلك اللغام وحمى شفيناها من الوحام (٦)  
 نحن تركنا الاسد في الحطام اجزاراً كل اسد ضرغام (٧)  
 والشيء الآخر الذي افتخر به الرجزاء كثيراً ، هو النسب الذي  
 عدوه اساساً لكل مفخرة حتى انهم حينما يريدون التعرف على شخص ما

١ — نترع : سرع وتمجل واجمعت هذه الحرب ان تلتفح بالشر فتتخذة لحافا .  
 ٢ — الخاذلون الذين يخافون الحرب فيخذلون ويتخلفون عنها وهي تضمهم حتى  
 تدخلهم في شرها ، والشسع : الابعاد ، يقول لا نشبع نحن حتى  
 تشبع النار .

٣ — مراتنا : أي من المرارة يعني انا كذلك في صدور اعدائنا .  
 ٤ — حومة القتال : معظمة أو اشد موضع فيه .  
 ٥ — فلاس الرجل فلسا : وهو ماخرج من البطن من الطعام أو الشراب الى الفم  
 اعاده صاحب أو الفاه ( المان مادة فلاس ) والكابي : المغطى .  
 ٦ — الوحام : محرقة — شدة شهوة الجبلى لما أكل ،  
 ٧ — مجموع اشعار العرب / ١٤٨ .



يسألون عن الرجل ؟ فيجيبهم منتسباً الى قبيلته أو اجداده الأوائـل  
الذين تنتسب اليهم القبيلة ، وكل قوم كانوا يفخرون بنسبهم وعلو مكانتهم  
قال بنو قضاة : (١)

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير  
والنسب المعروف غير المنكر

وافنخروا ايضاً بكثرة العدد الذي يكون عنه بالحصى ، وقادهم  
ذلك الى الفخر بالسيادة والملك قال رؤبة : (٢)

اني امرؤ بمضر اعتباطي عراعر الأقوام واختباطي (٣)

لنا الحصى وأوسع البساط والحسب المثرى من البلاط (٤)

والملك في عادتنا القعاط دانت له والسخط للسخط (٥)

نزارها ويامن الاقحاط (٦)

واضاف الرجاز في فخرهم الى شرف النسب وكرم الاصل العز

والمجد والثروة قال الراجز مشبداً بذلك : (٧)

---

١ — سيرة ابن هشام ٧/١ وستيفلد وتاريخ الحميس — الديار بكرى ١٤٧/١

والأغاني ٩١/٩ وزارة الثقافة مع خلاف في الرواية .

٢ — مجموع اشعار العرب ٨٦/١ وشرح ديوان رؤبة — مخطوط/٣٤٢ .

٣ — الاعباط : القطع ، ويقال عبطت حوافرها الارض : اذا كسرتها ،

والعراعر : الشديد ، الاختباط : يركب بغير قصد .

٤ — الحصى : الكثرة ، وارض بساط : اذا كانت واسعة . المثرى : الكثير .

٥ — القعاط : المسدود ، ويريد بالبيت ان لهم ذلك على رغم من رغم .

٦ — اليامن : يريد اليمن .

٧ — امالي القالي ١٦/٢ بيروت .

وسنخنا من خير أسناخ العرب ونحن في الثروة والعز الأشب (١)  
 ووجدنا في الرجز فخراً بالجوود والكرم واطعام الناس ، هذا إضافة  
 الى ما كانوا يفتخرون به من بأس وقوة وشجاعة قال لبيد : (٢)  
 نحن بنو أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعه  
 المطعمون الجفنة الدعده والضاربون الهام تحت الخيصه  
 وهكذا سار الرجاز في فخرهم على سنن المقصدين في هذا الميدان  
 ولم يأنوا بجديد يفتخرون به لأنه لا يوجد هناك مجال للتفوق أو القصور  
 فالمزايا التي يفتخر بها الرجاز والمقصد امور معروفة مشهوره تداولوها أباً  
 عن جد ، وهل هناك شيء يفتخر به العربي أعز من فخره بطيب عرقه  
 واصالته وحسبه ونسبه ، قال أبو ذؤيب يفتخر بقومه : (٣)  
 أنا أبو ذؤيب وهب لو هب من جمع في العز منها والحسب  
 والاسرة الحضراء والعيص الأشب ومن هذيل والدي عالي النسب (٤)  
 أورثني المجد أب من بعد أب رحمي رديني وسيفي المستلب  
 وافتخر جميل بن معمر بمكانته العالية وعزه وكرمه ، وباجداده  
 الذين كانوا اطوادا شامخة اعجزت الناس عن هدمها : (٥)  
 أنا جميل في السنام الاعظم الفارع الناس الاعز الاكرم  
 احمي ذماري ووجدت اقرمي كانوا على غارب طود خضرم  
 اعيا على الناس فلم يهدم

١ — السنخ : الأصل ، والأشب : الكثير .

٢ — شرح ديوان لبيد — احسان عباس / ٣٤٠ الكويت .

٣ — الأغاني ١١٥/٧ وزارة الثقافة .

٤ — العيص : الاصل والأشب : الملتف .

٥ — الأغاني ١٣٣/٨ وزارة الثقافة والارشاد .

وافنخر بمنزلته الرفيعة في قومه وبركته الشديد فقال: (١)  
 أنا جميل في السنام من معد في الذروة العليا والركن الاشد  
 والبيت من سعد بن زبيد والعدد ما يبتغي الأعداء مني ولقد  
 اضرى بالشتم لساني ومرد اقود من شئت وصعب لم اقد (٢)  
 وربما تناولوا في فخرهم هذا صفات خلقية هي امارات الرجل  
 الكامل ، كالكياسة والصدق والعفة وما اشبه ذلك قال علي بن ابي طالب  
 رضي الله عنه: (٣)

اما تراني كيباً مكبساً بنبت بعد نافع مخبساً (٤)  
 حصناً حصيناً وأميناً كيباً

وقال عبد الله بن الاعور الحرمازي مفتخراً بانصافه بالصدق ،  
 ومجانته للأثم والمؤم: (٥)

لست بكذابٍ ولا أثم ولا بجثم ولا مصيرام  
 ولا احب خلة اللثام

اما أبو النجم العجلي فقد افتخر بمقدرته الشعرية وبراعته في قول  
 الشعر فقال: (٦)

أنا أبو النجم وشعري شعري لله دري ما يجن صدري

- 
- ١ — الأغاني ١٣٣/٨ وزارة الثقافة والارشاد .
  - ٢ — ضري بالشيء الهج به ، ومرد على الشتم : مرن واستمر عليه .
  - ٣ — العقد الفريد ١٨٣/٤ .
  - ٤ — المخيس : هو سجن بناه الامام علي - رضي الله عنه في الكوفة .
  - ٥ — الشعر والشعراء ٥٧٥/٢ بيروت .
  - ٦ — امالي المرضي ٣٥٠/١ ط ١ .



ولا أريد ان اطيل في سرد امثلة كثيرة من رجز العرب في الفخر،  
ففيما اوردت من نماذج ما يكفي للدلالة على المسلك الذي سلكه الرجاز  
في فخرهم كما تدلنا على أن الرجز سار مع القصيد في تناول هذا  
الغرض جنباً الى جنب ، على أن الذي يلاحظ هو عدم وجود أراجيز  
كثيرة وطويلة في الفخر ، انما وجدنا نثراً ومقطعات رجزية افتخر بها  
الشعراء في حادثه ما ، أو في ظرف معين كذلك المقطوعة الرجزية التي  
افتخر بها عنترة قديماً اذ قال : (١)

انا الهجين عنتره كل امري يحمي حره  
اسوده واحمره والواردات مشفره

ونادراً ما نجد ارجوزة طويلة كاملة في الفخر كذلك الارجوزة التي  
قالها رؤبة مفتخراً باجداده والتي ذكرنا قسماً منها قبل قليل . (٢)  
على ان اكثر فخر رؤبة وغيره من الرجاز انما يأتي منتشراً في ثنايا  
الارجوزة مع غيره من الاغراض كالمدح والهجاء وغير ذلك .

#### ٤ — الهجاء

يذهب بعض المستشرقين الى ان الرجز قد استخدم في الهجاء  
كثيراً ، وبنوا آراءهم على هذا الاساس في تعريفهم للرجز ، حيث ذهب  
نولدكه الى ان الرجز شيء من الصلصلة وفسروا الصلصلة بانها الجلبة  
والضجيج والحركات الكثيرة التي تصاحب الهجاء الذي قالوا عنه انه

١ — العقد الثمين / ١٨٠ مقطوعة ١٢ .

٢ — وهي الارجوزة التي يقول فيها : « مجموع اشعار العرب / ١٤١ والنوادر

— الانصاري / ٤٧ » .

لاثنين صادقاً بعلمي بفعل قومي في الغنى والعدم

الغرض الشعري الذي كثيراً ما استخدم فيه هذا البحر في الجاهلية (١)  
وبناء على هذا نستطيع ان نقول ان بحر الرجز هو البحر الأثير  
والمحبيب لدى اولئك الذين يربدون النيل من اعدائهم وخصومهم لبيان  
مثالبهم ونقائصهم ، والخط من قيمهم والحق أبشع الصفات واقدرها بهم .  
ورجز الهجاء هذا كان في بداية نشوئه مقطعات قصيرة كنتك  
المقطعات الموجودة في ديوان لبيد وفي المجاميع الادبية . اما فيما بعد  
فقد كان لرجز الهجاء سوق رائجة ، تذكر مثلاً لذلك المربد الذي كان  
يجتمع فيه الشعراء والرجاز يتناشدون أشعارهم ونقائضهم الرجزية ، من  
ذلك ما يروى من ان العجاج خرج ذات يوم متحفلاً (٢) عليه جبة  
خز ، على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس يجتمعون  
فأنشدهم قوله :

قد جبرّ الدينّ الاله فجبر

فذكر فيها ربيعة وهجاهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبي  
النجم العجلي وهو في بيته فقال له : أنت جالس وهذا العجاج يهجوننا  
بالمربد قد اجتمع عليه الناس ! قال : صف لي حاله وزبه الذي هو فيه ،  
فوصفه ، له فقال :

ابغني جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء ، (٣) فجاء بالجمال اليه ،  
فاخذ سراويل له فجعل احدى رجليه فيها وانزر بالاخسرى وركب  
الجمال ودفع بخطامه الى من يقوده ، فانطلق حتى اتى المربد ، فلما دنا

١ — دائرة المعارف الاسلامية — مادة ( رجز ) .

٢ — متحفلاً : متزيّناً .

٣ — الهناء : القطران .

من العجاج قال : اخلع خطامه فخلعه ، وأنشر :

تذكر القلب وجهلاً ما ذكر

حتى بلغ قوله :

أني وكل شاعر من البشر      شيطانه انثى وشيطاني ذكر  
فما رأني شاعر الا أسنتر      فعل نجوم الليل عابن القمر  
عشي تميم واصغري فيمن صغر      وجاوري الذل واعطي من عشر  
وامري الاشي عليك والذكر      فانما يشرب من ذل السور  
وأرضي باحلابه وطب قد حزر

فلما فرغ من انشاده حمل جملة على ناقة العجاج يريد بها ، فضحك  
الناس وانصرفوا وهم ينشدون قوله : شيطانه انثى وشيطاني ذكر . (١)  
وتمكن الرجز من اجلاء جوانب النقص والقبح النفسية والجسمية في  
الانسان وصورها بصور قبيحة بشعة حسب ما اراد الهاجون . فمن الصفات  
النفسية القبيحة التي تناولها الرجز الهجائي بالذم والتعريض « البخل »  
وهو صفة حاول العرب جاهدين التخلص منها وعدم الاتصاف بها ، ومن  
كانت هذه الخصلة الذميمة ممزوجة بطبيعته ولا يستطيع التخلص منها ،  
كان معرة القوم وموضع سخريتهم ، ولهذا راح العرب يبالغون في الكرم  
واقراء الضيف ومن لم يسر في طريقهم هذا تناولته ألسنتهم بالهجاء  
والتقريع .

ومن يطلب شيئاً من قوم فلا يحصل عليه ، لا يجد ما يشفي به

---

١ - الأغاني ١٥٠/١٠ ووزارة الثقافة و ٧٣/٩ ساسي والشعر والشعراء

٥٠٢/٢ بيروت .



غلته الا أن بساط عليهم لسانه برجز يفضحهم به ويخزيهم ، من ذلك ما يروى من أن أعرابياً وقف بقوم فقال : اشكو اليكم ايها الملائماتنا كلك لي وجهه ، واناخ علي كلكه ، بعد نعمة من البال وثرورة من المال ، وغبطة من الحال ، اعتورتني شدائده بنبل مصائبه عن قسي نوائبه ، فما ترك لي ثاغية اجتدي ضرعها ، ولا لاغبة ارتجبي نفعها ، فهل فيكم من معين علي صرفه ، أو معمد علي حيفه ؟ فردده القوم ولم ينبلوه شيئاً .  
فأنشأ يقول :

قد ضاع من يأمل من امثالكم      جوداً وليس الجود من فعالكم  
لا بارك الله لكم في مالكم      ولا ازاح السوء عن عيالكم  
فالفقر خير من صلاح حالكم (١)

وهكذا يكون البخل ثغرة واسعة يدخل منها الشاعر لينال من خصمه ما يريد ، قال عمر بن لجاأ يحمق رجال الازد ويستخف باحلامهم : (٢)

تصطك الحية علي دلائها      تلاطم الأزد علي عطائها  
ولما هجا المعجاج المختار بن عبيد الله اتهمه بقبول الرشوة  
فقال : (٣)

وابن ابي عبيد المكذبا      والسبأى والمراشي المذنبا  
وحينما بدأ جرير نقائضه افتتحها بالرجز هاجباً خصومه ، وكان ذلك الرجز خير معين ومساعد له علي بلوغ هدفه ، وقد تناول في رجزه

١ — العقدة الفريد ٤٣٤/٣ الطبعة الثانية القاهرة .

٢ — البيان والتبيين ٢٢٣/٢ الطبعة الاولى — القاهرة .

٣ — شرح ديوان المعجاج — مخطوط ص ٣٣ .

الهجائي هذا ، وصف خصومه بالبخل ، وقرن الى هذه الخصلة الذميمة  
خصلة اخرى ليست اقل منها قبحاً وبذاءة ، تلك هي صفة اللؤم ، قال في  
هجائه لهم : (١)

لا تحسبني عن سليط غافلا      ان تمش ليلاً بسليط نازلا  
لانلقى افراناً ولا صواهاً      ولا قرىً للنازلين عاجلا  
ابلع سليط اللؤم خبلاً خابلاً      ابلع أبا قيس وابلع سابلا  
والصلح من ثمامة الحواقلا      اني لمهد لهم مساحلا... الخ (٢)

ثم قال جرير أيضاً في هجائه ذلك واصفاً اعداءه بأنهم عبيد وان  
امهاتهم لهن ربيع تننة كريمة وهن سود ملعونات كأنهن حمر : (٣)  
أن سليطاً في الحسار انه اولاد قوم خلقوا افته  
لا توعدونني يا بني المصنه      أن لهم نسبة لعنة (٤)  
سوداً مغاليم اذا بطنه      يفعلن فعل الآن المستنه  
يولعن بالبيع وان غبته

وقال أيضاً يرميهم بالخبث واللؤم في الحسب اذ انهم يدعون  
ماليس فيهم : (٥)

---

١ — النقائض — أبو عبيدة ٣/١ ليدن .

٢ — الحواقل : جمع حوقل وهو المسن ، المساحل : الحمير في أصواتها  
خشونة .

٣ — النقائض — أبو عبيدة ٤/١ ليدن .

٤ — المسنة : المنتمة الريح ، نسيه : تصغيره نساء .

٥ — النقائض — أبو عبيدة ٤/١ .

أن السليطي "خبيث" مطعمه اخبتُ شيءٍ حسباً والأمة  
مخزيرٌ برٍ سيء تنسّمه هل لك في بيض خصى نلقمه  
است السليطيّ سواءً وفمه (١)  
أن السليطيّ مباح محرّمه

وهكذا استخدموا الرجز في الهجاء وسخروه لخدمة هذا الغرض على نحو ما استعمل القصيد في الهجاء كالذي نراه عند جرير والفرزدق في نقائضهما .

وتناول رجز الهجاء ذم اللؤم في مواضع عدة ، من ذلك ما هجا به لهزم الكاتب عبد الله بن الاهتم حينما سأله فحرمه : (٢)  
وما بنوا الاهتم الا كالرخم لا شيء الا انهم لحم ودم  
جاءت به حذلم من ارض العجم اهتم سلاح على ظهر القدم  
مقابل في اللؤم من خال وعم

وفي الرجز الذي هجا به الخطيئة نفسه نعثر على صفة اللؤم قد برزت دون غيرها من الصفات في مجال الذم ، قال الخطيئة : (٣)  
لا أحد الأم من حطيه هجا بنيه وهجا المرية  
من لؤمه مات على فربه

ومن بين الصفات النفسية التي تناولها الرجز بالذم والتشنيع ، الجبن والذل والعجز والخور ، قال الاعشى بهجو بني قميئة بن سعد ويذم فيهم شرهم الكثير وذلتهم وجبنهم فيشبههم بالكلاب ، ثم هم بعد ذلك

١ — يريد : أنه ينتفخ بما ليس عنده .

٢ — العقد الفريد ٦/١٣٠ القاهرة .

٣ — الأغاني ٢/١٩٧ وزارة الثقافة والارشاد .



اوغاد عاجزون إن وجدوا قبراً حديث العهد راحوا يحفرونه ليسرقوا الكفن ،  
وهذا في غابة الذل والهوان ، يقول : (١)

أن بني قميئة بن سعد كلهم ملصق وعبد  
أدنى لشر من كلاب عقد وهم اذل من كلاب عقد  
يعزون بين وبر وقد عبدان بين عاجز ووغد  
ان يبصروا قبراً حديث العهد ينشوا فيه احتفار الخلد  
انقر فقد بلغت قعر اللحد وهامة وشقة من برد

واجتمع النابغة الجعدي واوس بن مغراء ذات مرة في المربد  
فتنافرا وتهاجيا ، وحضرهما العجاج والاخلط وكعب بن جعيل ،  
فقال اوس : (٢)

لما رأته جعدة منا وُرداً ولوآ نعماً في البلاد ربداء (٣)  
إن لنا عليكم معداً كاهلها وركنها الأشداء (٤)  
فقال العجاج :- كل امرئ بعدو بما استعداً

١ — ديوان الاعشى الكبير — م محمد حسين ص ٢٧٣ .

٢ — الأغاني ١٣/٥ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ — الورد : — بالكسر — الجيش ، ربداء جمع ربداء وهي من النعام ما كان  
لونها سواداً مختلطاً ، وقيل : ما كان كله سواداً ، وقيل : ما كان بين  
السواد والغبرة .

٤ — معد : أبو حي من العرب ، والى معد ينتسب أوس بن مغراء وبهذا  
النسب يفخر على النابغة ، وكاهل القوم : معتمدتهم في الملمات وسندهم  
في المهمات ، وهو مأخوذ من كاهل الظهر لأن عنق الفرس يتساند  
إليه إذا حضر .

وكان اعشى همدان قد هجا بني ثقيف جرأ فرمامم بالكذب وقال : (١)

لما سفونا للكفور الفتان بالسيد الغطريف عبد الرحمن (٢)

سار بجمع كاقطا من قحطان ومن معدّ قد اتى ابن عدنان

امكن ربي من ثقيف همدان يوماً الى الليل يسلي ما كان

أن ثقيفاً منهم الكذابان كذابها الماضي وكذاب ثان (٣)

وتناول الرجز بالذم مثالب وعيوباً معنوية كالاخلاق والطبائع الشريرة ،

قال الكذاب الحرمازي يهجو قومه ويرميهم بالعجز والنواكل : (٤)

ان بني الحرماز قوم فيهم عجز وإبكال على اخيهم

فابعث عليهم شاعراً يخزبهم يعلم فيهم مثل علمي فيهم

وانشد ابن الاعرابي لراجز يهجو رجلاً تمثلت فيه الدناءة : (٥)

لحيتُ شماساً كما تلحي العصي سباً لو ان السب يدمي لدمي

من نفر كلهم نكس دني محامدُ الرذل مشانيم السرى

مخابط العكم موادب مع المطي متارك الرفيق بالخرق النطي [٦]

١ — الأغاني ٥٩/٦ و تاريخ الطبري — القسم الثاني ص ١٠٥٦ .

٢ — سفا : خوف واسرع وفي الطبري ( أنا سمونا ) .

٣ — يريد بالكذاب الماضي مسيلمة الكذاب ، وبالكذاب الثاني الحججاج بن

يوسف الثقفي .

٤ — الشعر والشعراء ٥٧٥/٢ بيروت .

٥ — البيان والتبيين ١٥٧/١ .

٦ — العكم : العدل ما دام فيه المتاع ، المخابط : من الخبط وهو طلب

المعروف ، موادب مع المطي : أي مطيهم مودوعة لا يجدونها ، الخرق : القفر

والأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح ، النطي البعيد .

وليس هذا وحده ما نجد في رجز الهجاء ، انما هناك رجز فيه  
فحش واقذاع قد لا يقال الا على سبيل المزاح والفكاهة ، من ذلك ما  
قاله ابو الشمقمق لبشار حين منعه اعطيته [١]

اني اذا ما شاعر هجانيه ولج في القول له لسانيه  
ادخلته في است امه علانيه بشار بابشار . . . . .

وأراد ان يقول ( يا ابن الزانية ) فوثب بشار فامسك فاه وقال  
أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع اليه مائتي درهم وقال له : لا يسمعن  
هذا منك الصبيان يا ابا الشمقمق . ومنه أيضاً هجاء الأغاب لسجاح  
لما تزوجت مسيلمة الكذاب : [٢]

قد لقيت سجاح من بعد العمى ملوحا في العين مجلوز القرا  
مثل الفتيق في شباب قد أنى من اللجيمين اصحاب القرى  
ليس به واهنة ولا نسا نسا بخبز وبلحم ما اشتهى

اما المثالب الجسمية فهناك رجز كثير تناول وصف معايب جسم  
الانسان وما يعتره من نقص أو عاهات ، من ذلك مثلا افات النطق  
التي تصيب اللسان ، انشد ابن الاعرابي كلمة جامعة لكثير من معاني  
الافات كصغر الجسم والكذب والتلجلج في الكلام والخاط فيه ، ثم الجبن  
والخوف ، وهي قول الشاعر : (٣)

---

١ — الأغاني ١٩٤/٣ وزارة الثقافة والارشاد .

٢ — طبقات ابن سلام ص ٥٧٢ والأغاني ١٨ / ١٦٤ ساسي مع نقص  
في الأبيات .

٣ — البيان والتبيين ٥٧/١ هارون و ٧٤/١ السندوبي .



اسكت ولا تنطق فأنت حجاب كلك ذو عيب وانت عياب (١)  
 إن صدق القوم فانت كذاب أو نطق القوم فانت هيباب  
 أو سكت القوم فانت قبقاب أو اقدموا يوماً فانت وجاب (٢)  
 ومن وصفوا بالرجز شناعة الانسان وقبح منظره ابو الطروق الظبي  
 حيث قال في هجاء امرأته واسمها ( شعفر ) : (٣)  
 جاموسة وفيلة وخنزير وكلهن في الجمال شعفر  
 وقال اعرابي يهجو امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ،  
 وتزوج هو قبلها اربعا ، فلاحته يوماً فقال فيها : (٤)  
 لو لابس الشيطان ما الابس أو مارس الغول التي امارس  
 لاصبح الشيطان وهو عابس زوجها اربعة عمارس  
 فانفلتوا منها ومات الخامس وساقني الحين فهانا السادس  
 ومن قبيح الهجاء الذي استخدم فيه الرجز قول ليبد يهجو الربيع  
 ابن زياد العبسي حينما صرف النعمان عن وفد قومه وكان مشاركا له على  
 الطعام : (٥)

بخبرك عن هذا خير فاسمعه مهلاً آيت اللعن لا تأكل معه  
 ان استه من برص ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه  
 يدخلها حتى يوارى اشجمه كأنما يطلب شيئاً ضبعه

- 
- ١ — الحجاب: الصغير الجسم المتداخل العظام .
  - ٢ — قبقاب: كثير الكلام مخلطه ، الوجاب: الجبان .
  - ٣ — الحيوان ١٧٢/٧ هارون .
  - ٤ — العقد الفريد ٤٧٤/٣ الطبعة الثانية — القاهرة .
  - ٥ — شرح ديوان ليبد — الدكتور احسان عباس ص ٣٤٠ الكويت .

واستطاع الرجز التعبير عن نقائص اخرى أنف العرب من الانصاف  
بها ، كما تمكن من الايفاء بحاجتهم في مواقف آنية نستدعي السرعة  
والمجلة ، من ذلك مثلا ما رد به ابو ذرة (١) على الرجل اليماني  
الذي قال له : (٢)

يارب شيخ من بني ملاح عجرد كالذئب ذي الحصاص (٣)

يوضع تحت القمر الوباص ياهرة باتت على ادراص (٤)

اضطرها الوايل بالحصاص اعني ابا ذرة رأس الخاصي (٥)

فخرج اليه ابو ذرة من قبل ان يعرفه فأشار له بيده ثم قال :

بأيتها الشاعر لا بسمع لك اعجلتني ولم اكن احفل بك

فأشدد على أير ابيك رحلكا فأركب عليه ثم بمم اهلكا

ودخل جندب على الوليد بن عقبة وعنده ساحر يكنى ابا شيبان

بأخذ اعين الناس فيخرج مصارين بطنه ثم يعيدها فيه ، فجاء من خلفه

فقتله وقال : (٦)

---

١ — هو ابو ذرة الهذلي ثم الباهلي ثم الملاحي .

٢ — شرح اشعار الهذليين — السكري ٦٢٣/٢ شاکر وفراج .

٣ — عجرد : اطلس شبهه بالذئب ، الحصاص : عدو شديد .

٤ — أي برضع الناقة بالليل من لؤمه ، وهذا عيب عند العرب ، الوباص : من

الوبيص وهو البريق ، الادراص : أولاد الفار .

٥ — الحصاص : الصعيد من الارض الذي لا كمن له ولا شيء له يستقره ،

الخاصي : الذي يخصي يربد الحصاص .

٦ — الأغاني ١٤٤/٥ وزارة الثقافة والارشاد .

إلمن وليدأ و ابا شييان وابن حبيس راكب الشيطان

رسرل فرعون الى هامان

من هذا كله يتبين لنا ان الرجز قد وفي بحاجة العرب في ميدان  
الهجاء ، وعبر عما في نفوسهم من عواطف البغض والحقد اتجاه اعدائهم  
وهو بهذا انما يوازي القصيد في ابغائه بهذا الغرض واستعماله في هذا  
الميدان ، اذ ان القصيد تمكن كذلك من التعبير عن عواطف البغض  
والكره التي تعالج في نفوس الشعراء الذين راحوا بصوغونها هجاء  
مقذعاً جارحاً .

#### • — الفزل

العواطف والأحاسيس شركة بين الناس يمتلكها البدوي والحضري  
والصغير والكبير ، لكنها تختلف قوة وضعفاً من شخص لآخر . وقد  
اتخذ الناس الفنون وسيلة للتعبير عن هذه العواطف ، فكان الشعر احد  
تلك الفنون التي صب فيها الناس مشاعرهم ، حتى اصبح لسان  
القلب الناطق .

وقد تساوى الرجاز والمقصدون في ابراز ما تكنه قلوبهم من  
حب وشوق ، فحنوا واشتكوا ، ووقفوا على اطلال الاحبة بذرفون الدموع  
ويريقون العبرات .

ومن هنا وجد الشعر العربي الذي كان يتناول ذكر ما بين الاحبة  
من رابطة قوية وحب عميق ، ثم وصف المحبوبة بالصفات الحسنة الجميلة  
وتشبيهاً بكل ما فيه روعة وجمال ، وكثيراً ما كان الرجاز يلجأون الى  
الفزل والنسب في مطالع اراجيزهم اذ كانوا يقفون على الديار الخالية



فيأخذون بالبكاء حزناً وشوقاً الى الاحبة النازحين الذين كانت الديار أهلة بهم ، وهنا لابد من وصف اولئك الاحبة واطراء حسنهم وفتنتهم ، وتذكر الايام الجميلة التي قضوها معهم .

وكانوا يتناولون في غزلهم المعاني الحسية والوجدانية ، أما الحسية فكانت تشمل وصف عين المحبوب وقده وثغره وجيده ودقة عظامه ولونه وكشحه وشعره .

فالعين هي مبعث السحر ومستقر الجاذبية وهي لغة الحب الناطقة اذا عجز عن ترجمتها اللسان ، وهي اذا نظرت الى الحبيب كشفت له اسرار القلب ورشقته بسهامها القاتلة . قال بعض الرجاز : (١)

هل يغلبي واحد اقاتله ريم على لباته سلاسله (٢)  
سلاحه يوم الوغى مكاحله

وقد استحبوا في العين سمعتها وحسنها واحوارها ، قال العجاج : (٣)  
أزمان أبدت واضحاً مفلجاً اغر براقاً وطرفاً يبرجا (٤)

فهو - كما ترى - اشاد بسعة عيونها وجمالها ، كما انه لم يغفل عن وصف ثغرها الجميل الابيض ولم يكتف بذلك بل راح يصف اعضاء جسمها وصفاً حسياً جميلاً ، فقال يصف حاجبها وشعرها وانفها وبطنها

---

١ - بتيمة الدهر - النعايي ١٥١/١ ط ٢ السعادة .

٢ - اللية : موضع القلادة .

٣ - شرح ديوان العجاج - مخطوط / ١٠٦ وارجيز العرب - البكري / ٧٤

٤ - واضح : أي ثغر ابيض واضح ، والمفلج : الثغر الذي ليس بعض اسنانه قريباً من بعض والاغر : الابيض ، والبرج في العين : سمعتها وحسنها .

وقوامها وكفلها .

- ومقلة وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً (١)  
وبطن آيم وقواماً عسجاً وكفلاً وعثاً اذا ترجرجا (٢)  
امر منها قصباً خدلجاً لا قفراً عشاً ولا مبهجاً (٣)  
مياحة تميح مشياً رهوجاً تدافع السبل اذا تعمجاً (٤)  
على انهم اغرموا بالخور (٥) الذي يكون في العين فتغنوا به .

قال العجاج : (٦)

- لو أن عصم شعفات النير بسمعنه باشرن للتبشير (٧)  
بين افتتاح الطوع والحرور اذ ترتعي من خلل الخدور (٨)

١ — المزجج : الطويل ، الفاحم الشعر الحالك ، والمرسن : الانف ، المسرج :

الحسن .

- ٢ — الايم : الحية ، والعسالج : اغصان مثل البردى تنثني ، الوعث : السهل .  
٣ — امر : قتل ، يقول اذا ترجرج امر ، والقصب الخدلج : المستوى والغفر :  
القليل اللحم ، والش : الدقيق ، والمهيج : الرهل الرقيق .  
٤ — مياحة : مبالاة ، رهوج : المشي اللين ، والتعمج : التلوى .  
٥ — الخور : شدة بياض العين وشدة سوادها .  
٦ — شرح ديوان العجاج / ٦٨ وارجيز العرب / ٨٦ .  
٧ و ٨ — العصم : الوعول وهي التي يكون بها بياض وتكون في الجبال ،  
والشعفات : رؤوس الجبال ، النير : جبل ، باشرن : نزلن ، والتبشير :  
الارض . يريد لو ان العصم يسمعن حديثي وخبري عن اموري في شبابي  
لنزلن لما يراد لهن ولم يتعاصين زمن كان النساء يرمينني بابصارهن من  
خلل الخدور اعجابا بي وميلا الي .

بأعين محسورات حور خزر بالباب الي صور (١)  
اما الطرف الفاتر فكان سمة التدلل أو الاستحياء ، قال المعجاج (٢)  
لما تبدت مثلاً كالمغزل فائرة الطرف من التدلل  
وقال رؤبة : (٣)

أضللن بالمكحولة السواجي وكسرات الحاجب الخلاج (٤)  
شيطان كل مترف سداج (٥)

اما برودة الثغر فكانت موضع اعجابهم ومدار غزلهم حينما  
يذكرون الفم وعدوبته ، قال ذو الرمة واصفاً ثغر حبيته ومشيتها ومقلتها  
وجيدها وكشحها بالظبية : (٦)

يامي ذات الميسم البرود بعدالرقاد والحشى المنخضود (٧)  
والمقلتين وبياض الجيد والكشع من ادمانة عنود (٨)

---

١ — المحورات : كثيرات البياض ، والتحوير : بياض حول العين ، والصور :  
الميل .

٢ — شرح ديوان المعجاج — مخطوط / ٥٨ .

٣ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ١٣٢ ومجموع اشعار العرب / ٣٠  
واراجير العرب / ٥٧ .

٤ — المكحولة السواجي : أي العيون الساكنات النظر .

٥ — مترف : متنعم ، وسداج : صاحب لهو ولعب وكذب .

٦ — اراجير العرب / ٦٣ .

٧ — البرود : البارد ، والمنخضود ، من الخضد وهو كسر الشيء الغض .

٨ — الادمانة : الظبية ، والعنود : العائدة عن صوابها .



عن الضياء متبوع فرود اهلكتنا باللوم والتنفيذ (١)  
 وكان لبياض الاسنان وبريقها منظر جميل استهوى الرجاز حتى  
 راحوا يتغزلون به . قال الشماخ بن ضرار : (٢)  
 لما رأنا واقفي المطيات قامت تبدي لي بأصليات (٣)  
 غرا أضاءَ ظلمها الثنيات خودٌ من الطعائن الضمريات (٤)  
 أما ضخامة ارداف المرأة وعظم فخذيها وامتلاء عظامها فقد اشاد  
 بها ذو الرمة بقوله : (٥)  
 ضمنَّ كلَّ طفلة مكسال رباَ العظام وعثة التوالي (٦)  
 لفاء في لين وفي اعتدال كأن بين القرط والخلخال (٧)  
 منها نقاً نطقاً بالرمال (٨)

- 
- ١ — أي عاندة عن الظباء ، أي مفارقة لهم ، متبوع : أي لها غزال يتبعها ،  
 وفرود : منفردة ، والتنفيذ : التجهيل وتخطئة الرأي .
- ٢ — الشعر والشعراء ٣٦/١ و ٢٣٤ بيروت .
- ٣ — أصليات : اسنان براققة .
- ٤ — الظلم : ماء الاسنان ، والضمريات : من بني ضمرة .
- ٥ — أراجيز العرب / ٤٤ .
- ٦ — الطفلة : الفتاة الناعمة ، والمكسال : من الكسل وهو من مستحسن  
 اوصاف النساء عند العرب ، يقول أن تلك الهودج المذكورة في  
 البيت السابق تضمنت كل فتاة حسناء مكسال ، وريا العظام : أي  
 عظامها ممتلئة لحماً وشحماً ، والوعث في الاصل الرمل اللين الذي يصعب  
 فيه المشي للينة .
- ٧ — الفاء : العظيمة الفخزين .
- ٨ — النقا : الرمل ، يشبه عجيزتها بالرمل .

وكان العرب يستحبون في المرأة حياها ، وكانت النساء لذلك  
يمشين في لين وثؤدة ، حتى تأثر الرجاز بذلك فراحوا يصفون مشيتهن ،  
قال منصور بن مرثد الاسدي : (١)

جارية في سفوان دارها تمشي الهويناء مائلاً خمارها  
قد اعصرت أو قد دنا اعصارها يطير من غلمتها ازارها

وهام الرجاز بمشبة الحبيب حينما يروح بثني كأنه غصن رطب  
هزته الرياح ، وهذا الثني لا يحدث الا من قد رشق وقوام جميل ، حتى  
إذا مشى صاحبه تلوى وثني واهتز ، قال ذو الرمة : (٢)

إذا مشين مشيةً تأوِّدا هزَّ القنلانَ وما نخضدا (٣)

وهكذا تناول الرجاز بالوصف الحسي اعضاء المرأة وحركاتها  
الظاهرة ، واختاروا لكل منها وصفاً يلبق به ويزيده جمالاً على جمال .

اما المعاني الوجدانية التي تناولها الرجاز بالوصف فكانت  
تشمل وصف الحالات النفسية التي تعترى الانسان حين يتذكر أحبته  
أو يراهم ، فهذا العجاج يهيج سقمه خيال احبته حينما يراود  
فكره ، يقول : (٤)

---

١ — العقد الفريد ٣/٤٦٠ ط ٢ القاهرة .

٢ — ديوان شعر ذي الرمة ، كارليل مكارثي / ١١٣ .

٣ — نخضد : انكسر .

٤ — شرح ديوان العجاج — مخطوط / ٧٩ .

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال تكتي وخيال تكتما  
باننا يحوسان وقد تجرّما ليل التمام عند عنك ادهما (١)  
بالخيف من مكة ناسا نوما فأرقا عسباً وشعثاً سهما (٢)  
اما داود بن سلم فقد أسدل الحب على عينيه ستاراً  
فلم يعد يرى عيوب حبيبه ، فان جنى ذنبا دفعه حبه الى غفرانه ،  
يقول : (٣)

لججت من حيي في تقرّيه وعميت عيناى عن عيوبه  
كذلك صرف الدهر في تقلّيه لا يلبث الحبيب عن حبيبه  
أو يغفر الاعظم من ذنوبه  
وهذا راجز لا بذكر محبوبته الا جرت شؤون عينيه : (٤)  
مالك لا تذكر أم عمرو الا لعينيك شؤون تجرى  
وجميل يعاتب بثينة ويصف لها ما يلاقه من عذاب الحب وما  
يذرف من دموع فيقول : (٥)

---

١ — يحوسان : يتخللان ويتخطبان الرفاق ، وقد تجرم ليل التمام : أي  
مضى كله الا قليلا منه ، والعنك : القطعة من الليل ، وقوله : أدهما :  
يعني سواد الليل .

٢ — ويروى بالجزع من مكة . يقول : باننا يحوسان بالخيف ناساً نوما ، والخيف :  
خيف منى ، وقوله : ارقسا : أي ابقظا ، وعسباً : أي ابلا سهباً ، وشعثاً :  
شعث الرؤوس . وسهماً ضمراً .

٣ — الأغاني ١٩/٦ وزارة الثقافة .

٤ — النوادر في اللغة — الانصاري / ٦٠ .

٥ — ديوان جميل — بطرس البستاني / ١٥٧ .



يا أم عبد الملك اصرميني فبيني صرمي أوصلبني (١)  
ابكي وما يدريك ما يبكيك أن بني عمك أوعدوني  
ان يقطعوا رأسي إذا لقوني

وقد كان بعض الرجاز يصفون ما يفعله فيهم سحر النساء وداهن ،  
فبفتنهم جمالهن ويتركهن مهزولي الاجسام ، انشد أبو عمرو: (٢)

أن ذوات الدل والبخائق فتان كل واطق وعاشق (٣)  
حتى تراه كالسليم الدائق (٤)

ونظر اعرابي الى امرأة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي وكلمها بكى  
قبلته ، فتمنى ان يكون مثل هذا الصبي وانشأ يقول: (٥)

يا ليتني كنت صبياً مرضعاً تحماني الذلفاء حولاً اكنما (٦)  
إذا بكيت قبلتي أربعا فلا ازال الدهر ابكي اجمعا

أما العجاج فقد كان دمه يجري متهللاً من عينيه كلما رأى رسوم

---

١ — أم عبد الملك : كنية بثينة .

٢ — امالي القالي ٢/٢١٥ بيروت .

٣ — البخائق : البراقع الصغار .

٤ — الدائق : الساقط المهزول من الرجال .

٥ — العقد الفرید : ٣/٤٦٠ ط ٢ القاهرة ١٩٥٢ .

٦ — اكنما : كالا .

اطلال احبته ، يقول : (١)

ما بال جاري دمعت المهمل من رسم اطلال بذات الحرمل (٢)  
ومثله أيضاً ذو الرمة اذ تهيج عينيه الاطلال فيروح باكباً  
متحسراً ، قال : (٣)

ما هاج عينيك من الاطلال المزمنات بعدك البوالي (٤)  
وقد أكثر الرجاز من تناول المعاني الوجدانية في رجزهم الغزلي  
وحسبنا في هذه العجالة هذه الشواهد التي تثبت أن الرجز تناول فن  
الغزل وعالجه كالقصيد .

#### ٦ - الأساطير

أن الذي يقرأ رجز العرب يجد فيه تلميحات وإشارات إلى بعض  
الأساطير والخرافات والمعتقدات التي كان يؤمن بها العرب ، تلك المعتقدات  
التي مازال كثير من جهلة العرب يؤمنون بها .  
وكان بعض الرجاز يذكر في جزءه بعضاً من تلك الأساطير عن  
اعتقاد بها وإيمان . من ذلك مثلاً اعتقادهم بأن لكل شاعر شيطاناً يلهمه  
الشعر ، وإن غاب عنه شيطانه عجز عن قول الشعر ، ولهذا فإن أحد  
الرجاز الصغار السن حينما أراد أن يظهر قدرته وشاعريته أشار إلى أن  
شيطانه قوي كبير له قدرة فائقة عجيبة ، قال : (٥)

١ - شرح ديوان العجاج - مخطوط / ٤٦ وأراجيز العرب / ١١ .

٢ - المهمل : السائل .

٣ - أراجيز العرب / ٤٠ .

٤ - المزمنات : التي أتت عليها ازمان متتابعة ، والبوالي : جمع بالية .

٥ - الحيوان / ١ / ٣٠٠ ط ١٩٣٩ م .

اني وان كنت حديث السن وكان في العين نبو عني

فان شيطاني كبير الجن

وهكذا كانوا يزعمون أن للشعراء شياطين يوحون بالشعر اليهم ،  
وكانوا يسمونهم شياطين الشعراء ، ومن هنا كان وصف أبي النجم الراجز  
لشيطان العجاج حينما هجاه بأنه اثنى ووصف شيطانه هو بأنه ذكر ،  
قال : (١)

اني وكل شاعر من البشر شيطانه اثنى وشيطاني ذكر

فضحك الناس وانصرفوا وهم بنشدون قوله : شيطانه اثنى وشيطاني  
ذكر . ثم أن رؤية كان يحس في نفسه قوة يخشع لها شيطان كل  
طامح ، حيث قال : (٢)

اني أنا الدامغ والمصحى بالنار عن أم الفراع الوكح (٣)

بخشع لي شيطان كل طمح

اما نظرة الراجز الى الجن فكانت مبنية على انههم يعتقدون بأن  
الجن مصدر الدهاء والقوة والمكر وما ينتج عن ذلك من وسوسة وارتجاس  
وأصوات موحشة ، وبناء على هذا الاعتقاد راح رؤية يصف منطق حبييته  
بوسواس الشيطان في انها تتكلم بحياء وهدوء فقال : (٤)

---

١ — الأغاني ١٥٣/١٠ وزارة الثقافة ، الحيوان ١/٣٠٠ ط ١ ، والشعر

والشعراء ٥٠٢/٢ بيروت .

٢ — مجموع أشعار العرب / ٣٧ .

٣ — الوكح : الفراع الغليظة .

٤ — مجموع أشعار العرب / ١٤٤ وأراجيز العرب / ٧٩ .



يا هال ذات المنطق النمنام كأن وسواسك بالنعام (١)

وسواس شيطانني بني هنام (٢)

ويظهر من رجزه هذا انهم كانوا يزعمون أن الجن قبائل ، وبنو هنام قبيل من هذه القبائل . والجن - كما يظنون - كثير العدد ، لهم جنود مجندة ، قال رؤبة يفخر بقومه وببأسهم وكثرة عددهم وانهم يفوقون في كثرتهم قوم بأجوج والجن ، يقول : (٣)

لو أن بأجوج الينا تهدي مأجوج والجن بكل جند

جئنا على اعدادهم بالأد (٤)

وحينما يسيرون في صحراء خالية موحشة كانوا يتخيلون انهم يسمعون في تلك الصحراء صوت الجن ، فهذا رؤبة يشبه عزف الجن بأصوات المغنين حيث يقول : (٥)

كأن عزف الجن بالأهزاج به حنين الزجل الصناج (٦)

وشبه غناهم المزعوم في مكان آخر بصوت اللعابين فقال : (٧)

---

١ - النمنام والمنمنم : المزين ، والنمنام : الكلام الخفي ، والوسواس : حديث النفس .

٢ - بنو هنام : تزعم العرب انهم قبيل من الجن .

٣ - مجموع أشعار العرب ص ٤٨ وشرح ديوان رؤبة - مخطوط ص ١٠٢ .

٤ - الأد : هو من قول الله عز وجل ( لقد جئتم شيأ ادا ) : أي أمراً عظيماً .

٥ - مجموع أشعار العرب ص ٣٢ وأراجيز العرب ص ٦١ .

٦ - الصناج : الذي يضرب على الصنج وهو آلة طرب .

٧ - شرح ديوان رؤبة - مخطوط - ص ٩ ومجموع أشعار العرب ص ١١٠

وأراجيز العرب ص ١٠١ .

عجماً تغني جنسه بيهقاً كأن لعابين زاروا هفتقاً (١)  
 رنتهم في ليل سردقا (٢)  
 ثم يصف لنا بلدة مقفرة تصور أن الغرلها نساتف ولهامها هوانف  
 ولارتجاز جنها عوازف ، فقال (٣)  
 وبلدة لغولها نساتف للهام في ارجائها هوانف (٤)  
 ولارتجاس الجن فيها عازف (٥)  
 وهو في رجزه هذا يذكر لنا اضافة الى اسطورة الجن اساطير  
 تكلم الهام ووجود الغول ، ثم تحدث عن الغول في مكان آخر  
 قائلاً : (٦)

- 
- ١ — العجم : جمع عجمة وهو ما اجتمع من الرمل ، قوله يغني جنه بيهقاً :  
 كأن جنه يقول ( ييهق ) جعله صوتاً فحكاه وادخل الباء ، وقيل : ييهق :  
 أسم أرض ، وهفتق : يعني اسبوع وهو بالفارسية هفته .  
 ٢ — يقول : كأن صوت صليل اللعابين رنة جن هذه الارض ، والرنة : الصوت ،  
 وسردق : اظلم .  
 ٣ — مجموع أشعار العرب ص ١٠٢ .  
 ٤ — ينتسفون الكلام انتسافاً : أي يهيمسون به رويداً من الفرق فهو خفي لثلا  
 ينذر بهم . ( الصحاح مادة نسف ) والهام : جمع هامة ، من معانيها انها  
 نوع من البوم الصغير تالف القبور والاماكن الخربة .  
 ٥ — الارتجاس : صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش والسيل والرعد  
 ( اللسان مادة رجس ) .  
 ٦ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٧٧ ومجموع أشعار العرب / ١٠٧  
 وأراجيز العرب / ٣٣ .

غول تشكى لسبنتى معترق كالخبة الاصيد من طول الأرق (١)  
وكثيراً ماقرن الرجاز ذكر الجن بالطريق المجهولة والبلد القفر  
والفلاة المضلة ، زاعمين أن الجن تسكن مثل هذه الاماكن الموحشة ، قال  
رؤبة : (٢)

يركبن تيماء وما تيماءوه بهما يدعو جنها بهماؤه (٣)  
ثم انهم كانوا يشبهون أنفسهم بالجن في قوتهم ودهانهم ، مثل هذا  
قول رؤبة : (٤)

وقد أرى لي في الصبا عساكرا جني جن اضرب الاسادرا  
ومن غريب الاساطير التي تتصل بالجن التي بصورها لنا الرجز هو  
ما بزعمه العرب من أن هناك جنساً من الجن صورة الواحد منهم على  
نصف صورة الانسان واسمه شق ، وانه كثيراً ما يعرض للرجل المسافر  
اذا كان وحده ، فربما اهلكه فرعاً ، وربما اهلكه ضرباً وقتلاً . ورووا  
على ذلك قصة تدور حول علقمة بن صفوان بن امية بن محرث الكناني  
جد مروان بن الحكم فقالوا : أنه خرج في الجاهلية وهو يريد مسالاً له  
بمكة وهو على حمار وعليه ازار ورداء ومعه مقرعه في ايلة اضحيانه (٥)

---

١ — تشكى : أي تشكو ، والسبنتى : الجسري . يعني زوجها ، والمعترق :  
المهزول القليل اللحم الاصيد : الذي بميل بصره من طول الارق . يقول  
يكسر عينيه .

٢ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط / ٢١٨ ومجموع أشعار العرب / ٤ .

٣ — تيماء : مظلة : يعني بضل فيها ، والهيماء الطريق العمياء أي المجهولة .

٤ — مجموع أشعار العرب / ٥١ .

٥ — اضحيانه : أي مضبئة لا غيم فيها .



حتى انتهى الى موضع يقال له حائط حزمان ، فاذا هو بشق له يد ورجل  
وعين ومعه سيف وهو يقول :

علقم أني مقتول      وان لحمي مأكول  
اضربهم بالهذلول      ضرب غلام شملول (١)  
رحب الذراع بهلول (٢)

فقال علقمة :

يا شقها مالي ولك      اغمد عني منصك (٣)  
تقتل من لا يقتلك

فقال شق :

عبيت لك عبيت لك      كيما اتيح مقتلك (٤)  
فاصبر لما قد حم لك

قال فضرب كل واحد منهما صاحبه فخرا ميتين : (٥)  
وظني أن قوماً قتلوا علقمة وأرادوا ان يخفوا دمه فصنعوا هذه  
الحكاية واخترعوا هذه الابيات ونسبوها الى علقمة وشق ، وهذه القصة  
مشابهة لقصة مقتل سعد بن عبادة حينما قتله اعداؤه وزعموا أن الجن  
قتلته وقالت في قتلها له شعراً .

١ — الهذلول : عنى به سيفه ، والشملول : الخفيف السريع ،

٢ — البهلول : العزيز الجامع لكل خير والجبى الكريم .

٣ — المنصل : السيف ،

٤ — عبيت : تسهيل عبيات في لغة من يقول قرات قرابت ، وعباله :  
استعد وهياً .

٥ — الحيوان ٢٠٦/٦ ط ١ هارون ،

وعلى كل حال فقد استطاع الرجز ان يصور مثل هذه الاساطير التي كان العرب يؤمنون بها آنذاك . ومن بين المعتقدات والافكار التي كانت شائعة في البيئة العربية والتي تطرق اليها الرجز ، هي ان سن الضب تبقى على حالها لا يتغير ولو بقي الف سنة ، وانها تظل كما كانت عليه حين خروجه من بيضته قال رؤبة مشيراً الى ذلك : (١)  
فقلتُ لو عمرتُ سن الحسل أو عمر نوح زمن الفطحل (٢)  
والصخرُ مبتل كطينِ الوحل صرتُ رهين هرمٍ أو قتل

ومن الاساطير القديمة التي عبر عنها الرجز ، زعم العرب ان الضب خاطر الضفدع (٣) ابهما أصبر عن الماء ، وكان للضفدع حينئذ ذنب ، وكان الضب لا ذنب له . فخرجا من الكلاء فصبرت الضفدع . يوماً فنادت : يا ضب ، وردا وردا . فقال الضب .

اصبح قلبي سردا لا يشتهي ان يردا (٤)

ونادت في اليوم الثاني : يا ضب ، وردا وردا فقال الضب :

---

١ — مجموع اشعار العرب / ١٢٨ وارجيز العرب / ١٢٣ وشرح ديوان رؤبة مخطوط / ٨٦ .

٢ — الحسل : ولد الضب ، يقول : لو عمرت اناسا لا اتغير هكذا ، وقوله زمن الفطحل : أي زمن السلام رطاب والسلام : الحجارة .

٣ — في مخصص ابن سيده ١٣ / ٢٥٨ ان هذه المحاورة دارت بين السمكة والضب

٤ — الصرد : يقال : اذا انتهى القلب عن شيء صرد عنه ( اللسان مادة صرد ) .

اصبح قلبي سودا لا يشتهي ان يردا

الا عراد اعردا وصلبانا يردا (١)

فلما كان في اليوم الثالث نادت ايضا فلم يجبها . وبادرت الى الماء  
واتبعها الضب فأخذ ذنبها (٢) .

وينقل لنا الرجز حكاية طريفة بين اعرابي وضبع اكلت شاة ثم  
بصور لنا ما دار بينهما من حوار رجزي ، اذ جعل الاعرابي يخاطبها  
وهي تجيبه (٣) .

ومن هاتين الروايتين الاسطورييتين التي دارت احدهما بين الضب  
والضفدع والاخرى بين الاعرابي والضبع ، نستطيع ان نقول ان  
الرجز تمكن من تناول القصة والحوار ، وان هذه القصة قد ظهرت  
معالمها في رجز العرب ، وحتى اذا لم تكن هذه القصص تمثل معناها  
المعروف في الوقت الحاضر ، فانها بداية لذلك أو انها خطوات أولية لفن  
القصص الشعري .

وكان السحر اعتقاداً آمناً به العرب قديماً وحديثاً ، وفي الرجز  
نجد ذكراً لهذا الاعتقاد وما يقوم به الساحر من الأعيب وحركات ،

---

١ — العراد : حشيش طيب الريح ، وعراد عرد على المبالغة ، أو اراد ان  
يقول عراد عارد فحذف للضرورة ، والعراد : الذي خرج واشتد :  
والصلبان : شجر من الطريفة بنبت سعدا ، وأضخمه اعجازه واصواه .  
والبرد : اراد البارد فحذف للضرورة .

٢ — المعاني الكبير — ابن قتيبة ٦٤١/٢ ط ١ الهند وانظر الأبيات في الحيوان  
١٢٥/٦ ولسان العرب ٢٨٨/٣ بيروت .

٣ — انظر الحيوان ٦/٤٤٣ ط ١ .



حيث قال رؤبة يذكر السحرة وطريقتهم في القاء الحصى في الكوب: (١)  
والغل لا يشفيه طب الأطباء وان رقوا في مسك وأهداب (٢)  
من ساحر يلقي الحصى في الاكواب بنشرة اشارة كالأقواب (٣)  
وبمثل هذه الصورة استطاع الرجز أن يصور لنا أساطير ومعتقدات  
وأفكار العرب القديمة .

هذه أهم الاغراض التي اشترك الرجز والقصيد في معالجتها ، وقد  
لاحظنا ان الرجز كان صالحا لتناول مثل تلك الاغراض والفنون ، وقد  
استطعنا ان ندرك هذه الصلاحية في أبيات الرجز التي عالجت مختلف  
الفنون ، وهي فنون عالجهما القصيد فأجاد فيها اما الرجز فانه عالج الى  
جانب هذه الفنون فنونا اخرى كان القصيد قاصرا عن تناولها ، فكان  
الرجز اقدر منه على تناول مثل هذه الاغراض بفضل ما فيه من حركات  
رتيبة متتابعة تشبه الى حد ما حركات تلك الاغراض التي انفرد بمعالجتها .  
وستجد توضيح هذه الاغراض التي اقتصرت على الرجز في صفحات  
الفصل الآتي فإليك هذا الفصل :

---

١ — اراجير العرب / ١٦١ .

٢ — الغل : الحقد الكامن : والاطياب : جمع طب وهو العلم بالامور ،  
والمسك : سوار من علج ومن قرون تلبسها النساء .

٣ — الاقواب : جمع قوباء ، واصلها في جلد البعير ، فترى فيه قد جردت منه  
الشعر وتخرج ايضا في جلد الانسان فتداوى بالريق .

## الفصل الرابع

### الاعراض التي اقتصرت على الرجز

١ - الحداء (١)

استطعنا في فصول سابقة ان نتبين خطوطاً باهتة لبداية الشعر ونشوته ، وذهبنا فيها الى ان الرجز كان أول الأوزان التي اهتدى اليها العرب ، وذلك لسهولته وخفته وملاءمته لوقع خطى الجمال التي صاحبها العربي في حياته كثيراً .

وربما يكون معنى الرجز مأخوذاً من داء الرجز الذي يصيب الابل في اعجازها فاذا ثارت ارتعشت افخاذها ساعة ثم تأخذ في الانبساط كما ان بحر الرجز اكثر الأبحر الشعرية شبهها بسير الجمال ووقع خطاها وهو بانواعه المختلفة واشكاله العديدة ، يتفق مع سير الجمال المختلف ،

---

١ - حدا الابل وحدا بها يحدو حدوا وحداء : زجرها خلفها وساقها .

السريع منه والبطيء ( وما الرجز الا قياس رسمه في مخيلة العرب سير  
الابل في الصحراء ) (١) .

ولعل حكاية مضر وسقوطه من فوق جملة ثم استغاثته بقواه  
( وايداء ) (٢) أو ( يدي يدي يدي يدي ) واصفاه الابل اليه (٣)  
تؤيد ما ذهبنا اليه من وجود صلة وثيقة بين الابل وسيرها وبين ابقاعات  
بحر الرجز .

ونظراً لوجود هذه الصلة فقد راح العربي يحدو ابله برجز  
يخفف به عنها ألم المسير وكلاله السفر ، ويبعث في نفوسها القوة  
ويجدد فيها النشاط لما واصلت رحلتها ، ( فالابل تصر آذانها اذا حدا في  
آثارها الحادى ، وتزداد نشاطا وتزيد في مشبها ) (٤) .

وهكذا يكون الحداء بالرجز أصل الشعر ، وتكون اوزان الشعر  
المربي قد رقت على وقع اقدم الابل ، حتى صار من معاني الحداء في  
العربية قرص الشعر ، كما ان هناك صلة وثيقة بين الحداء والغناء  
بالرجز فاذا قيل : حدا ، أي غنى بالرجز .

وكان المرحوم جرجي زيدان قد ذهب الى مثل هذا الرأي

حين قال :

( ان الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال ، وهو الحداء  
في اصطلاحهم وكأنه وضع لهذا الغرض ، لأن العربي يقضى أوقاته في

١ — تاريخ الادب العربي — السباعي يومي ١/١٠٤ ط ٢ .

٢ — يرى الدكتور المجذوب ان لفظه ( وايداء ) ليست من الرجز وانما هي  
من الرمل ( المرشد ١/٢٤٦ ط ١ ) .

٣ — جمهرة اشعار العرب — القرشي / ٣٤ .

٤ — الحيوان ١٩٣/٤ هارون .



معاشرة جملة أو نافته (١) ويرى أيضا ان مشطور الرجز يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشي الجمال الهويئا ، ثم يقول : لو ركبت ناقة ومشت بك الهويئا ، لرأيت مشيها يشبه وزن هذا الشعر تماما . فكان العرب يحدونها به اذا ارادوا سيرها وثيدا . اما اذا اراد الحادي ان تسرع الجمال في السير حدا لها بالرجز المنهوك . (٢)

على ان معروفا الرصافي يخالف جرجي زيدان في رأيه هذا فيقول : ( وكل من تأمل في الرجز ، منهوكة ومشطوره ، وفي سير الابل ، رأي بينهما بونا بعيدا جدا ، لشدة تتابع اجزاء الرجز في اللفظ وسرعة انحدارها وتسردها (٣) في الفم عند الانشاد ، وذلك ينافي سير الابل الوثيد بسبب جسامتها وكونها فسيحة الخطى ) (٤) .

ولكني أرى ان رأي جرجي زيدان أصوب من رأي الرصافي ، ذلك لان الحداء في الغالب الأعم يكون بالرجز ، فلو لم يكن الرجز ملائما لوقع خطى الجمال ، ومتفقا مع سير الابل ، لما حدا به ، ولاختير لذلك بحر آخر . ثم ان الرصافي يدعي ان سرعة انحدار اجزاء الرجز وتسردها في الفم عند الانشاد ينافي سير الابل الوثيد . وهذا غير صحيح ذلك لان اللحن يتحكم في بطن الكلام وسرعته ، فان اراد الشخص ان تسرع جماله في سيرها حدا لها برجز منهوك مع سرعة في تلفظ هذا الرجز ، وبهذا يكون ملائما لسرعة مشي الابل . اما اذا اراد أن تسير الابل سيرا

١ — تاريخ اداب اللغة العربية — جرجي زيدان ٦٥/١ .

٢ — المصدر السابق ٦٥/١ .

٣ — سرد الحديث : اذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سرداً اذا كان جيد السياق له ( اللسان مادة سرد ) .

٤ — سحر الشعر — روفائيل بطي ٩٥/١ الرحمانية .

وثبدا ، فإنه يحدو لها برجز مشطور ويتمهل في الانشاد ، اي انه ينشد  
الالفاظ ببطء ، وبهذا يكون هذا اللحن البطيء مشابها لمشي الجمال الهوينا  
ولهذا نستطيع ان نقول انه من المحتمل ان يكون الرجز مأخوذاً  
من سير الابل ، كما انه من المحتمل ان يكون الرجز أول ما استعمل  
في حذاء الابل .

وإذا انتهينا من هذا ، فعلينا ان نعرف المعاني التي كانت تستعمل  
في هذا الحذاء ، وما الامور التي كان يعالجها الحادي ؟  
لقد كان بعض الحداة يتناول في حدائه وصف رحلته وبذكر  
صعوبة الطريق والمتاعب التي لقيها من ذلك . وربما كان على عجل  
فيطلب من باقي الحداة الاسراع في حذاء الابل وسوقها ، مثل ذلك ما  
قاله بعض الفقهيين : (١)

أجرس لها يا بن ابي كباش فما لها الليلة من انقشاش  
غيرى السرى وسائق نجاش اسمر مثل الحبة الخشخاش  
فاذا انعبها طول السفر ومواصلة المسير ، طلب الحادي ان يتوقفوا  
بها ، ويهونوا عليها ، قال الراجز : (٢)

لا تفلواها وادلواها دلوا ان مع اليوم أخاه غدوا (٣)  
وعلى هذه الصورة يروح الحادي ( يعالج ما يتعلق بسفرة وما  
يتصل به وما يطرأ عليه من احوال ، ومن الطبيعي ان ألصق شيء

---

١ — امالي المرتضى ٦٣١/١ وقد مر شرح الابيات في ص ٧٥ .

٢ — الفاضل — المبرد ١٩/ دار الكتب .

٣ — يقال : فلوت الابل : اذا سقتها سوقا شديدا ، دلونها : اذا هونت  
عليها السير .

بشعوره وافكاره هو رحلته نفسها ، فكان الحادي بصور هذه الرحلة والاماكن التي قطعها ، والارض التي يسير فيها ، والأحوال التي تقابلت عليها مطبته بين نشاط وتعب ، وسرعة وبطء ، وسمن وهزال ، وبحثها على السرعة لتلحق باهلها (١) قال راجز مروان وكان قد اكتوبرى أبعرة ركبها هو وبنوه وأمر أن يبحث بهم (٢) :

حرم مروان عليهن النوم الا قليلا وتلاهن القوم  
حتى يقلن أو يبتن بالدوم (٣)

وقد بصف الحادي نافته التي أهزلها الجوع والتطويح وسير الليلي وسرعة الرحلة ، حتى عادت كالقوس ، فيقول الشماخ في ذلك :  
كأنها وقد براها الاخماس ودلج الليل وهادي قياس (٤)  
شرائع النبع براها القواس (٥)

وبروح الحادي بصف سكون الليل والقمر المضي الذي انار  
الطريق امامه فيقول : (٦)

---

١ — الشعر الشعبي العربي — الدكتور حسين نصار / ٧١ المكتبة الثقافية  
عدد / ٦٠ .

٢ — انساب الاشراف — البلاذري ١٢٦/٥ سنة ١٩٣٦ م .

٣ — الدوم : على مسيرة ليلتين من المدينة .

٤ — الداج : سير الليل كله .

٥ — الشرائع : جمع شريع وهي القوس المنشقة . امالي القالي ١٢/١ بيروت  
وقد ذكر في اللسان مادة ( شرح ) قوله : — ( شرائع النبع براها  
القواس ) فقط .

٦ — امالي القالي ١٧٤/١ بيروت .



ياحبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء الساج (١)  
أو انه يخلع مشاعره واحاسيسه على نافته ويشركها معه في انفعالاته  
ليعين كل منهما الآخر ، وهو بهذا يعبر عن شوقه الى الاحبة الذين  
فارقهم ، وحزنه لهذا الفراق ، ولكنه مع كل هذا يكتف شوقه ويخفيه  
اما الابل فلا تستطيع لهذا الشوق كتماننا ، انما تعلنه وتبوح به ، قال  
بعض الاعراب : (٢)

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبا عجيبا  
حينها وما اشتكت لغوبا يشهد ان قد فارقت حبيبا  
ما حملت الا فتى كئيبا يسر بما اعلنت نصيبا  
لو ترك الشوق لنا قلوبا اذا لآثرنا بهن النيبا  
أن الغريب يسعد الغريبا

وكان الرجاز يستعملون في حداتهم الفاظاً خاصة يزجرون بها الابل  
ويستحثونها على مواصلة المسير ، من ذلك مثلاً قولهم « هيدِ هيدِ »  
و « هيدِ وهادِ » أنشد أبو عمرو : (٣)

وقد حدوناها بهيدِ وهلا حتى نرى اسفلها صارعلا  
وذلك أن الحادي اذا اراد الحداء قال : ( هيدِ هيدِ ) ثم زجل  
بصوته ، وقد استعمل ذو الرمة هذه اللفظة حينما وصف حادي ابله  
الذي كان يحثها بها ، فقال : (٤)

١ — الساج : الساكن .

٢ — اراجيز العرب — البكري ص ٤ .

٣ — اللسان مادة ( هيدِ ) .

٤ — اراجيز العرب ص ٦٩ .

وبعد شد القرب الممسود يخرجن من ذى ظلم منضود (١)  
شوائباً للسائق الغريد اذا حدهن بهيد هيد (٢)  
صفحن للأززار بالحدود يتبعن مثل الصخرة الصيخود (٣)  
وربما ترك الحادي الرحلة ووصفها ، وتناول امورا تتعلق بفرضه  
منها ، قبل ان رسول الله ( ص ) حين دخل مكة في العمرة التي قام  
بها بعد صلح الحديبية بعام ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام  
نافته وهو يحدو برجز يمدح به الرسول وصدق دعوته ثم يذكر الكفار  
بما انزله المسلمون بهم من ضرب وتقتيل ، يقول : (٤)

خلوا بني الكفار عن سبيله اني شهيد انه رسوله  
خلوا فكل الخير في رسوله يارب اني مؤمن بقبيله  
أعرف حق الله في قبوله نحن قتلناكم على نأويابه  
كما قتلناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله  
وبذهل الخليل عن خيله

أو يروح الحادي يتغنى بما حقق في رحلته من نصر ، ويشدو بذلك

- 
- ١ — القرب : هو السير الى الماء وبينك وبينه ليلة واحدة ، والممسود : المنضود : وذى ظلم : يربد الليل والمنضود : الذي يعضه على بعض .
  - ٢ — شوائباً : أي سوابقاً ، والغريد : الكثير الثغريد ، أي التطريب في الصوت بالحداء ، وهيد هيد : صوت زجر يحدو به الحادي .
  - ٣ — صفحن : أي نظرن بصفاح حدود هن للأززار التي هي الخاق التي تجعل في انوف النوق وتعقد فيها الازمة ، يريد التفتن اليها ، والصيخود : الشديدة الحرارة من وهج الشمس ، يريد يتبعن ناقة تقودهن هذه صفتها
  - ٤ — تاريخ الامم والملوك — الطبري ٣٠٩/٢ م . الاستقامة ،

فرحاً مستبشراً ، قال عدي بن ابي الزغباء ، يحدو بجيش المسلمين في  
عودته منتصرا من بدر :

أقم لها صدورها يابس يس ليس بذئ الطلح اها معرس  
ولا بصحراء غميس محبس ان مطايا القوم لا تخيس  
فحملها على الطريق أكيس قد نصر الله وفر الأخيس  
وقد يكون الحادي عاشقا فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته فيحدوها  
بايات رجزية ، ومثل هذا ما حدث لجميل حين كان مع الوليد بن  
عبد الملك في سفر والوليد على نجيب فرجز به مكين العذري فقال :  
يا بكر هل تعلم من علاكا خليفة الله على ذراكا  
فقال الوليد لجميل : انزل فأرجز ، وظن الوليد انه بمدحه ،  
فنزل فقال :

انا جميل في السنام من معد في الذروة العلياء والركن الاشد  
والبيت من سعد بن زيد والعدد ما يبتغي الاعداء مني ولقد  
أضري بالشتم لساني ومرد اقود من شئت وصعب لم أقد  
فقال له الوليد : اركب لا حملك الله . ( ١ )

وكذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر الى الحج مع مروان بن  
الحكم . . فطلب اليه مروان ان يسوق الجمال أي يحدوها فقال :  
يا بن حبي أو عدينا أو صلي وهوني الامر فزوري واعجلي  
بثين اياً ما اردت فافعلي اني لأنني ما أبأت مقتلي  
فلم يقبل مروان ان يتغزل بالحدو ، وانما يطلب الخلفاء والامراء  
اذا ركبوا الابل ان يحدوها الحادي برجز في مدحهم ، خرج عبد الملك

١ — الأغاني ١٣٣/٨ وزارة الثقافة .



يوما راتحا على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا ايها البكر الذي اراكا عليك سهل الارض في امشاكا  
ويحك هل تعلم من علاكا ان ابن مروان علا ذراكا  
خليفة الله الذي امتطاكا لم يعمل بكرا مثل ما علاكا (١)  
وكانوا مولعين بالفخر في اثناء حداثتهم ، فهذا حادى بنى همدان  
حين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم يدعى ان بنى همدان خير  
الناس رعية وملوكا ، فقييلته لا مثيل لها ، اذ ان موطنها الهضاب ،  
ورجالها الابطال ، وهم السادة الذين يفرضون على الرعية ما يريدون :  
همدان خير سوقه واقبال ليس لها في العالمين امثال  
عماها الهضب ، ومنها الابطال لها اطابات بها وآكال  
ومن تسخيرهم الرجز لتلبية اغراضهم السياسية ما روى عن  
حارثة بن مضرب اذ قال : حججت مع عمر فسمعت الحادى يقول :  
ان الامير بعده ابن عفان (٢)

وكان الحادى يحدو لعثمان فيقول :

ان الأمير بعده علي وفي الزبير خلف رضى  
فقال كعب : لا بل هو صاحب البغلة الشهباء ، يعنى معاوية ، فانى  
معاوية كعبا فقال : يا ابا اسحاق : انى يكون هذا وهؤلاء اصحاب  
النبي ( ص ) قال : انت صاحبها يا ابا عبد الرحمن (٣) .  
على اننا نجد الحداء قد تناول عدة اغراض ، منها الهجاء الذي

١ — تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان ٦٥/١ .

٢ — انساب الاشراف — البلاذى ١١/٥ سنة ١٩٣٦ م .

٣ — المصدر السابق ١١/٥ .

لم يكن ملائما لطبيعة السفر والرحيل (١) .

وهكذا يروح الحادي بعالج ما يعن له من الامور دون سابق اعداد أو تحضير ، انما يقول على البديهة ما يخطر على باله من مشاكل السفر ومشاغله ، أو من الامور التي لا علاقة لها بالسفر ولكنها تمس هواه وتتصل باغراضه ورغباته . ولم يكن الحادي - في الغالب - شاعرا محترفا ، اذ ان عامة الناس وكل افراد القافلة صالحون للحداء ، فلهم الحق فيه اذا كانوا قادرين عليه ، ومن هنا وجدنا القافلة الواحدة تضم اكثر من حداد واحد ، ويبدو ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل في بعض اسفاره حاديا للرجال ، هو البراء بن مالك ، وآخر للنساء هو أنجشه .

واجمالا لذلك اقول : ان العرب كانوا يستخدمون الرجز في اثناء حدائهم وذلك لان بحر الرجز يشبه في ابقاعاته سير الابل على بساط الصحراء الواسعة الممتدة .

اما الاغراض التي كان يتناولها الحادي في حدائه فهي كثيرة متنوعة فهو اما ان يعالج امورا تنصل برحلته . كأن يذكر ما صادفه في تلك الرحلة من مشاق ، وما حقق فيها من نصر ، ثم يصف الطبيعة التي تحيط به بما في ذلك ليلها ونجومها واقمارها .

واما ان يخرج عن وصف رحلته فيعالج امورا لا صلة لها بالرحلة كأن يكون عاشقا فيتذكر احبته وما لاقاه منهم من صد وهجران . أو يكون ذا ميل سياسي فيأخذ بالانصاح والابانة عن تلك الميول . حتى انه يمدح انصاره ومؤيديه ، ويهجو ويذم اعداءه ومخالفيه . وكثير منهم من

١ — انظر الاخبار الطوال — الدينوري ص ٢٩٢ ليدن .

ينحو الى الفخر . فيعدد محامده ، وبشيد بمآثره ، وهو لا ينسى في كل هذا قبيلته التي ينتسب اليها .

وكان الحادي حينما يزجر الابل ويبعثها على السرعة ، يستعمل لها الفاظا خاصة مثل « هيد هيد » أو ما أشبه ذلك .

## ٢ — المتح والاستقاء

لا تأتي بجديد اذا قلنا ان الابار اهم موارد المياه في جزيرة العرب ، حيث ان الانهار الكبيرة تكاد تكون معدومة في تلك الجزيرة ، لهذا فقد اعتمد العربي على الابار بالدرجة الاولى ، ثم العيون وما يتجمع من مياه الامطار يستقون منها ويسقون حيواناتهم .

ومن هنا كانت حياة العربي متوقفة الى حد كبير على الابار ، ولهذا فقد اهتموا بها ، وحافظوا عليها ، كما اختاروا لحفرها اصالح الاماكن واكثرها عذوبة لكي تفيض بماء عذب .

وقد اشتهرت مكة بكثرة ابارها ، حتى ان البلاذري ذكر في فتوح البلدان عددا كبيرا من هذه الابار ، كما ذكر اصحابها أو الذين أمروا بحفرها . وقد توغل في ذلك فاشار الى الابار التي حفرتها قريش قبل دخولها مكة فقال : — كانت قريش قبل جمع قصى اياها ، وقبل دخولها مكة ، تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ، ومن بشر حفرها لؤي بن غالب خارج الحرم تدعى ( البسيرة ) ومن بشر حفرها مرة بن كعب تدعى ( الروا ) وهي مما يلي عرفة ، ثم حفر كلاب بن مرة ( خم ورم والجفر ) بظاهر مكة (١)

---

١ — فتوح البلدان — البلاذري ٦٤/١ وما بعدها — بيروت .



هذا بجانب كثير من الآبار التي ذكرها البلاذري مع اسم  
من حفرها .

والذي يعنينا من هذا هو ما قالوه من رجز حول تلك الآبار .  
اذ أن هذه الآبار كانت من الأهمية عندهم بمكان ، حيث انها كانت  
مصدر حياتهم ، فراحوا يفخرون بوجودتها وبعذوبة مائها وغازاته ونقاوته  
كما تولدت حول هذه الآبار مناقضات رجزية هي أشبه بالنقائض . حيث  
اشاع كل فريق منهم الارجاز التي تثنى على بئر ، وتمدح ماءه ، وقد  
تعيب ماء غيره من الآبار .

ولنتابع - الآن - ما قيل من رجز حول الآبار التي حفرت بعد  
دخول قريش مكة ، فحينما حفر قصي ابو القبيلة كلها بئر ( العجول )  
جعل بسقي منها الحجيج ، وهي أول سقاية احتفرت بمكة ، وفيها يقول  
بعض رجاز الحاج الذين يستقون منها :

نروى على العجول ثم ننطلق قبل صدور الحاج من كل افق  
ان قصيا قد وفي وقد صدق بالشعب للناس ورى مغتبق (١)  
وحينما حفر هاشم ( سجلة ) ووهبها أسد ابنه لعدي بن نوفل  
قالت خالدة بنت هاشم مفتخرة بذلك .

نحن وهبنا لعدي سجلة في تربة ذات عذاة سهله  
تروى الحجيج زغلة فزغله (٢)

وكان عبد شمس يرى ان حفر الآبار من مقومات المجد والسؤدد  
فهو حينما حفر ( خمما ورما ) رأى ان المجد قد تم له ، قال : (٣)

١ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٤/١ بيروت .

٢ - المصدر السابق ٦٥/١ ومعنى زغلة فزغلة ، أي دفعة بعد دفعة .

٣ - المصدر السابق ٦٥/١ .

حفرت خمأ وحفرت رما حتى ارى المجد لنا قد تما  
ولما حفرت بنو أسد بن عبد العزى بئر ( شفیه ) قال الحويرث  
ابن أسد يشيد بعدوبة مائها وغزارته : (١)

ماء شفیه كمااء المزن وليس ماؤها بطرق أجن  
وإذا كان الحويرث هذا قد شبه ماء بئرهم بماء المزن في غزارته  
فان امیعة بنت عميلة بن السباق، بن عبد الدار قد شبهت ماء بئرهم  
( أم احراد ) التي حفرها قومها بالبحر في عظمته وكثرة مائه اذ قالت : (٢)  
نحن حفرنا البحر ام احراد ليست كبذر التزور الجماد  
وهي - بهذا - تعرض ببئر ( بذر ) التي حفرها بنوها وتصفها  
بقلة الماء . فأجابتها شفیه بنت عبد المطلب بقولها :

نحن حفرنا بذر تروى الحجيج الاكبر  
من مقبل ومدبر وأم احراد بشر  
فيها الجراد والذر وقدر لا ينكر [٣]

وقال قائل بني جمح عند حفرهم ( السنبلة ) :

نحن حفرنا للحجيج سنبله صوب سحاب ذو الجلال انزله [٤]  
وهم - كما فعل بنو أسد - قد شبهوا ماء بئرهم بماء المطر ،  
في حين راح بنو عدى يشبهون ماء بئرهم بماء البحر متابعين في ذلك بني  
عبد الدار . قال شاعرهم :

١ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٦/١ .

٢ - المصدر السابق ٦٦/١ .

٣ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٦/١ .

٤ - فتوح البلدان - البلاذري ٦٦/١ .

نحن حفرنا بئرا الحفيرا بحرأ بجيش ماؤه غزيرا (١)  
وبكثرة الماء وغزارته راح بنو سهم يصفون بئراهم ( الغمر )

قال بعضهم :

نحن حفرنا الغمر للحجيج تشج ماءً أبما نجيج (٢)  
وهذه الابار الواسعة تزداد سعة كلما كثر استقاء الناس منها ،

قال الراجز مشيراً الى ذلك وقد انشده الفراء : (٣)

فصبحت قلباً ذماً هموماً يزيدها مخج الدلا جموماً (٤)

فما تقدم من الرجز يظهر انهم كانوا يرون في البئر :

١ — انها ذات أثر كبير في حياتهم بحيث عدوها من مقومات المجد .

٢ — انها تطفئ لهاب الحره وتنقع غلة الصادي .

كما كانوا يريدون في البئر صفات مهمة منها :

١ — كثرة الماء وغزارته .

٢ — عذوبته وحلاوته .

٣ — نظافته وخلوه من الشوائب .

كانت هذه نظرة العربي الى البئر والدلو ، أما نظراته الى المائع الذي يخرج الماء من البئر ويسقي منه الناس والماشية ، فلم تكن بأقل من تلك النظرة العظيمة ، اذ أنه الوساطة التي تمدهم بأسباب الحياة ، ولهذا فقد كانوا يستبشرون اذا كان المائع سريراً في عمله انشده

١ — فتوح البلدان — البلاذري ٦٧/١ .

٢ — لسان العرب — مادة ( جيب ) .

٣ — اعالي القالي ٩٠/٢ بيروت .

٤ — القليزم ، البئر الغزيرة ، والدلا : جمع دلاة ، ومخجت بالدلو ، اذا

جذبت بها لتمتلي .



ابن الاعرابي : (١)

تبشري بماتح الوب مطرح لدلوه غضوب (٢)  
وكان كثير من هؤلاء الماتحين كراماً ماجدين ليسوا بفقراء معدمين  
أو ممزقي الثياب ، قال الراجز وهو بمتح بدلوه : (٣)  
علقت يا حارث عند الورد بجابيه لارفل التردى (٤)  
ولاعبي بابتناء المجد

وربما افتخر هؤلاء الماتحون بعملهم هذا مصحوباً بصفة اخرى  
عزيزة عليهم . وهي صفة الشجاعة والفروسية ، من ذلك افتخار ناجية  
بن جندب السلمي . ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية  
لم يجد في آبارها ماء فانزل ناجية في احداها بهم له ليغرزها في جوفها ،  
ففاض الماء ، واخذ ناجية بسقي المسلمين وهو في بئر فأقبلت عليه جارية  
من الانصار ، وقالت له :

يا ايها الماتح (\*) دلوى دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا

يشنون خيراً وبمجدونكا

فقال ناجية وهو في القليب يمبح الناس :

- 
- ١ — لسان العرب ١٥/٢ بيروت .
  - ٢ — رجل الوب : سربع اخراج الدلو .
  - ٣ — البيان والتبيين — الجاحظ ١٩/١ ط ٣ السندوبي .
  - ٤ — الرفل : خرق في اللباس . والتردى : لبس الرداء .
  - ٥ — الماتح : الذي ينزل في البئر اذا قل الماء فيملأ الدلو ، وهو من الفعل  
ماح يمبح . فاما الماتح : فهو الذي يقوم على رأس البئر فيجذب الدلو ،  
وهو من الفعل : متح بمتح .

قد علمت جاريتة يمانيه أني أنا المائح واسمي ناجيه  
وطعنة ذات رشاش واهيه طعنتها عند صدور العادية (١)  
وهكذا كان المائح يتصف بالقوة والحبوبة بحيث يستطيع تحمل  
مشقات عمله ، اما من لم يتصف بذلك فليس أهلاً للقيام بمثل هذا العمل  
قال الراجز : (٢)

خذها واعط عمك السجيله ان لم يكن عمك ذا حليله (٣)  
والانعام كالانسان تحب المائح وترنو اليه ، لأنه هو الذي يسقيها  
الماء ويروي عطشها ، فهي حينما تعطش يكون طلبها للماء سجعا ، أي انها  
تخاطب المائح بلغة اللفهان ، قال الراجز : (٤)

يا ايها الساقى القليل ذامه افرغ لورد قد دنا سوامه  
تقدمه اذرعته وهامه عجم اللغات انما كلامه  
تجاوب بالسجع أو أرزاه

والانعام حينما ترى المائح تعرف أنه هو الذي ينقع غلة عطشها  
وينجيها من ألم الظمأ القائل ، ولهذا فهي عندما تلافيه تنهياً لشرب الماء ،  
وتأخذ بتحريك اشداقها ، قال الراجز : (٥)

- 
- ١ — تاريخ الامم والملوك — الطبري ٢٧٣/٢ م . الاستقامة ، وذكر الفالي في  
اماليه ٢٤٤/٢ أبيات الجارية الانصارية فقط .
  - ٢ — سمط اللالي — البكري ٩٧/١ تحقيق عبد العزيز الميمني .
  - ٣ — دلو سجيلة : أي ضخمة ، والحليلة : الزوجة .
  - ٤ — أراجير العرب — البكري ص ٩٧ .
  - ٥ — الحيوان — الجاحظ ٤٤٩/٦ هارون .

لما رأين مانحاً بالغرب تخلصت اشدقها للشرب (١)

تخلص اشدق الضباع الغلب

وكان بعض المانحين يسخرون رجزهم للتعبير عما يدور في خلدتهم من مقاصد ، ويقرون هذا الرجز بعملية المنتح ، كالذي مر بنا في قصة بني ضرار حينما أرادت امهم ان تتزوج .

وعلى هذا النحو راح الرجز يعالج غرض المنتح . وقد استأثر الرجز دون غيره من البحور في معالجة غرض المنتح ، ذلك لان حركات بحر الرجز ثلاثم وتوافق الاعمال التي تتصف بالحركة والاضطراب ، فبحر الرجز - اذن - اصلح من غيره في المنتح .

٣ - الصيد

والصيد فن آخر اقتصر على الرجز أو كاد ، وحينما اقول هذا ، لا اعني به أن القصيد لم يعالج وصف الصائد وآلانه وصيده . انما اعني أن الشعر الذي كان يستعمله الصائد في اثناء عملية الصيد كان رجزاً ، ذلك لأنه اطوع للبدئية واصلح للأرتجال ، واقدر على تصوير خلجات الصائد وحركانه ، اذ كان الصائد يتغنى - وهو يرمي بسهمه أو يرسل كلبه أو يطلق عقابه - برجز يذكر فيه مقدرته على اصابة الهدف ، أو يذكر فيه شجاعة كلبه في اقتناص صيده أو ما الى هذه الامور .

لقد عرف العرب الصيد قديماً ، وكانوا يستعينون فيه بالكلب السلوقي دون سواه من الكلاب ، وقد روى أن كليب بن ربيعة أول عربي استعمل السلوقي للصيد ، وأول صياد أشتهر في الاسلام

١ - تخلص : اضطرب وتحرك .



هو يزيد بن معاوية . (١)

وقد عالج الصائدون في رجزهم هذا آلات الصيد وادواته وما كانوا يستعملون فيه من طير وحيوان . فكانت - القوس وهي اهم سلاح يستعملون به في صيدهم - موضعاً للفخر بها والاشادة بقوتها . قال العكلي يصف قوساً تميزت بالصبر والجزع الذي يمثله رنينها بعد اطلاق السهم ، فهي تطاوع مرة وتمتنع اخرى : (٢)

في كفه معطية منوع موثقة صابرة جزوع

وقال أبو النجم العجلي يصف صائداً في يده قوس كبداء : (٣)

وفي اليد اليسرى على ميسورها نبيعة قد شدت من توتيرها

كبداء فعماء على ناطيرها (٤)

ومن اوصافهم لحيوان الصيد قول الاسود بن يعفر مخاطباً كلبته التي ينعتها بالعقاب وذلك حينما رأى وعلاً مسناً في الجبل ، فمناها بان تكون حصتها من الفريسة الرأس والاكرع والاهاب : (٥)

قد قلت لما بدت العقاب وضمها والبدن الحقاب (٦)

جدي لكل عامل ثواب الرأس والاكرع والاهاب

---

١ - تاريخ العرب ( المطول ) - فيليب حتى وزميله ٢٩٦/٢ ط ٢ .

٢ - البيان والتبيين - الجاحظ ١٤٩/١ هارون .

٣ - اللسان - مادة ( قعس ) وقوس كبداء : اذا ملأ مقبضها الكف .

٤ - القعس في القوس : نتوباتها من وسطها ودخول ظاهرها .

٥ - اللسان - مادة ( بدن ) : وامالي القالي ٢٩٤/٢ ، مع عدم ذكر

البيت الاول .

٦ - البدن : الوعل المسن ، والحقاب : الجبل .

وكان الصيادون يخرجون الى الصيد قبل طلوع الشمس ، حين تكون  
الحيوانات قابعة في اماكن نومها ، وبذلك يسهل اصطيادها ، قال الراجز بذكر  
خروجه للصيد في هذا الوقت المبكر : (١)

قد اغتدى قبل طلوع الشمس للصيد في يومٍ قليل النحر  
باحجن الخطم كمي النفس (٢)

وكانوا يتربصون للصيد ويتخذون له مواضع خاصة ، لكي يتمكنوا  
من السيطرة على صيدهم ، قال احد الراجز يصف قانصا يتربص بفريسته  
عند مشرب الماء : (٣)

ظل يصاديها دوين المشرب لاطٍ بصفراء كتوم المذهب (٤)  
وكل جشٍ من فروع السبب (٥)

ولرؤية بن العجاج ارجوزة بديعة نقل لنا فيها وصفا رائعا لحالة

---

١ — النوادر في اللغة — الانصاري / ٥١ .

٢ — الحجن : اعوجاج الشيء ، وكل متعقف يسمى احجنا ( اللسان مادة —  
حجن ) والخطم من كل دابة : مقدم انفها وفمها كالكلب والبعير ، وقال أبو  
عمرو والشيبياني : الانوف يقال لها المنخاطم ( اللسان ) مادة — خطم )  
والكمي : المستتر ، واظنه يقصد به كلب الصيد .

٣ — اللسان — مادة ( سبب ) .

٤ — لاط : التصق ، اراد لائطا ، فابدل من الهمزة يساء وجعلها من باب  
قاض للضرورة .

٥ — الجش : القضيبي ، وقوس جش : مرنة خفيفة ، وفي الصحاح : الجش :  
القوس الخفيفة ، وقال الليث : وهي ذات الارنان في صوتها ( اللسان —  
مادة جشاً ) والسبب : شجر يتخذ منه السهام .

الصائد وهو يختبئ في بيت بناء خفي المدخل ليس بقريب من عمر  
 الفريسة فتتفر منه ، ولا هو يبعيد فلا تصل اليها السهام : (١)  
 وقد بنى بيتاً خفي المنزبق مقتدر النقب خفي الممترق (٢)  
 رمساً من الناموس مسدود النفق مضطرباً كالقبر بالضيق الازق  
 أسسه بين القريب والمعق اجوف عن مقعده والمرتفق (٣)  
 ويذكر انه بات في هذا المكان الضيق حتى ابصر وحشا فصمت  
 وسكت لئلا يشعر به الصيد حتى انه لو مضغ حنظلا لما بهقه ، وذلك  
 حرصاً منه على عدم نفور الوحش :  
 فبات والنفس من الحرص الفشق في الزرب لو يمضغ شرباً ما بصق (٤)  
 لما تسوى في ضئيل المندمق وفي جفير النبل حشرات الرشق (٥)  
 ساوى بايديهن من قصد اللعق مشرعة ثلعا من سبل الشدق (٦)  
 وقد جاء هذا الصيد يطلب الماء والليل ما زال يخفي الشخصوص .

- 
- ١ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٨٠ ، ومجموع اشعار العرب ص ١٠٧ .  
 ٢ — المنزبق : الدخول ، وخفي الممترق : أي من حيث يمرق منه : أي حيث  
 يخرج منه .  
 ٣ — يقول : ليس بقريب ولا عميق هو بين ذلك ، واجوف عن مقعده : اذا  
 قعد تجافى عنه . واذا انكى تجافى ايضاً .  
 ٤ — الفشق : المنتشر المتباعد ، والشرى : الحنظل ، يقول : بات هذا الصائد  
 في الفترة ، وهي الناموس والزرب ايضاً ، وقد أبصر وحشاً فانتشرت  
 نفسه وسكت مخافة ان يسمع الصيد صوته فلو مضغ شرباً ما بصق .  
 ٥ — ضئيل المندمق : صغير المدخل ، حشرات الرشق : أي رشقات .  
 ٦ — اللعق : متن الطربق ، الشدق : اعوجاج في الوادي .



وكان الصيد بقشعر وبحرك اذنا به خوف الهلاك :

- فجئن والليل خفي المنسرق اذا دنا منه انفاض النطق (١)  
في الماء والساحل خضخاض البثق بصيصن واقشعررن من خوف الزهق (٢)  
بمعصن بالاذنا من لوح وبق حتى اذا ما كن في الحرم المهق (٣)  
ولما شربن الماء ، وابتلت نواحيهن دعا رب الفاق موسوسا في سره  
ليمكنه من الصيد ، ثم اخذ يروز احداهن وبتفحص صلابتها :  
وبل برد الماء اعضاد اللزق وسوس يدعو مخلصا رب الفلق (٤)  
سرا وقد أون ناوين العقق فارتاز غير سندرى مخناق (٥)  
لو صف ادراقا مضى من الدرقي بشقى به صفح الفريص والافق (٦)

١ — خفي المنسرق : أي من اراد ان يختفي فيه البسه ، والنطق : الضفادع .

٢ — خضخاض البثق : اذا انبثق فماؤه يتخضخض بصيصن : حركن اذنا بهن  
والزهق : الهلاك .

٣ — اللوح : العطش ، والبق : البعوض ، الحوم : الكثير ، والمهق : الابيض .

٤ — اعضاد اللزق : يقول : عطش فالتصقت رثانتهن فلما شربن ابتلت نواحيهن  
اي ما التزق من العطش .

٥ — الأون : العدل ، شبه بطونها بالاعدال ، والعقق : التي قد عظم بطنها  
ودخلت في عشرة اشهر ، وارتاز : أي رازه فغمز متنه لينظر الى صلابته  
والسندرى : الازرق ، والمخنلق : التام .

٦ — لو صف ادراقا : يقول : لو صف بهذا السهم لانفذها ، ويقول : هذا  
السهم . يصيب الفريص ، والفريصة : هي اللعبة التي فوق الجنب مما يلي  
الكتف والافق : الجلود .

ومتن ملساء الوتين في الطبق فما اشتلاها صفقة للمنصفق (١)  
حتى تردى اربع في المنعفق باربع ينزغن انفاس الروق (٢)  
ترى بها من كل مرشاش الورق كثمر الحماض من هفت العلق (٣)  
وبعد ان اصطاد بعضهم ، وضرجهن بدمائهن ، انصاع الباقي وجد

في الهرب لينجو من سهام الصائد :

وانصاع باقيهن كالبرق الشقق ترمي بايديها ثنايا المنفرق (٤)  
وقد اشتهر بنو وحفة الفهر بالقنص ، وبمهارتهم في رمي القريسة  
واصابة الهدف بذكر لنا ذلك رجز الفضيل بن صبح العتكي من  
ايات بقول فيها : (٥)

قد اغندى حين الصريم الاروق مغلساً وقد اخذ المشرق (٦)

١ — ومتن ملساء الوتين : يقول : رماء على ملس منه ، وهو الموضع الذي رماء  
بالسهم ، والطبق : الفقار كل واحدة طبقة ، وصفقه : صرفه اياها عن  
الرامي ، يقول : لم ينجه صفقه اياها ان اصابها السهم .  
٢ — المنعفق : الموضع حين ينعفق : أي يرجع وينزغن : أي يتنفس من  
هذه الرميات .

٣ — الورق : قطع الدم ، يقول : يخرج من كل موضع رمية مرشاش رمية  
ترش الدم ، وثمر الحماض : ابيض فيه حمرة ، شبه خروج الزبد مع  
الدم به ، والهفت : السقوط .

٤ يقول : دخلت فيها ثم انفلتت فجعلت ترمي بانفسها في الثنايا لتجوز وتنجو  
الى الفضاء ، المنفرق : حيث ينفق الطريق .

٥ — معجم الشعراء — المرزباني ص ١٨٧ .

٦ — الصريم : الليل أو القطعة منه ، الاورق : الذي لونه لون الرماد ، الغلس  
ظلمة آخر الليل .

معي ثعاني كلبات نسق      أنفها كطرفها أو اصدق  
 وهم عيني طوال عنق      يسكنه كاذي البضيع سوهق  
 ازكى له المربع رعي موق      ومشرب في الصيف لا يرنق  
 يقول : أنه غدا في آخر الليل وقبل ان تظهر علائم الصباح ومعه  
 ثعاني كلبات مدربات انوفها تهديها الى الفريسة .

وقد اشركوا الفهود في صيدهم ، فكانوا يدربونهن على ذلك  
 تدريباً جيداً ، ولأبي النجم العجلي أرجوزة يصف فيها فهود عبد الملك  
 ابن بشر بن مروان وكيف يخضعن فريستهن ، قال (١) :

أنا نزلنا خير منزلات      بين الحميرات المباركات  
 في لحم وحش وجباريات      وان أردنا الصيد ذا اللذات (٢)  
 جاء مطيع بمطاوعات      علمن أو قد كن عالمات  
 فهي ضوار من مضريات      تريك أمافاً مخططات  
 سوداً على الاشداق سائلات      تلوى باذئاب موقوفات  
 حتى اذا كن على المجرات      حيث نظن الوحش آخذات  
 قال : ألسن بنازلات      فسكن الطرق بمطرفات (٣)

١ — الشعر والشعراء ٥٠٥/٢ والاعاني ١٦٠/١٠ وزارة الثقافة والارشاد ،  
 مع زيادة ونقص في رواية كل منهما .

٢ — جباريات : مفردتها جبارى : وهو طائر يضرب به المثل في  
 البلاهة والحمق ،

٣ — هذه روايه الشعر والشعراء ، اما صاحب الاعاني فقد رواها على  
 النحو التالي :

( فسكن الطرف بمطرفات )



ثم حدون الوحش مقبلات فواثبتهن حشمرات  
فلو ترى التيوس مضجمات علمت أن ليس بسالمات  
اقول اذ جثن مذبحات على الاكافين معدلات (١)  
ما اقرب الموت من الحياة

ألا ترى الى هذه اللوحة الفنية الجميلة التي يرسمها لك هذا  
الرجز للمعركة التي تدور بين الفهود والتيوس ، والتي وقعت فيها  
التيوس فريسة للفهود بعد معركة ضارية .

وحينما نقرأ قصة محارب بن قيس الكسبي (٢) نجد أن الرجز  
هو الذي اسعفه في التعبير عن احساسه وتصوير مشاعره في تلك  
اللحظات الأنية ، ذلك أنه ابصر نبعه فأعجبته ، فجعل يتمهدا . حتى  
إذا أدركت قطعها وصففها ، واخذ ينحت بها ليتخذها قوساً له ، فكان  
يقول وهو ينحت بها :

يارب وفقني لنحت قوسي فانها من لذتي ونفسي  
وانفع بقوسي ولدى وعرسي انحتها صفراء مثل الورد  
صفراء ليست كقسي النكس

أن هذا الرجز يصور لنا طريقة صنع القوس واعدادها للصيد  
وغيره ثم المراحل التي تمر بها صناعة القسي . ثم دهن القوس وخطمها (٣)  
بوتر ، ثم عمد الى ما كان من برايتها فجعل منه خمسة اسهم ، فجعل  
يقلمها في كفه ويقول :

١ — الاكاف : شبه الرجل والقتب .

٢ — وردت هذه القصة في المحاسن والمساوي - البيهقي ٤٨٣/١ مطبعة النهضة .

٣ — خطم القوس بالوتر : علقها .

هن وربي اسهم حسان نلذ للرامي بها البنان  
كانما قومها الميزان فابشروا بالخصب يا صبيان  
أن لم يعقني الشؤم والحرمات

وهذا الرجز يعطينا فكرة عن طريقة عمل السهام ونحتها وتهيتها  
للصيد أو القتال:

وبعد ذلك خرج فأنى موارد حمر الوحش فكمن فيها ، فمر  
قطيع منها فرمى عيراً فأخبطه: (١) السهم حتى جازه واصاب الجبل فاورى  
ناراً ، فظن أنه اخطأ ، فقال :

اعوذ بالله العزيز الرحمن من نكد الجدد معاً والحرمات  
مالي رأيت السهم بين الصوان يورى شراراً مثل لون العقبان  
فأخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم مكث على حاله ، فمر به قطيع آخر ، فرمى عيراً منها فأخبطه  
السهم فصنع صنيع الأول ، فقال :

ما بال سهمي يوقد الجباحبا قد كنت ارجو ان يكون صائباً (٢)  
وامكن العير وابدى جانبها فصار رأبي فيه رأياً خائباً  
ومكث مكانه ، فمر به قطيع آخر ، فرمى عيراً منها فأصرد (٣)  
السهم فصنع صنيع الأول ، فقال :

أبعد خمس قد حفظت عدها احمل قوسي واريد ردها  
اخزى الاله لينها وشدها والله لا تسلم عندي بعدها  
ولا أرجى ما حيت ردها

١ — مخط السهم : نفذ .

٢ — الجباحب : ما اقتدح من شرر النار من تصادم الحجارة .

٣ — أصرد السهم : اخطأ .

ثم عمد الى القوس فضرب بها حجراً فكسرها ، ثم بات ، فلما  
أصبح اذا الحمر مطرحة حوله ، وأسهمه مضرجة بالدم ، فندم على كسر  
قوسه وشد على ابهامه فقطعها ، وانشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني اذا لقطعت خمسي  
تبين لي سفاه الرأي مني لعمر ابيك حين كسرت قوسي  
ومن هنا راح يضرب بندامته المثل ، فقد قال الفرزدق حين ندم  
على طلاق زوجته نوار :

ندمت ندامة الكسبي لما غدت مني مطلقة نوار  
وهكذا كان الرجز ميداناً فسيحاً للصيادين يخوضون فيه متى  
شاءوا ، فيجدون منه تلبية ومطاوعة ، فيصفون به مهارتهم في الصيد وقوة  
آلاتهم ومئاتها ، ومقدرة حيواناتهم التي ترافقهم في اثناء الصيد وحسن  
تدريبها ، ثم يصفون فريستهم وكبرها وكثرة لحمها .

وقد كان لابي نخيلة الراجز أراجيز في الطرد تناول فيها وصف  
الصيد وما يقوم به الرامي من ملاحقة فريسته ومطاردها ، ثم الانقضاض  
عليها واصطيادها ، ومن هذه الارجيز لاميته التي يقول فيها : (١)

فانصاع يسمى بالصعيد الهابل بلحن من ذي ميمة معاجل (٢)  
حتى دنا من وهج القساطل من ذات زق ساقط الخمائيل (٣)  
فاختلفا تحت جناح المسائل بضربة حديثه في الصاقل  
منقوشة الرقيب والحفائل فهو مقيط كمقاط الغايل

١ — طبقات ابن المعتز ص ٢١ نشر عباس اقبال .

٢ — ميمه الفرس : أول جريه .

٣ — القساطل : الغبار الساطع في الحرب ، وقساطل الخيل : اصواتها .



وفي العصر العباسي عالج كثير من النوابغ الطرديات ، مثل الفضل ابن عبد الصمد الرقاشي وأبي نواس والناشيء الأكبر وابن المعتز وأبي فراس الحمداني وغيرهم ، فوصفوا بها القنص وحوادثه وجوارح الصيد مثل الكلاب والفهود وما الى ذلك .

وبذهب المستشرق نلينو (١) الى أن سبب حفظهم هذا العروض في الطرديات وصفات الحيوان ظاهر ، وهو أن هذا النوع من الشعر كان أصله بدوياً ، ومضمونه اقرب الى احوال أهل الوبر منه الى عيشة سكان المدن وأهل الحضرة .

فمن هذه الارجيز قول ابي نواس في احدى طردياته : (٢)  
لما رأيت الليل منسج الحجب عن سائل الغرة مشهور النقب  
نازلات عصم الوحش عنا عن كذب من كل احوى اللون مبيض الذنب  
يهتز عند الشد بل والمنجذب هزك بالكف حساما ذا شطب  
كانما يطرف من بين الهدب بجمرتي ناز بكف محتطب  
ما كان الا جولة الاروى الشغب ووثبة التيس باقراح الحذب  
حتى اثني محتضبا وما خضب من مفرز الزور الى عجب الذنب

وبمثل هذه الصور راح الرجاز يسخرون بحر الرجز في طردياتهم التي شملت كل ما يتعلق بالصيد ، فوصلتنا ارجيز جميلة في القنص والصيد وكان بحر الرجز صاحبها ومالكها .

---

١ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ص ١٩٢ .

٢ — ديوان ابي نواس ص ١٠٦ دار صادر — بيروت .

ونستطيع ان نستخلص من هذه الطرديات بعض النقاط البارزة التي كانت تتمثل في صيدهم او التي كان يراعيها الصائد وهي :

١ — انهم كانوا يختارون الوقت الملائم للصيد وهو آخر الليل ، حين تكون الحيوانات رابضة في مكانها ، او حينما تذهب الى موارد المياه لترتوي منها .

٢ — كانوا يتخذون اماكن خاصة مستورة يختبئون فيها ، وتكون هذه الاماكن في الغالب قريبة من موارد المياه او على الطريق الذي يؤدي الى هذه الموارد او الذي تمر منه الحيوانات مروحة أو غادية .

٣ — كانوا يستعينون في صيدهم بالكلاب السلوقية والمدربة على ذلك لتساعدهم على اقتناص الفريسة ومنهم من كان يدرّب الفهود ويستعملها لهذا الغرض .

٤ — لقد كانوا يطاردون الوحوش وهم يمتطون الخيول ويمتلون صهواتها ذلك لانهم لا يستطيعون الركض طويلا وراء الحيوان فيستعملون الحصان ليؤدي لهم هذه المهمة .

٥ — كانت السهام اهم الاسلحة التي يستعملونها في اثناء صيدهم ففي هذه السهام ميزات خاصة في صيد الفريسة لا تتوفر في غيرها من آلات الصيد التي كانوا يستعملونها آنذاك .

هذه هي ، الامور المهمة البارزة التي كانت تتمثل في صيدهم والتي نقلها لنا الرجز بتلك الطرديات البديعة .

وبعد ، فإن المتح والصيد والحداه أهم الاغراض التي اقتصرت على  
الرجز او ان بحر الرجز كان اكثر استعمالا فيها ، ومن هنا كانت شهرته  
واسعة من حيث استعماله في هذه الاغراض .

على ان هناك اغراضا اخرى كان الرجز هو المستعمل فيها كثيرا ،  
من ذلك مثلا الارجيز القصيرة في تعليم الاطفال وترقيصهم والغناء لهم  
برجز تناولوا فيه وصف ومدح هؤلاء الاطفال .



## الباب الثالث

### اشهر الرجز

أطلق لفظ ( الرجز ) على كل من أكثر النظم في بحر الرجز أو أقنصر عليه ، وكان معنى ( الرجز ) هو ذلك الشاعر الذي يتعاطى نظم الارجيز فيختص بها أو يكثر منها ، ذلك لأنهم كانوا يرون ان الشعر نوعان : رجز وقصيد ، فالذي يتعاطى الرجز يسمى راجزا والذي يتعاطى القصيد يسمى مقصدا ، اما لفظ الشاعر فانه عام يطلق على الفريقين .

وإذا بحثنا في نظم الشعراء القدامى وجدنا فريقا منهم يقول القصيد ولا يستطيع مجاوزته الى الرجز ، وامثال هؤلاء كثيرون لا داعي لذكر واحد منهم ، ورأينا فريقا منهم على العكس من ذلك يقولون الرجز ولا يستطيعون مجاوزته الى القصيد وامثال هؤلاء المعجاج وابنه رؤبة ودكين الفقيمي . اما الفريق الثالث فهم الذين يقولون القصيد مع شيء قابل من الرجز ، اي ان نظم القصيد هو الصفة الغالبة عليهم ، ومن هذا النموذج الاخطل والفرزدق والبعيث ، وهؤلاء - كما بسميهم

المستشرق نلينو - (١) اصحاب ارجاز لا اراجيز (٢) . على ان في هذا  
الفريق من يكثر من الارجاز وبطيلها مع انه مشهور بتعاطي القصيد ،  
وامثال هؤلاء ذو الرمة وجربير وبشار بن برد . واما الفريق الرابع فهم  
الذين تغلب اراجيزهم على قصيدهم ، ومن هؤلاء حميد الأرقط وابو  
النجم العجلي وابو نخيلة السعدي والشمر دل بن شريك اليربوعي .  
والى هذه الاقسام الاربعة اشار الجاحظ بقوله (٣) : ( وفي الشعراء  
من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز ، ومنهم من لا يستطيع  
مجاوزة الرجز الى القصيد ، ومنهم من يجمعهما ) .

وفي هذا الباب سأبحث عن اشهر الرجاز الذين تخصصوا بالرجز  
ثم أولي العجاج ورؤية عنابة اكبر لأنهما اشتهرا بكثرة اراجيزهما وطولها  
وقوة سبكها ، كما اشتهرا بتمكنهما من فنهما وعدم النظم في غيره ، كما  
انهما قدما للرجز خدمة كبرى حتى جعلاه بطاول القصيد .

### ١ - الاغلب العجلي

هو الاغلب بن جشم بن عمرو من ربيعة ، قال مفتخراً بنسبه هذا :  
ان سرك العز فجحجج بجشم  
أي ابتِ بجحجج منهم (٤) .

١ - تاريخ الاداب العربية - نلينو ص ١٦٧ - ١٦٨ .

٢ - ارجاز - على وزن افعال - وهو جمع قلة ، وارجاز - على وزن افاعيل -  
وهو جمع كثرة من صبغ منتهى الجموع .

٣ - البيان والتبيين - الجاحظ ٢١٥/١ السندوبي .

٤ - الشعر والشعراء ٥١١/٢ ويقال : ان هذا القول في جشم بن الخزرج .

ثوفي الاغلب سنة احدى وعشرين للهجرة (١) . وقال ابن  
قتيبة : (٢) انه عاش تسعين سنة . ومن هنا نستطيع ان نستنتج انه ولد  
سنة تسع وستين قبل الهجرة .

وهو شاعر مجيد عاش في الجاهلية وادرك الاسلام فأسلم ، وبقال :  
انه حسن اسلامه ، وهاجر ، ثم كان فيمن سار الى العراق مع سعد بن  
ابي وقاص ، فنزل الكوفة واستشهد في وقعة نهاوند ، وقبره بها مع  
قبور الشهداء (٣) . وهو آخر من عمر في الجاهلية عمرا طويلا (٤) .  
ويقال عنه انه اول من رجز الارجيز الطوال من العرب . واياه  
عنى العجاج بقوله مفتخراً :

اني انا الاغلب اضحى قد نشر (٥)

وقال ابن حبيب : كانت العرب تقول الرجز في الحرب والحدا  
والمفاخرة وما جرى هذا المجرى فتأني منه بايات بسيرة ، فكان الاغلب  
اول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته (٦) .

وذكر ابن قتيبة انه اول من شبه الرجز بالقصيد وأطاله ، وكان  
الرجز قبله انما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة اذا خصم أو شاتم

---

١ — تاريخ اداب اللغة العربية — جرجي زيدان ١٤٣/١ والاعلام ١/٣٣٩ .

٢ — الشعر والشعراء ٥١١/٢ .

٣ — الاغانى ١٨ / ١٦٤ ساسي ، واعد الغابة — ابن الاثير ١ / ١٠٥ م

الاسلامية بطهران .

٤ — سمط اللآلي — البكري ص ٨٠١ .

٥ — الاغانى ١٨ / ١٦٤ ساسي والشعر والشعراء ٥١١/٢ .

٦ — الاغانى ١٨ / ١٦٤ ساسي .



أو فاخر (١) .

ويذهب الأمدى الى انه ( ارجز الرجاز وارصنهم كلاما وأصحبهم معاني ) (٢) وكان الأصمعي لا يقدر الاغلب حق قدره ، ولا ينزله منزلة مرموقة ، وقد سأله ابو حاتم مرة عن الاغلب : أفجل هو أم من الرجاز ؟ فقال : ليس هو بفجل ولا مفلح . قال : واعيانى شعره . ثم قال الاصمعي لابي حاتم في مناسبة اخرى : ما اروى للاغلب الا اثنتين ونصفا ، فاجابه ابو حاتم : وكيف قلت نصفا ؟ قال : اعرف له اثنتين وكنت اروى نصفا من التي على القاف فطولوها : ثم قال : كان ولده يزيدون في شعره حتى افسدوه (٣) .

على ان الاغلب لم يكن كباقي الرجاز الذين قصروا نظمهم على بحر الرجز ، انما كان يجيد نظم الرجز والقصيد ، يدل على ذلك ما يروى من ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة ان استنشد من قبلك من الشعراء عما قالوه في الاسلام قال : فانطلق ليبد فكتب سورة البقرة في صحيفة ، وقال قد ابداني الله بهذه في الاسلام مكان الشعر . وجاء الاغلب الى المغيرة فقال له :

ارجزا تريد ام قصيدا

لقد طلبت هينا موجودا

فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه ان انقص من عطاء الاغلب

١ — الشعر والشعراء ٥١١/٢

٢ — المؤلف والمختلف — الأمدى ص ٣٣ طبعة الحلبي ، وخزانة الادب —

البغدادى ٣٢٣/١ والاعلام ٢٢٩/١ .

٣ — الموشح — المرزباني ص ٢١٣ المطبعة السلفية .

خمسمائة فزدها في عطاء لبيد (١) .

فهذه الحكاية تدل على ان الاغلب كان يستطيع معالجة الرجز والقصيد معا . وكان الاغلب كثير الفحش في شعره ، اذ كان يستعمل الفاظا نابية وبهجو هجاء مقذعا ، قال عنه الأمدى ان ( له في المقاحشات ما ليس لشاعر ) (٢) وبين ايدينا ارجوزتان من رجزه تدلان على مدى ما في رجزه من فحش وبذاء ، مما يجعلنا نقول انه لم يكن متمسكا بأوامر الدين الاسلامي وآدابه متمسكا تاما ، لانه لو كان كذلك ما سلك مثل هذا السبيل ، اسمعه بهجو سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب (٣) :

قد لقيت سجاح من بعد العمى ملوحا في العين مجاوز القرى  
مثل الغنيق في شباب قد أنى من اللجيمين اصحاب القرى  
ليس بندي واهنة ولا نسا نشأ بخبز وبلحم ما اشتهى  
حتى شتا تنتج ذفراء الندى خاظم البضيع ، لحمه خطا بظا .. الخ  
ثم يستمر في هذه الارجوزة مستعملا الفاظا نابية بأنف عن

ذكرها الانسان العفيف . ولم يقف هجاؤه هذا عند سجاح ، انما كانت

بينه وبين امرأة من العرب اسمها ( كلبه ) مهاجاة . قال بهجوها :

جارية من قيس بن ثعلبه كريمة اخوالها والعصبه

قباء ذات سره مقعبه كانها حقة مسك مذهبه (٤)

١ — الاصابة — ابن حجر ١ / ٧١ وطبقات ابن سلام ص ١١٣ والاغاني

١٨ / ١٦٥ ساسي .

٢ — المؤلف والمختار — الأمدى ص ٣٣ .

٣ — طبقات ابن سلام ص ٥٧٢ والاغاني ١٨ / ١٦٥ ساسي .

٤ — القباء : الضامرة البطن مؤنث الاقب ، من القيب : وهو دقة الخصر ،

والمقعبه : السرة التي دخلت في البطن وعلما حولها حتى صار كالقب

وهو القدح المقعر من الخشب .

ممكورة الاعلى رداح الحجة  
الى اخر هذه الارجوزة التي بنحو فيها نحو ارجوزته المذكورة انفاً .  
وكان الناس يستسخفون بعض رجزه ، قال الاصمعي : كانت  
للاغلب سرحة يصعد عليها ثم يرتجز فقال :

قد عرفني سرحتي وأطت وقد شمطت بعدها واشمطت

فاعترضه رجل من بني سعد فقال له :

قبحت من سالفة ومن قفا عبداً اذا مارسب القوم طفا

كما شرار الرعي اطراف السفا (٢)

على أن الاغلب كانت له أشعار جيدة ، ومعان جميلة وحكم بليغة  
فكان رجزه يعبر عن نفس مجربة خبرت الحياة وعرفت اسرارها ، فمن  
حكيمه المشهورة قوله : (٣)

الحلم بعد الجهل قد يشوب وفي الزمان عجب عجب

وعبرة لو ينفع التجريب والقلب لا يشفى به اللبيب

وكذلك قوله : (٤)

الغمرات ثم تنجلينا ثم تذهبن ولا تجينا

وقوله : (٥)

المرء نواق الى ما لم ينل والموت يتلوه ويلهيه الأمل

---

١ - الممكورة : المطوية الخلق ، و اراد بالأعلى البطن والخصر ، والرداح

- بفتح الراء - المرأة الثقيلة الاوراك ، الحجة : راس الورك .

٢ - الاغانى ١٦٤/١٨ ساسي وطبقات ابن سلام ص ٥٧٢ .

٣ - المؤلف والمختلف - الأمدى ص ٣٣ وخزانة الادب ١/٣٣٣ .

٤ - الاصابة - ابن حجر ١/٧١ .

٥ - الاصابة - ابن حجر ١/٧١ .



## ٢ — المعجاج

المعجاج من أوائك الشعراء الذين لقبوا بسبب بيت شعر قالوه ،  
فهو انما لقب بهذا اللقب لأنه قال : (١)

حتى يعج عندها من عجمجا (٢)

وأسمه عبد الله بن رؤبة ، وهو من تميم ، وربما تكون نسبته الى  
تميم ، وهي القبيلة المشهورة التي تسكن أرض نجد في البادية (٣) ، سبياً  
في اربال المعجاج ومن بعده ابنه رؤبة في البداوة ، بما ظهر ذلك واضحاً  
في أراجيزهما ، إذ أن هذا السكن اثر تأثيراً كبيراً في لغتهما وأسلوبهما  
وغرابة الفاظهما وخشونة كلامهما ، فقد كان أهل البادية يعيدون عن  
تأثير الحضارة ، فبقبت لغتهم على حالها دون أن ترق الفاظها .

يكفى المعجاج أبا الشعثاء وهي ابنته ، اما سنة ولادته فإنها مجهولة  
لا تعرف ، ولكنه على كل حال ولد في الجاهلية ، وقال الشعر فيها ، ثم  
اسلم ، وعاش الى أيام الوليد بن عبد الملك ففاج واقعد (٤) وتوفي نحو  
سنة ( ٩٠ ) للهجرة (٥) .

---

١ — الشعر والشعراء ٤٩٣/٢ ، وشرح شواهد المغني — السيوطي ص ١٨ م .

البهية ، وشرح ديوان المعجاج — مخطوط ص ٢ و ١٠٢ .

٢ — عجمج وعج واحد ، يقال عجمجا : اذا كان كثير الصياح .

٣ — معجم قبائل العرب — كحالة ١٢٧/١ دمشق .

٤ — الاعلام ٢١٧/٤ ط ٢ وشرح شواهد المغني ص ١٨ وتهذيب ابن عساكر

٣٩٤/٧ دمشق .

٥ — الاعلام ٢١٧/٤ ط ٢ .

ينسب أكثر الأدباء والرواة اطالة الرجز وتقصيده الى المعجاج  
ويذهبون الى أنه أول من شبب في الرجز وذكر الديار واستوقف الركاب  
عليها ، واستوصف ما فيها ، وبكى على الشباب ووصف الراحة ، كما  
فعلت الشعراء بالقصيد ، فكان في الرجز كأمريء القيس في الشعراء ،  
وقد قال بهذا الرأي ودعا اليه أبو عبيدة (١) .

اما الحجيمي وغيره فزعموا أن الاغلب المعجلي هو أول من  
طول الرجز (٢) .

وقد تابعهم في ذلك المستشرق نلينو (٣) واستند في ذلك الى  
أبيات للمعجاج بقول فيها مفتخراً :

وان يكن امس شبابي قد حسر وفترت مني البواني وفتر  
أني أنا الأغلب اضحى قد نشر

وقد فسر نلينو هذه الأبيات بقوله ( يعني أنه احبها طريقة  
الاغلب ) (٤) .

والحق هو ما ذهب اليه ابن رشيق اذ قال : ( أول من طول  
الرجز وجعله كالقصيد الاغلب المعجلي شيئاً يسيراً ، وكان على عهد النبي  
صلى الله عليه وسلم ، ثم اتى المعجاج بعد فافتن فيه ، فالاغلب المعجلي  
والمعجاج في الرجز كأمريء القيس ومهلل في القصيد ) (٥) .

---

١ — المزهر ٤٨٤/٢ الخاي والعمدة ٩٠/١ السعادة .

٢ — العمدة ٩٠/١ والمزهر ٤٨٤/٢ .

٣ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ص ١٦٦ .

٤ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ص ١٦٦ .

٥ — العمدة ١٨٩/١ السعادة .

فالعجاج هو الذي اطال النظم في هذا البحر اطالة حقيقية ومد  
اطنابه ، وقد كان بارعاً في ذلك ، فجاءت أراجيزه تحمل فناً بديعاً في  
حسن سبكها وجودة صياغتها حتى ان من تأمل اشعاره واشعار ابنه روبة  
تعجب من جودة صناعتها ومهارتهما في صوغ الارجيز الطولى على  
روى صعب سالمة من الاقواء والاكفاء . (١) وربما يكون هذا هو الذي  
حمل بونس بن حبيب على ان يعد العجاج اشعر أهل الرجز والقصيد  
قائلاً : انما الشعر كلام ، فأجودهم كلاماً اشعرهم ، والعجاج ليس في  
شعره شيء . يستطبع احد ان يقول : لو كان في مكانه غيره لكان اجود ،  
وذكر أنه صنع أرجوزته :

قد جبر الدين الاله فجبر

فهي نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيّدة ، قال : ولو اطلقت  
فوافيها كانت كلها منصوبة ، وكذلك عامة اراجيز العجاج ورؤية (٢)  
وزيادة على ذلك فان لهما التوسع العجيب في اللغة ، حيث كانا  
محيطين بتصريفاتها واشتقاقاتها ، حتى ان الناس راحوا يتبعونهما ويأخذون  
عنهما ، قال ابن جني : ( كان قدام اصحابنا يتعقبون رؤية واباه ،  
ويقولون : تهضما (٣) اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الافحاح  
فيها ، وذلك لا يغالهما في الرجز ، وهو مما يضطر الى كثير من التفريع

١ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ص ١٧٨ ، الاقواء : اختلاف حركة  
القافية . والاكفاء : اختلاف حروف القافية وتقارب مخارجها مثل الميم  
والنون ( الموشح ص ١٥ ) .

٢ — الاغانى ١٢٤/١٨ و ٦١/٢١ ساسي والعمدة ٨٩/١ والمزهر ٤٨٤/٢ .

٣ — تهضمه : ظلمة ( الصحاح — باب الميم فصل الهاء ) وهظم فلانا : ظلمه  
وغضبه كاهتضمه وتهضمة ( القاموس المحيط — باب الميم فصل الهاء ) .



والتوليد ، لقصره ، ومسابقة قوافيه ( ١ ) .

فمن تهضم العجاج للغة وتعقب الناس له ، ما ذكره الخليل من  
ان رجلا انشده :

ترافع العز بنا فارفنعما

فقال له الخليل : هذا لا يكون . فأجابه : كيف جاز للعجاج  
ان يقول :

تفاعس العز بنا فافنعسا

ولا يجوز لي !؟ ( ٢ )

ألا ترى أن العجاج قد ظلم اللغة باستعماله وزناً مهملاً غير  
مستعمل . وانما سمح له ذلك لانه موغل ومتعمق في الرجز ، ولهذا  
لايجوز للناس الاخرين ان يقيسوا عليه وعلى امثاله من الرجاز .

أما التوليد ( ٣ ) في اللغة فان العجاج ورؤية كانا قد قدما منه  
شيثاً قليلاً ، ومن امثاله تلك الكلمات الاعجمية التي عرباها والتي مر بنا  
قسم منها في فصول متقدمة من هذه الرسالة .

لهذا كان الناس وراء العجاج وابنه رؤية في كل ما يقولانه ، وبكفي  
في ذلك ان تعلم أن يونس بن حبيب كان يستقي مفرداته اللغوية من  
هذين الراجزين الكبيرين .

وقد اقتدى العجاج في سائر أراجيزه بالافكار والمعاني المتعارفة

١ — الخصائص — ابن جني ٢٩٧/٣ .

٢ — الخصائص — ابن جني ٣٦٠/١ و ٢٩٧/٣ والشعر والشعراء ٢٢/١ .

٣ — رجل مولد وكلام مولد : عربي غير محض ، والمولد : المحدث من كل  
شيء . ومنه ( المولدون ) من الشعراء والادباء سموا بذلك لحدوثهم .

عند شعراء الجاهلية من أهل البادية ، فكانت الصحراء وما يلوح فيها ميداناً فسيحاً لوصفه وتشبيهاته ولكنه - مع هذا - استطاع الخروج على عادة القدماء في افتتاح قصائدهم بالغزل وذكر الاحبة وبكاء الديار والوقوف على الاطلال ، ثم التخاص بعد ذلك الى الاغراض التي يريدونها من مدح وهجاء وفخر ورتاء وما الى ذلك .

وقد خالفهم المعجاج في هذه الطريقة واتبع أسلوباً آخر في افتتاح بعض أراجيزه ذلك أنه ابتدع مطالع دينية تضمنت حمد الله والثناء عليه ، وقد تكلمنا على هذا الموضوع باسهاب في فصل خصائص الرجز ، ولعل المعجاج أول من استعمل مثل هذه المطالعات الدينية .

هذا وقد كان المعجاج سريع البديهة حاضرهما ، فكان ينظم أراجيزه الطويلة في وقت قصير ، يحدثنا هو عن ذلك فيقول : قلت أرجوزتي التي أولها :

بكيت والمحتزن البكي

وأنا بالرمل في ليلة واحدة فانثالت علي قوافيها انثيالا . (١) .  
ومثل هذا ما رواه ابن قتيبة من أن المعجاج قال أرجوزته التي فيها قوله :

حتى يبعج عندها من عجمجا

في ليلة واحدة فانثالت عليه القوافي - كذلك - انثيالا . (٢) .  
وهذا وامثاله يعطينا فكرة جلية عن مدى تمكن المعجاج من صنعه وسعة ملكته اللغوية وقوة شاعريته وسرعة بديهته .

---

١ - شرح شواهد المغني - السيوطي ص ١٨ .

٢ - الشعر والشعراء ٤٩٣/٢ .

وقد افراط العجاج في استعمال الغريب من الالفاظ في اشعاره  
 بما سبب استعجابها الشديد على القارىء ، ولولا عناية صاحب الصحاح  
 وصاحب لسان العرب وصاحب تاج العروس وامثالهم بجمع معاني كلمات  
 اللغة العربية ، وجمع اقوال اللغويين القدماء ، لبقى كثير من الفاظ  
 تلك الارجيز كأنها الغاز أو طلاس لا يمكننا التوصل الى حلها وفك  
 رموزها وفهم معانيها . (١) اذ أنه كان يعتمد الى الالفاظ الفارسية فيعربها ،  
 والى الاستعمالات الشاذة ، والكلمات غير القياسية فيدخلها في رجزه ،  
 ولكنه كان أكثر افراطاً في استعمال الالفاظ الغريبة ، حيث كان له ولع  
 شديد في ذلك ، ونستطيع ان نرجع ذلك الى الظروف والبيئة التي عاش  
 فيها العجاج ، فقد انصرف الناس في ذلك العصر الى البحث عن غرائب  
 اللغة وتدوين مفرداتها واشتقاقاتها ، فكان رجز العجاج المحشو  
 بالغريب والصعب ملبياً لتلك الرغبة الشديدة لدى الناس عامة  
 واللغويين خاصة .

ومن خصائص صناعة العجاج شدة ميله الى أنواع المجانسة لاسيما  
 التجنيس المحقق أو المستوفى - كما يسميه الجرجاني - وهو الذي انفقت  
 فيه الحروف دون المعنى رجع الى الاشتقاق أم لم يرجع ومثال ذلك  
 قول العجاج : (٢)

نردھا مفللاً كلابها بأسد غاب في الأكف غابها  
 فالغاب الأولى جمع غابة وهي الأجمة ، والغاب الثانية هي  
 الرماح . كما كان له ميل الى استعمال الجناس المضارع أو المضارعة

١ - تاريخ الآداب العربية - نلينو ص ١٨٦ .

٢ - شرح ديوان العجاج - مخطوط ص ١٣٣ .



الكائنة بتقارب مخارج الحروف مع تقديم وتأخير أو مع زيادة أو نقصان (١) ، من ذلك مثلاً قول العجاج : (٢)  
وانزف العبرة من لاقى العبر طال الانى وزابل الحق الأشرف (٣)  
فالجناس هنا في كلمتي العبرة العبر ، ومنه أيضاً قوله : (٤)  
خوصا يسافطن المهار والمهر ينفضن افنان السيب والعذر (٥)  
على أن الاكثار من استعمال المجانسة يستثقل فيضر جودة الشعر . (٦) .

وهكذا كانت طريقة العجاج في رجزه ، حب للغريب واكثار من استعماله ، وولع في ذكر الشاذ ، واستغراق في المعاني البدوية ، حتى أصبحت هذه الطريقة صفة غالبية عليه وعلى ابنه رؤبة وهي اشبه شيء بصفة خاصة بهما ، لذلك راح الناس يضربون بها المثل .  
روى أن أبا العتاهية قال لمحمد بن منذر : شعرك مهجن لا يبلحق

- 
- ١ — لقد وضع عبد القاهر الجرجاني في كتاب ( اسرار البلاغة ) أنواع المجانسة كما ذكر ذلك ابن رشيق في عمدته ٣٢٦/١ .
  - ٢ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ص ٤ .
  - ٣ — يقول : بكوا متى نزفوا عبراتهم ، والانى : التملك والانتظا والتانى . الاشر : البطر .
  - ٤ — شرح ديوان العجاج — مخطوط ٩/ .
  - ٥ — الخوص : الغابرات الاعين ، والخوص من الابل : التي لم تشق عيونها بعد ، المهارة : الذكارة وهو جمع مهر ، والمهر : الاناث ، افنان : نواح ، والسبيب : شعر الناصية والذنب ، والعذر : الشعرات اللواتي تحت ذفريه .
  - ٦ — تاريخ الآداب العربية — نلينو ص ١٨٦ .

بالفحول وأنت خارج عن طبقة المحدثين ، فإن كنت تشبهت بالمعاج ورؤية  
فما لحقتهما ولا أنت في طريقةهما ، وإن كنت تذهب مذهب المحدثين فما  
صنعت شيئاً ، أخبرني عن قولك :

ومن عاداك لاقى المرمريسا

أخبرني عن المرمريس ما هو ؟ فنجعل ابن مناذر وما راجعه  
حرفاً (١) .

هذه هي شهرة المعجاج ، وهي شهرة واسعة اغنت رؤية عن  
ذكر نسبة الطويل حينما سأله النسابة البكري قائلاً : من أنت ؟  
فأجابته رؤية : ابن المعجاج . فقال النسابة : قصرت وعرفت (٢) .  
على أن مهارة المعجاج وتمكنه من فنه لانهني أنه لم يقع في اخطاء  
طفيفة ، أو أنه لم تحدث له هفوات بسيطة . شأنه في ذلك شأن كل  
انسان ، اذ هو معرض للخطأ . فمن هذه الهفوات والاختفاء ما اخذ  
عليه في قوله :

كان عينيه من الغفور قلنان أو حوجلنا قارور (٣)  
صيرتا بالنضح والتصبير صلاحل الزيت الى الشطور  
ذلك أنه جعل الزجاج ينضح ويرشح ، وهو بما لا يكون (٤) .  
وكان رؤية يأخذ على أبيه قوله :

---

١ — الاغانى ١٦٥/٣ ساسي ، وسر الفصاحة — الحفاجي ص ٧٢ مع شي من  
النقص ولاختلاف .

٢ — التاريخ الكبير — ابن عساكر ٣٣٢/٥ مطبعة روضة الشام .

٣ — الحوجلنان : القارورتان .

٤ — الشعر والشعراء ٤٩٤/٣ والعقد الفريد ٣٦٤/٥ .

مبارك للأنبياء خاتم فخرندف هامة هذا العالم  
من أرجوزة يقول في مطلعها :

بادار سلمى با اسلمي ثم اسلمي بسمسم أو عن يعين سمسم  
وقل لها على تنائيهما عمي ظللت فيها لا ابالي لومسي  
ذلك أنه افراط وجاوز السناد (١) مع حذفه ، لأنه جاوز في  
البيتين سناداً فاحشاً حتى أخذت الناس عليه ، أما رؤية فكان يرى  
هذا عيباً . (٢)

ولهذا فقد عد رؤية نفسه اشعر من ابيه ، قال ليونس : انا اشعر  
من أبي . فأجابه : بل أبوك اشعر منك . قال رؤية : أبي يقول :  
( بادار سلمى . . . وذكر الايات السابقة ) (٣)

هذه بعض عيوب بسيطة كانت تؤخذ على المعجاج ، وهي - على  
كل حال - أقل من محاسنه بكثير .

على أن الهجاء لم يعرف عنه ولم يشتهر به ، مع انه يفتخر بجدة  
لسانه الذي أسكت به خصومه وأفجمهم ، يقول : (٤)

اني اذا ما عصبة أنتابها ظالمة قد سرني سبابها  
أصدقها الشتم ولا أهابها حتى ترى جاحرة كلابها  
وسئل المعجاج عن ذلك اذ قال له سليمان بن عبد الملك : انك

---

١ - السناد : عيب من عيوب الشعر ، وهو أن تؤسس بيتاً ولا تؤسس آخر . اما  
التأسيس فانه الف بينها وبين حرف الروى حرف متحرك .

٢ - الموشح : المرزباني ص ٢١٥ .

٣ - الموشح - المرزباني ص ٢١٥ .

٤ - شرح ديوان المعجاج - مخطوط ص ١٣٣ .



لا تجيد الهجاء ! فقال : ان لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم ، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ (١) فهو — اذن — لا يريد أن يتناول أعراض الناس بالتهش والطعن لئلا يطعن عليه أو ينتقص منه .

هذا ما يدعيه العجاج ، ولكن الحقيقة ليست كذلك ، ذلك أن العجاج توهم فظن أن المدح بناء ، والهجاء هدم ، ولما كان بإمكانه أن يمدح فبإمكانه أن يهجو كما يدعي .

ولكنه كان مخطئاً في هذا الرأي ، إذ أن المدح بناء والهجاء بناء وليس كل من يبني بالطين باستطاعته أن يبني بالحجر أو غيره . وكذلك الشعراء فهم مختلفون في الطبع ، فمنهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المرثي ويتعذر عليه الغزل (٢) .

وقد رد ابن قتيبة (٣) على قول العجاج هذا بأن الهجاء أيضاً بناء وليس كل بانٍ لضرب بانياً لغيره ، وردده الجاحظ أيضاً بأن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر ، وان أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في كل صناعة ، ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وان اختلف اللفظان ، والصواب ما قالوا إلا ان يعرف من الشاعر انف عن قدرة لاندفع ، وبعد تجربة لا تستراب فحينئذ (٤) . أما العجاج فلم تكن لديه تلك الانفة

---

١ — الشعر والشعراء ٤٩٣/٢ وتهذيب ابن عساكر ٣٩٤ / ٧ وشرح شواهد

المغني ص ١٨ والعمدة ١١٢/١ .

٢ — الشعر والشعراء ٣٧/١ .

٣ — المصدر السابق ٣٧/١ .

٤ — العمدة ١١٢/١ .

أما حاول أن يهجو وحرب ذلك ولكنه فشل ، وخرج من هذا الميدان  
مندحرا ، فأعرض عن فن الهجاء لأنه لا يستطيع الاجادة فيه ، وبما يدل  
على قولنا هذا حادثة جملته اضحوكة للناس ، ذلك انه خرج على ناقة له  
قد أجاد رحلها وعليه ثياب حسان حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون  
فأنشدهم قوله :

قد جبر الدين الاله فجبر

فذكر فيها ربيعة وهجاهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى ابي  
النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالس وهذا المعجاج يهجوننا بالمربد  
قد اجتمع عليه الناس ! قال : صف لي حاله وزيه الذي هو فيه ،  
فوصف له ، فقال : ابغني جملا قد أكثر عليه من الهناء ، فجاء بالجمل  
اليه ، فأخذ سراويل له فجعل احدى رجله فيها واتزر بالاخري وركب  
الجمل ودفع خطامه الى من يقوده ، فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا  
من المعجاج قال : اخلع خطامه فخلعه ، وأنشد :

تذكر القلب وجهلا ما ذكر

حتى بلغ الى قوله :

اني وكل شاعر من البشر شيطانه اثنى وشيطاني ذكر  
فما رأني شاعر الا استتر فعل نجوم الليل عابن القمر  
عشي تميم واصغرى فيمن صغر وجاوري الذل واعطي من عشر  
وامرى الاثني عليك والذكر فانما يشرب من ذل السور

فلما فرغ من انشادها حمل جملة على ناقة المعجاج يريدھا ، فضحك  
الناس وانصرفوا وهم ينشدون قوله : « شيطانه اثنى وشيطاني ذكر » .  
اما المعجاج فلم يجد له ملاذاً إلا الهرب (١) .

١ — الشعر والشعراء ٥٠٢/٢ والاغاني ١٥٠/١٠ ووزارة الثقافة ٧٣/٩ ساسي

وهكذا حاول العجاج أن يدخل سوح الهجاء ولكنه خرج منها  
هارباً مذعوراً ، فأراد أن يبرر موقفه هذا فادعى بأن له أخلاماً تمنعه  
من أن يظلم ، وأحساباً تمنعه من أن يُظلم .  
على أن هناك شيئاً يحتمل أن يكون هو الذي صرف العجاج عن  
هجاء الناس ، هذا الشيء هو ما ذهب إليه الشاعر بقوله :

والظالم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم  
فربما تكون هذه العلة الخفية هي التي منعت العجاج من تناول فن  
الهجاء ، واطن أن هذه العلة هي عدم استطاعته الوقوف امام الشعراء  
وسبقهم في ميدان الهجاء ، يدل على هذا ، التهديد العنيف الشديد  
الذي هدد به جرير العجاج وابنه روبة قائلاً : ( يا بني ام العجاج ، والله  
لئن وضعت كلكلي عليكما ما اغنت عنكما مقطعاتكما ) (١) وكان  
العجاج يعتذر اليه وبحلف وبخضع ، وهذا يدل على انه لا يستطيع ان  
يجاربه في ميدان الهجاء .

ولو كانت للعجاج أحلام تمنعه من ان يظلم ، واحساب تمنعه من  
أن يظلم ، لما هجا ربيعة ، ولما كانت بينه وبين ابي نخيلة الراجز مهاجاة  
حيث ذكر ابن قتيبة أن أبا نخيلة كان يهاجي العجاج فلمّا تنافرا في  
شعرهما حضرهما الصبيان ، فذهب انسان يطردهم فقال العجاج : دعهم  
فانهم يغلبون ويبلغون (٢) .

وبلاحظ أن العجاج لم يعالج الرثاء أيضاً ، وبذهب المستشرق  
نلينو الى انه ( عسر عليه فاستنكف منه ) (٣) .

١ — الاغاني ١٢٣/١٨ ساسي وتهذيب ابن عساكر ٣٩٤/٧ .

٢ — الشعر والشعراء ٥٠١/٢ .

٣ — تاريخ الاداب العربية — نلينو ص ١٧٢ .



فد يكون ما ذهب اليه نلينو حقا ، ولكننا رأينا في بحثنا عن  
 الهجاء بالرجز أن الرجز لا يوافق في حركاته السريعة المضطربة حالة  
 الحزن والهدوء التي تخيم على الشاعر . ولهذا يضطر الشاعر الى استخدام  
 أبحر أخرى اصلح لهذا الغرض من الرجز فيسخرونها في فن الرثاء .  
 على أن رأي نلينو في هذه المسألة ربما يكون أكثر صحة ، كما  
 أنه يوافق ما ذهب اليه ابن قتيبة والجاحظ وابن رشيق بان ليس كل  
 بان لضرب بانيا لغيره .

وللعجاج ديوان رجز مخطوط مع شرحه ، ليس فيه شيء من  
 القصيد ، وهذا الديوان موجود مع شرحه في دار الكتب المصرية بالقاهرة  
 وقد كتب على أول ورقة منه بالخط الكبير ( هذا ديوان أبي رؤبة  
 عبد الله العجاج مع شرحه ) وكتب تحت هذا العنوان بخط صغير ( كان  
 استنساخه في دار السعادة من كتب خانة المرحوم السلطان محمد الفاتح من  
 كتاب قد وجد عليه محررا ما صورته : قد انتهى مصححا على ابن اخت  
 الاصمعي . . . . . لكن بدون تاريخ ) .

### ٣ — رؤبة بن العجاج

ورؤبة (١) كأبيه راجز مشهور قصر نظمه على الرجز ، وكان من

---

١ — معنى الرؤبة — بالهمز — القطعة التي بشعب بها الاناء ( طبقات النحويين  
 واللغويين — الزبيدي ص ٤٩ ووفيات الاعيان ٦٣/٢ وتهذيب الصحاح  
 — مادة — رأب — ) .

وقال ابن خلف في شرح شواهد سيبويه : قيل : سمي رؤبة لأنه ولد  
 نصف الليل لان من معاني الروبة — بدون همز — القطعة من الليل ،  
 يقال : روبة الليل : أي ساعة منه ، ( خزنة الادب ٤٣/١ ) .

مختصر مي الدولتين الأموية والعباسية ، ولكن سنة ولادته مجهولة ، أما وفاته فكانت في زمن المنصور سنة خمس وأربعين ومائة (١) .

وتوفي في البصرة كما قال الخليل ، ذلك ان يعقوب بن داود قال :  
( لقيت الخليل بن احمد يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله  
دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : هذا  
حين انصرفت من جنازة رؤبة ) (٢) .

فالظاهر من هذه الرواية أن رؤبة مات في البصرة ودفن فيها  
ولكن هناك رواية أخرى تقول ان رؤبة خرج من البصرة الى البادية  
بعد أن ظهر ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وخرج على أبي جعفر  
المنصور ثم جرت الواقعة المشهورة ، فخاف رؤبة على نفسه وخرج الى  
البادية ليتجنب الفتنة ، فلما وصل الى الناحية التي قصدتها ادركه اجله  
بها فتوفي هناك (٣) فهذه الرواية تناقض الرواية الاولى .

ذلك ان هذه تقول انه توفي في البادية ، وتلك تذهب الى أنه  
توفي في البصرة ، والمستشرق بروكلمن يرى أنه مات هارباً بعد خروج  
ابراهيم العلوي على بني العباس (٤) . أي أنه يؤيد الرواية الثانية ويرى  
أنه مات في البادية .

وكان رؤبة يجول في التجارة بخراسان أو كرمان دون أن يكون له  
مقر ثابت ، وانتقل أخيراً الى البصرة فأقام بها .

أما شاعرية رؤبة فكانت عظيمة ، حتى أن أبا عمرو بن العلاء

١ — معجم الادباء ، يافوت ١١/١٤٩ مرغليوت ، ووفيات الاعيان ٢/٦٣ .

٢ — الاغانى ١٨/١٢٥ ساسي .

٣ — وفيات الاعيان ٢/٦٣ محي الدين عبد الحميد .

٤ — تاريخ الادب العربي — بروكلمن ١/٢٢٧ التجار .

يرى أن الرجز ختم برؤبة (١) . يريد بذلك انه آخر نوابغ الرجاز الذين قصروا نظمهم على الرجز فأكثروا منه واجادوا فيه . وقد ذهب الى مثل هذا الرأي المستشرق نلينو حينما قال : ( ان رؤبة بن العجاج آخر النوابغ الذين قالوا الأراجيز الحقيقية ، أعني القصائد الجارية مضمونها على الاسلوب القديم مع انها مصوغة في بحر الرجز المشطور ) (٢) .

والحقيقة أن رؤبة راجز مبدع لم يستطع من جاء بعده أن يلحق به ، فكان ابنه عقبة يقول الرجز ولكن رجزه لم يحفظ ولم يرو ، وجاء بعد رؤبة من الرجاز محمد بن ذؤيب الفقيمي المعروف بالعماني ولكنه كان مقصرا عن مرتبة رؤبة ولم ينل ما ناله من مكانة عالية .

وقد اشتهر رؤبة بمتانة شعره وقوة اسلوبه وفصاحته واحاطته بشوارد اللغة واوابدها روى عن ابن عون انه قال :

( كان الحسن البصري يشبه برؤبة في فصاحة لهجته وعريته ) (٣)  
واضاف ابن عون قائلا انه لا يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرف مدغم قط . وكان يونس بن حبيب يقرن رؤبة الى أبيه ويعدهما أشعر أهل الرجز والقصيد . (٤) كما أنه كان يرى أن رؤبة عربي فصيح حتى أنه يفوق معد بن عدنان ، وقد قال هذا الكلام ردأ على شبيل بن

١ — المزهري ٤٨٤/٢ الخليلي والعمدة ٨٩/١ السعادة .

٢ — تاريخ الاداب العربية — نلينو / ١٩٠ .

٣ — المعارف — ابن قتيبة / ٤١١ دار الكتب ، والافغاني ١٢٤/١٨ و ٦٠/٢١

ساسي .

٤ — الافغاني ١٢٤/١٨ و ٦١/٢١ ساسي .



عروة الضبعي الذي حاول الانتقاص من رؤبة (١) .

ورؤبة أكثر شعراً من أبيه ، وذهب البعض الى أنه أفصح من أبيه (٢) قال بروكلمن أن رؤبة أشعر من أبيه وأغزر رجزاً (٣) .  
وخصائص رجز رؤبة كخصائص رجز أبيه تماماً ، إذ انه درس على أبيه وتلمذ عليه فكان نسخة طبق الاصل له ، فكما أن العجاج أهمل تعاطي الرثاء والهجاء ، فقد كان رؤبة كذلك ، إذ احتذى حذو أبيه في اغفال تعاطي الهجاء والرثاء . والسبب في انصراف رؤبة عن الهجاء محافظته على سمعته كما يدعي ، وهي نفس العلة التي تعال بها ابوه ، فقد قال معللاً هذا الانصراف (٤) .

اني امرؤ للناس غير سباب للقراب الادنى ولا الأجناب  
اجتنب العيب أنقاء الاعياب والقول يلقي بعضه في الانياب  
ماضيه امضى من حداد النشاب والقول ينمي بعد غب الاغياب  
فهو - كما ترى - يرتأي نفس رأي أبيه ويعمل انصرافه عن  
الهجاء بما تعال به ابوه ، ذلك أنه لا يريد ان يظهر عيوب الناس ويتناولها  
بالكشف والتشهير ، لكيلا يلجأ الناس الى عيوبه فيكشفوها ، وقد كان  
يرى أن القول السيء يلقي صاحبه في مهلكة وعذاب ، إذ أن اثره لا يمحي  
من الفؤاد ، فهو - اذن - حلیم يحترق الانسان الحقيير ويزدرجه ،

---

١ - انظر القصة في وفيات الاعيان ٢ / ٦٣ وطبقات النحويين واللغويين  
الزبيدي / ٤٩ .

٢ - الموشح - المرزباني / ٢١٩ السلفية .

٣ - تاريخ الادب العربي - بروكلمن ١ / ٢٢٧ دار المعارف .

٤ - مجموع أشعار العرب ص ٥ .

يقول : (١) .

اني امرؤ أحقر أمر الأحقر حلماً واكروما بها تقدري  
على اننا نستطيع ان نقول في هذا المقام ورداً على ادعاء رؤبة  
ما قلناه في أمر أبيه . وقد اولع رؤبة باستعمال الغريب من الالفاظ ، حتى  
أن معظم أراجيزه لانكاد تخلو من كلمات صعبة والفاظ غريبة ، ويبدو  
أن رؤبة كان يرى أنه من الضروري ان تحتوي أراجيزه على مثل هذه  
الالفاظ وتلك الكلمات ، لكي تكون مادة صالحة للنحويين واللغويين .  
وكان رؤبة يقدر اشعاره تقديراً عظيماً . ويرى أن صياغته لاشعاره  
وسبكه لها ، انما هو من صنعة صانع ماهر قادر ، وحينما تتصفح ديوانه  
تجده بشيد بشعره ويمدح صنعته في اماكن عديدة من ذلك مثلاً قوله في  
أرجوزة مدح بها تميماً : (٢)

ما كان تحبير البعاني البراد برجو وان داخل كل وصاد  
نسجي ونسجي بجرهد الجداد (٣)

وقوله كذلك من أرجوزة يمدح فيها القاسم بن محمد بن  
القاسم الثقفي : (٤)

وقلت والأفوال ما ينبري كيف تراني انتحي في الدفتر  
على قضيب الذاهبات الشبر لا ينظر النحوى فيها نظري (٥)

١ — مجموع أشعار العرب ص ٦٠ .

٢ — مجموع أشعار العرب ص ٣٨ .

٣ — الجرهد والجرهد : السيار النسيط .

٤ — مجموع أشعار العرب ص ٦١ .

٥ — الشبر : العظيمة ، يقال : تشبر : أي نعظم ، ونقول شبره فتشبر : أي

عظمه فتعظم .

وان لوى لحييه بالتحكر وهو دهي العلم والتعبير (١)

حتى استقامت بي على التيسر

ثم قال أرجوزة بمدح بها الوايد بن يزيد ويذكر أنه لا يبلغ  
شاؤه ولا يسبق في الوصف: (٢)

قلت ولا يبلغ وصفي واصف لآمدحن والمعروف عارف

بمستجدات لها طرائف لها مسير ولها موافق

أسها صنع يهن فائف (٣)

وقد تتبع الناس رؤبة كما تتبعوا اباها فأقتبسوا منه واستشهدوا

بشعره ، وقد اخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون

بشعره (٤) ، ويقولون بأمامته في اللغة (٥) .

وكان بعض الشعراء يسأل رؤبة عن غريب الكلمات ثم يستعملها

في شعره ، من ذلك ما حدث به الاصمعي عن خلف قال : سمعت رؤبة

ابن العجاج يقول : لقبني الكميث والطرّماح فسألاني عن الغريب ثم

سمعت في شعرهما بعد (٦) وحدث المبرد قال : ذكر عن رؤبة بن العجاج

أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلي منتجعاً له ، فأنااني

رجلان لا اعرفهما فسألاني عن شيء ليس من لغتي فلم اعرفه ، فنغامزاني

١ — تحكر واحتكر الشيء : جمعه واحتسبه انتظارا لغلانه .

٢ — مجموع أشعار العرب / ١٠٢ .

٣ — القائف : الذي يتبع الأناز ويعرفها ، أو الذي يعرف النسب بفراسته .

٤ — الاغانى ٥٧/٢١ ساسي .

٥ — الاعلام ٦٢/٣ ط ٢ .

٦ — الموشح - المرزباني / ١٩٢ م . السلفية .



فتقبعت عليهما فهما ، ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسمعان في الشيء  
فيكتبانه ويدخلانه في اشعارهما فعلمت انهما ظريفان وسأت عنهما  
فقبل لي : الكميت والطرماح [١] .

وربما سرق بعض الشعراء المعاني الشعرية التي تناولها رؤبة ،  
بحدثنا رؤبة عن ذلك فيقول : [٢] كلما قلت شعراً سرقه ذو الرمة ،  
فقبل له : وما ذاك ؟ قال : قلت :

حي الشهبق ميت الانفاس

فقال هو :

تطرحني بالمهمه الاغفال كل حصين لعق السربال

حي الشهبق ميت الاوصال

ثم أن رؤبة كان يقول لبلال بن أبي بردة : علام تعطي ذا الرمة  
فوالله انه ليعمد الى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها [٣] .

وقد لجأ بعض الشعراء الى اتحال اشعار رؤبة ونسبتها الى أنفسهم  
حتى أنهم كانوا ينتحلون بعض أراجيزه ويمدحون بها الخلفاء والامراء  
والولاة وينالون اعطياتهم يروى أن أبا نخيلة الراجز دخل على عمر بن  
هبيرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأشده ابو نخيلة  
مدبحة له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نخيلة أي شيء أحدثت بعدنا ؟

---

١ — الموشح / ١٩٢ ، كتاب الخصائص — لابن جني ٣ / ٢٩٧ مع اختلاف

في الرواية .

٢ — الاغانى ١١٦/١٦ ساسي .

٣ — المصدر السابق ١١٨/١٦ .

فاندفع ينشده ارجوزة لرؤبة ، فلما توسطها كشف رؤبة الستر واخرج رأسه من تحته فقال له :

كيف أنت يا أبا نخيلة ، ألم تنهك ابن لانعرض لشعري اذا كنت حاضراً ، فاذا ماغبت فشأنك به . فضحك أبو نخيلة وقال : هل أنا الا حسنة من حسناتك ، وتابع لك وحامل عنك ، فعاد رؤبة الى موضعه فاضطجع ولم يراجعه حرفاً . (١)

وكان رؤبة وصافاً للبعير ، ولكنه غير مجيد في وصف الفرس . فقد أنشد مسلم بن قتيبة قوله في وصف قوائم الفرس :

يهوين شتى ويقعن وفقاً

فقال له مسلم : أخطأت في هذا يا أبا الجحاف ، جعلته مقبدا ، فقال له رؤبة ادني من ذنب البعير . (٢) يعني أنه اخطأ في هذا ، لأنه لايجيد وصف الفرس ، انما هو يجيد وصف البعير .

هذا وقد استدرك على رؤبة عدة أمور . واخذت عليه بعض المأخذ من ذلك مثلاً قوله : (٣)

كنتم كمن ادخل في جحر يدا فأخطأ الافعى ولافى الاسودا  
فأخطأ في ذلك ، لأنه جعل الافعى دون الاسود وهي فوقه في المضرة .  
وهناك بعض المأخذ الاخرى التي ذكرها ابن قتيبة في الشعر  
والشعراء ٤٩٧/٢ وابن عبد ربه في العقد الفريد ٣٦٤/٥ .  
ولرؤبة ديوان رجز يدور معظمه حول المديح ، وله أراخير قليلة

---

١ — الاغاني ١٥٠/١٨ ساسي .

٢ — الشعر والشعراء ٤٩٦/٢ والعقد الفريد ٣٦٤/٥ .

٣ — الشعر والشعراء ٤٩٧/٢ والعقد الفريد ٣٦٤/٥ .

في الفخر وفي وصف المفازة والسراب . وقد نشر وايم بن الورد ديوان  
رؤبة في مجموع أشعار العرب . ويوجد لديوان رؤبة شرح مخطوط كتب  
فيه بعد الفهرست : ( هذا ديوان رؤبة بن العجاج استنسخ بالمدينة المنورة  
على ذمة الفقير محمود سامي الشهير بالبارودي سنة ١٢٨٩ ) وهذا الشرح  
موجود في دار الكتب المصرية بالقاهرة .

ولكن الأراجيز الموجودة فيه أقل من أراجيزه التي نشرت في  
مجموع أشعار العرب .

#### ٤ - أبو النجم العجلي

هو الفضل بن قدامة من بني بكر بن وائل ، وهو من رجاز  
الاسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الاولى منهم . (١) وكان ابلغ في  
النعث من العجاج . (٢) يدل على ذلك وصفه البديع للأبل في أرجوزته  
المشهورة بـ ( أم الرجز ) والتي سنطرق اليها بعد قليل وهو من اكابر  
الرجاز ، ومن أحسن الناس انشاداً للشعر . (٣) نبغ في العصر الأموي  
وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام . [٤] وقد عاصر  
العجاج وجرت بينهما مرازمة في المربد . (٥) وكان يجتمع برؤبة  
ويتراجز معه ، قال عامر بن عبد الملك المسعبي كان رؤبة وأبو النجم  
يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ فكان أبو النجم يتسرع الى رؤبة حتى

١ - الأغاني ١٠/١٥٠ ووزارة الثقافة والارشاد و٧٣/٩ ساسي .

٢ - المصدر السابق وطبقات ابن سلام ص ٥٧٦ .

٣ - الأغاني ١٠/١٥١ ووزارة الثقافة والارشاد و٧٣/٩ ساسي

٤ - الاعلام ٥/٣٥٧ .

٥ - الشعر والشعراء ٢/٥٠٢ والأغاني ١٠/١٥٣ ووزارة الثقافة والارشاد .



اكفه عنه . (١) وقال فتيان بني عجل لأبي النجم مرة : هذا رؤبة بالمربد يجلس  
فيسع شعره وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان من بني تميم ، فما يمنعك من ذلك ؟  
قال : أوتحبون هذا ؟ قالوا : نعم . قال : فأتوني بعس من نبيذ فأتوه  
به فشربه ثم نهض وقال :

إذا اصطبحت اربعاً عرفتني ثم نجمشت الذي جشمتني  
فلما رأه رؤبة اعظمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رجاز العرب .  
وسألوه ان ينشدهم فأنشدهم :

الحمد لله الوهوب المجزل

فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز . (٢) كما وصفها ابن  
قتيبة بأنها اجود أرجوزة للعرب . (٣)

وأم الرجز هذه ، هي رائحة من روائح أبي النجم ، نظمها  
تلبية لرغبة هشام بن عبد الملك ، اذ قال له وللشعراء الذين معه : صفوا  
لي ابلاداً فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأنني انظر اليها . (٤) فأنشده  
الشعراء وانشد أبو النجم ( أم الرجز ) وهشام بصفق بيديه من استحسانه  
لها . (٥) فلما بلغ قوله في صفة الشمس :

حتى اذا الشمس جللاها المجتلي بين سماطي شفق مرعبل (٦)

١ — طبقات ابن سلام ص ٥٧٧ .

٢ — الأغاني ١٥١/١٠ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ — الشعر والشعراء ٥٠٣/٢ .

٤ — الأغاني ١٥٥/١٠ وزارة الثقافة والارشاد و ٧٣/٩ ساسي .

٥ — الشعر والشعراء ٥٠٢/٢ .

٦ — مرعبل : مقطوع .

صغواء قد كادت ولما تفعل (١) فهي على الأفق كمين . . .

وأراد ان يقول ( الاحول ) ثم ذكر حولة هشام فلم يتم البيت وارتهج عليه ، فقال هشام : اجز البيت . فقال ( كمين الاحول ) واتم القصيدة . فأمر هشام بوجيء عنقه واخراجـه ، وقال لصاحب شرطته: يارببيع اياك وان أرى هذا ؟ ! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة ان يقره ففعل .

ولننتقل الآن بين أبيات هذه الارجوزة البديعة التي جلبت لصاحبها الويل واذاقته الحرمان فتركته شريداً طريداً يتغدى عند سليم بن كيسان الكلبي ، ويتمشى عند عمرو بن بسطام التغلبي ، ويبيت في المسجد . (٢) وقد بقي على هذه الحال مدة من الزمن ثم عفا عنه هشام وقربه منه . لقد افتتح أرجوزته هذه بمطلع ديني حمد فيه الله واثني عليه ، وذكر نعمه الكثيرة على الناس ومنها الابل . وكان هذا داعية لجلب انتباه الناس وإثارة اهتمامهم بهذه الارجوزة ، اذ انهم لم يكونوا قد تعودوا على مثل هذا الافتتاح والذي يقول فيه :

الحمد لله الوهوب المجزل اعطى فلم يبخل ولم يبخل (٣)

وبعد هذا مباشرة انتقل الى ذكر ما اعطاه الله وهي ابل ترعى البقل ، وقد اصابها العطش فراحت تطلب الماء :

---

١ — صغواء : مائه للغرب .

٢ — الأغاني ١٠/١٥٥ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ — بخاه تبخيلا : رماه بالبخل .

كدم الذرى (١) من خول المخول (٢) تبقلت (٣) في أول التبقيل  
 بين رماحي مالك ونهشل يدفع عنها العز جهل الجهل  
 حتى تراعت في النعاج الخذل تحت اهاضيب الغيوث الهطل (٤)  
 وبعد ان استمر في وصف هذه الابل وحالة العطش التي اصابتها  
 بعد ان رعت في ذلك البقل فاخذت تطلب الماء وقد يبست سنتها ،  
 وصفها وهي ترد الماء وتشربه ، ثم ختم هذه الارجوزة بقوله :  
 صار القطا عنه بواد مجهل لينة الريش عظام الحوصل  
 تظل حفراه من النهدل في روض ذفراء ورغل مخجل  
 تعدله الارواح (٥) كل معدل كان ربح المسك والقرنفل  
 نباته بين التلاع (٦) السيل

وقد اورد الأستاذ محمد بهجة الأثري هذه الارجوزة بكاملها في  
 مجلة المجمع العلمي العربي وذكر شيئاً عن خبرها وبعضاً من اخبار  
 صاحبها أبي النجم . (٧)  
 وكان أبو النجم اسرع الناس بديهة ، قال : الأصمعي : قال أبو النجم :

- 
- ١ — أي ابلا عظام الاسنة .
  - ٢ — أي مما اعطى الله تعالى من النعم .
  - ٣ — أي رعت البقل .
  - ٤ — الخذل : المتخلفات عن القطيع ، تراعت : رعت معها ، الاهاضيب : جمع  
 هضاب وواحد الهضاب هضب وهي حبات القطر بعد القطر .
  - ٥ — جمع ربح .
  - ٦ — جمع تلعمة ، المكان المرتفع .
  - ٧ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٧ مجلد ٨ ص ٢٨٥ تموز ١٩٢٨ م .



الحمد لله الوهوب المجزل

في قدر ما يمشي الانسان من مسجد الاشياخ الى حاتم الجزار ،  
ومقدار ما بينهما غلوة أو نحوها [١]

وسئل الأصمعي : أي الرجس أحسن واجود ؟ قال : رجس  
أبي النجم . (٢)

وذكر عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح الحجاج  
برجس قال فيه :

وبل أم دور عزة ومجد دور ثقيف بسواء نجد  
أهل الحصون والخبول الجرد

فأعجب الحجاج رجسه وقال : ما حاجتك ؟ قال : تقطعني ذا  
الجنين . فوجم لها وسكت ، ثم دعا كاتبه فقال : انظر ذا الجنين ماهو  
فان ذا الاعرابي سألتيه لعله نهر من انهار العراق . فسألوا عنه فقبل :  
واد في بلاد بني عجل أعلاه حشفة واسفله سبخة يخاصمه فيه بنو عم له ،  
فقال : اكتبوا له به ، قال : فأهله به الى اليوم . (٣)

وكان أبو النجم ربما قصد فأجاد . (٤) كما كان وصافاً  
للفرس . (٥) .

وقد اخذ على أبي النجم مأخذ ، منها قوله في صفة الفرس :  
يسبح اخراه ويطفو أوامه

---

١ — الأغاني ١٥٧/١٠ وزارة الثقافة والارشاد .

٢ — الأغاني ١٥٨/١٠ وزارة الثقافة والارشاد .

٣ — الأغاني ١٦٠/١٠ وزارة الثقافة والارشاد .

٤ — طبقات ابن سلام ص ٥٧٦ ومعجم الشعراء ص ١٨٠ الحلبي .

٥ — الشعر والشعراء ٥٠٢/٢ .

قال الأصمعي : اذا كان كذلك فحمار الكساح اسرع منه ! لأن  
اضطراب ماخيره قبيح . (١)

قال الاصمعي : وحدثني أبي أنه رأى فرسه فقومه بسبعين درهما (٢)  
وقال ابن قتيبة : حدثني عبد الرحمن عن عمه عن أبيه قال : رأيت فرس  
أبي النجم الذي كان بصفه فقومه بخمسين درهماً (٣) . وانما عيب عليه  
ذلك لأن الجواد انما يوصف بأنه تسبح اولاه وتلحق رجلاه (٤) .  
وبما اخطأ فيه ابو النجم قوله :

وهي على عذب روى المنهل دحل أبي المرقال خير الادحل  
من نحت عاد في الزمان الأول

قال الاصمعي : الدحل لا تورده الابل انما تورده الركابا (٥) .  
وقد عيب بهذا وعيب بقوله في البيت الذي يليه : ان هذا الدحل من  
نحت عاد . قال : والدحلان لا تحفر ولا تنحت ، انما هي خروق  
وشعاب في الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه وهي موة  
في الأرض بضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء (٦) .  
وبذكر ابن قتيبة أن أبا النجم اخذ عليه قواه : (٧)

---

١ — الأغاني ١٠/١٦١ ووزارة الثقافة والارشاد والشعر والشعراء ٢/٥٠٣ .

٢ — الاغاني ١٠/١٦١ ووزارة الثقافة والارشاد .

٣ — الشعر والشعراء ٢/٥٠٣ .

٤ — الاغاني ١٠/١٦١ ووزارة الثقافة والارشاد .

٥ — الركابا : جمع ركبة وهي البئر .

٦ — الاغاني ١٠/١٦١ ووزارة الثقافة والارشاد .

٧ — الشعر والشعراء ٢/٥٠٣ .

### كطلمة الأشمط من جلبابه

يعني من كسانه ، من قول الآخر :

كطلمة الأشمط من برد سمل (١)

وكان الاصمعي يقول : اخطأ أبو النجم في قوله :

كالشمس لم تعد سوى ذرورها

أي لم تتجاوز ذرورها فأدخل ( سوى ) لأجل الاعراب ، ولم تعد

العداء : الظالم ، أراد لم تتجاوز ، والعداء : تجاوز الحق (٢) .

توفي أبو النجم سنة ثلاثين ومائة للهجرة (٣) .

٥ — أبو نخيلة السعدي

أبو نخيلة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجنيد ، ذكر ذلك الأصبهاني

في أغانيه (٤) . وتابعه في ذلك الزركلي (٥) .

أما الأمدى (٦) وابن قتيبة (٧) فقد قالوا أن اسمه ( يعمر ) بن

حزن بن زائدة من بني حمان بن كعب بن سعد ، وإنما كني ( أبسا

نخيلة ) لأن أمه ولدته إلى جنب نخله .

---

١ — السمل : الخلق .

٢ — الموشح — المرزباني ص ٢١٣ مطبعة السلفية .

٣ — الاعلام ٣٥٧/٥ .

٤ — الاغاني ١٣٩/١٨ ساسي .

٥ — الاعلام ٣٣١/٨ .

٦ — المؤلف والمختلف — الأمدى ص ٢٩٦ .

٧ — الشعر والشعراء ٥٠١/٢ .



وهو شاعر راجز محسن متقدم في القصيد والرجز (١) افتخر بنسبه  
فقال : (٢)

انا ابن سعد وتوسطت العجم فانا فيما شئت من خال وعم  
ولكن بعض الناس عابوه لأنه كان ينتسب الى قوم ليس منهم ،  
قال رؤبة بهجوه في ذلك : (٣)

فقل لذلك الشاعر الخياط وذى المراء المهمر الضغاط  
أي أنه دعي يخيط الى قوم ليس منهم ، كما قال شريك بن حبان  
العنبري بهجوه وبنفيه عن قومه : (٤)

يا ايها المدعي شريكاً بين لنا وخل عن أيبكا  
إذا انتفا أو شك حزن فيكا وقد سألنا عنك من يعزوكا  
الى اب فكلمهم ينفيكا فاطلب أبا نخلة من أبوكا  
وادع في فصيلة نؤويكا

وكان أبو نخلة عاقاً فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج الى الشام واقام  
هناك الى أن مات أبوه . ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه مطعوناً عليه (٥)  
كما كان ذلك سبباً في جعله عرضة لانتقاد المنتقدين . وقد غلب عليه الرجز  
أما قصيده فليس بالكثير (٦) .

---

١ — المؤلف والمختلف ص ٢٩٦ .

٢ — الشعر والشعراء ٥٠١/٢ .

٣ — شرح ديوان رؤبة — مخطوط ص ٣٤٦ ومجموع اشعار العرب ص ٨٧  
والشعر والشعراء ٥٠١/٢ .

٤ — البيان والتبيين ٢٠١/١ السندوبي — الهامش .

٥ — الأغاني ١٣٩/١٨ ساسي .

٦ — المصدر السابق ١٣٩/١٨ .

والذي يقرأ أخبار أبي نخيلة بجده ذا نفس وضبعة حثيرة برضيها  
القليل ويستخطها كما أنه انسان غير وفي لا بشكر من يكرمه ولا يرعى  
حرمة من يحسن اليه . فمن امثلة ذلك عقوقه بأبيه الذي أشرنا اليه قبل  
قليل . ومن أمثله أيضاً ما يروى عنه حين خروجه الى الشام من أنه  
اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطعنه وأحسن اليه وأوصله الى الخلفاء  
واحداً بعد واحد ، واستمأحهم له فأغنوه ، ولكنه كان بعد ذلك قبل  
الوفاء لهم ، اذ انه هجاهم واكثر من هجائه لهم حينما انقطع الى بني  
هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم (١) .

وقد كان سؤولا جشعا شديد الطمع ، حتى أودى به ذلك الى  
الهلاك ، اذ أن طمعه حمله على أن قال في المنصور ارجوزة بغربه فيها  
ينخلع عيسى بن موسى ويعقد البيعة لابنه محمد المهدي ، فوصله المنصور  
بألفي درهم وأمره أن ينشدها بحضور عيسى بن موسى ، ففعل ، فطلبه  
عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له فأدركه في طريق خراسان  
فذبحه وسأخ وجهه (٢) .

ومن صفات أبي نخيلة الخلقية أنه كان يهجو ضيوفه ، فقد حدث  
أبو عبيدة قال : كان أبو نخيلة اذا نزل به ضيف هجاه ، فنزل به يوماً  
رجل من عشيرته ، فسماه سويقاً قد حلاه ، فقال له زدني . فزاده ،  
فلما رحل هجاه (٣) .

وذكروا عن أبي نخيلة أنه كان يسطو على رؤبة فيسرق منه

١ — المصدر السابق ١٨/١٣٩ .

٢ — المصدر السابق ١٨/١٣٩ .

٣ — المصدر السابق ١٨/١٤٢ .

أراجيزه وينشدها الخلفاء والوزراء وينال جوائزهم . وقد أشار الى ذلك أبو نخيلة نفسه اذ قال : وردت على مسلمة فمدحته وقالت فيه (١) .  
أمسلم اني يا بن خير خليفة وبافارس الهيجا وباجبل الارض (٢)  
شكرتك ان الشكر جبل من التقى وما كل من اوليته نعمة يقضي  
والقيت لما أن انبتك زائرا علي لحافا سابغ الطول والعرض (٣)  
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض (٤)

قال : فقال لي مسلمة : من انت ؟ فقلت : من بني سعد فقال :  
ما لكم يا بني سعد والقصيد وانما حظكم في الرجز . قال : فقلت له :  
انا والله ارجز العرب . قال : فأشدنا من رجرك . فكأنني والله لما قال  
ذلك لم اقل رجزاً قط انسانه الله كله فما ذكرت منه ولا من غيره  
شيئاً الا ارجوزة لرؤية قد كان قالها في تلك السنة ، فظننت انها لم تبلغ  
مسلمة فأشدته اياها ، فنكص ، وتنتعت ، فرفع رأسه الي وقال : لا تتعب  
نفسك فانا اروى لها منك . قال : فانصرفت وانا اكذب الناس عنده ،  
واخزاهم عند نفسي (٥) .

- 
- ١ — المؤلف والمختلف ص ٢٩٦ وطبقات ابن المعتز ص ٢٢ نشر عباس قبال
  - ٢ — هذه رواية ابن المعتز ، وفي الاغاني ( . . . يا ابن كل خليفة ) ويبدو ، ان رواية ابن المعتز اصح .
  - ٣ — هذا البيت لم يذكر في المؤلف والمختلف على هذه الصورة وانما رواه الاصبهاني ، اما ابن المعتز فقد رواه كما يلي :  
والفيت لما جئت بايك زائرا رواقا مديدا ساند الطول والعرض
  - ٤ — هذه رواية الاغاني ، اما في طبقات ابن المعتز فهي ( وانبت لي ذكرى . . )
  - ٥ — الاغاني ١٤٠/١٨ ساسي .



ومن بين سرقاته ما حدث به عبيد الله بن سالم قال : اتاني رؤبة  
فجلس الى قبة لي مجلسا لا يراه من يدخل ، ودخل ابو نخيلة فجلس  
خارجا ، فقيل له : انشدنا يا أبا نخيلة فافتتح قصيدة لرؤبة فجمع  
بنشدها ، ورؤبة يثبط كأن السياط في ظهره ، فلما بلغ نصفها قال رؤبة :  
كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ فقال أبو نخيلة : واسواتاه ! ولا أشعر أنك  
ها هنا ان هذا كبيرنا وشاعرنا الذي نعول عليه . فقال رؤبة : اياك واياه  
ما كنت بالعراق فاذا أتيت الشام فخذ ما شئت منه (١) .

ولكن أبا نخيلة - مع كل هذا - كان له رجز كثير وقصيد  
صالح ، حتى شهر بهما وسار شعره في البدو والحضر ورواه الناس ،  
ذلك لأنه لما انتفى من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدب بالبادية حتى  
شعر (٢) وقد أسف أبو نخيلة في بعض أشعاره فمدح خبازاً وسائساً  
وبستانياً (٣) جزاء ما قدموه له من اعمال بسيطة نافهة ، وهذا يدحض  
ما ذهب اليه محمد بن ابراهيم الحنظلي حين قال : ما مدح ابو نخيلة الا  
خليفة أو وزيراً (٤) .

ومن الاغراض التي عالجها أبو نخيلة في رجزه الصيد والطرود فكان  
له في القنص اعاجيب كثيرة كما يقول ابن المعتز (٥) فمن ذلك قوله

---

١ - الموشح - المرزباني ص ٢١٩ والاعاني ١٨ / ١٤٥ ساسي مع خلاف  
في نص الرواية .

٢ - الأغاني ١٨ / ١٣٩ و ١٤٠ ساسي .

٣ - انظر الاغاني ١٨ / ١٤٤ و ١٤٥ ساسي .

٤ - طبقات ابن المعتز ص ٢١ نشر عباس اقبال .

٥ - المصدر السابق ص ٢٣ .

- في طرد عشر نعائم يصفهن (١) :  
 انعت مهرا سبط القرات (٢) وردا طمرا مدمج السراة (٣)  
 يغذو بنهد في اللجام عات (٤) نعائمنا عشرا مطردات  
 صك العراقيب هجنمات (٥) فانصاع وانصعن موليات (٦)  
 ما كان الا هاكه وهات حتى اجتمعن متناغصات (٧)  
 بالسهب والغدر من الحماة (٨) واختل حضنا هيقة شوشات (٩)  
 فانمقرت من آخر الهيقات بغير تكبير ولا صلاة (١٠)  
 كأنها خالفة [١١] السراة

- 
- ١ — طبقات ابن المعتز ص ٦٥ تحقيق فراج — طبع دار المعارف .  
 ٢ — القرى : الظهر وزاد فيه الراجز التاء الطويلة .  
 ٣ — الطمر : الفرس الجواد ، السراة : الظهر ، الورد : الاحمر الى الصفرة .  
 ٤ — النهدي : الفرس الحسن الجميل ، والنهد : الشيء المرتفع .  
 ٥ — صك العراقيب : من أوصاف النعام ، الهجنع : الطويل .  
 ٦ — انصاع : اسرع .  
 ٧ — تناغصت الابل : تزاومت .  
 ٨ — السهب : الفرس الواسع الجري ، والحماة : عضلة الساق ، يريد ان  
 النعائم اجتمعت متزاومة بسبب الجواد السريع وبسبب الغدر من  
 عضلات سيقانها بعد طول جريها .  
 ٩ — الحضن : الجانب ، الشوشاة : لعلها محرفة عن شوشات أي طويلة ، ابدات  
 همزتها تاء للرجز ، والهيقة : النعامة .  
 ١٠ — يريد أن يقول : ان جانبي النعامة قد اختلا فانمقرت بدون تكبير ولا صلاة  
 ١١ — الخالفة : مؤنث الخالف ومن معانيه الذي يقف بعد ذهابك ، السراة :  
 جمع سار .

ولم تؤخذ على أبي نخيلة مأخذ كثيرة ، فمما اخذ عليه قوله في  
وصف امرأة [١] :

بربة لم تاكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا  
ذلك لانه ظن ان الفستق بقل . هذا وقد توفي أبو نخيلة سنة  
خمس واربعين ومائة للهجرة [٢] وهي السنة التي توفي فيها الراجز  
المشهور رؤبة بن العجاج .

---

١ - الشعر والشعراء ٥٠١/٢ .

٢ - الاعلام ٣٣١/٨ .



## الخاتمة

وبعد ، فهذا هو الرجز ، بانك لك معالمة ، ووضحت ابعاده ،  
بعد هذه الدراسة التحليلية التفصيلية .

ومع هذا فأنا مجمل لك فيما يأتي أهم النقاط الأساسية البارزة  
في هذا البحث .

من دراسة المعاني التي تدل عليها مادة ( رجز ) وما اشتق منها ،  
تبين ان هذه المادة تدل على الحركة والاضراب ، ولهذا اخذوا منها  
اسماء لكل ما يظهر فيه حركة واضطراب ، فسموا الناقة التي ترتعش عند  
قيامها من مبركها بأسم ( الرجزاء ) ثم سمو هذا البحر الذي تظهر فيه  
الحركة متعاقبة مع السكون باسم ( الرجز ) .

والرجز موضوع بحثنا هذا ، بحر من بحور الشعر وزنه ( مستفعلن )  
تكرر ست مرات ، ونادراً ما يستعمل بهذه الصورة ، ذلك لأن الغالب  
في استعماله هو المشطور ، كما أنه يستعمل مجزوءاً ومنهوكاً ، ولهذا  
السبب رأى جماعة من العروضيين والأدباء الا يعدوا الرجز من الشعر ،  
مدعين أن الرجز كالنثر ، لافرق بينهما سوى الوزن ، وقد نسي هؤلاء  
أن أي بحر من بحور الشعر لافرق بينه وبين النثر سوى الوزن ، على  
انني جاريهم في رأيهم هذا ، وبحثت المسألة بحثاً علمياً دقيقاً ، فاستقررت  
ادلتهم وأدلة مخالفيهم ، ثم ناقشتها مناقشة سليمة ، وبعد ذلك استطعت  
ان اخرج من كل ذلك برأي اظنه هو الصواب ، ذلك هو أن الرجز  
شعر أصيل له ما المقصود من مقومات . وعليه فان شعر العرب يتكون

من نوعين لثالث لهما : رجز وقصيد ، وقد حاولت ان اتبين أي نوعي هذا الشعر اسبق في الظهور ، فوجدت أن الرجز هو الذي نشأ أولاً ثم تطور فنشأ عنه القصيد ، وقد توصلت الى هذا بعد ان بحثت في متطلبات العربي البدائية التي سخر الشعر للتعبير عنها مثل الحداء والمنتح والصيد ، فوجدت أن معظم هذا الشعر بالرجز ، وعليه فقد رجحت ان يكون الرجز هو الذي ظهر قبل غيره من انواع الشعر ، اذ أن السجع تطور الى وزن بسيط قصير يحتمل ان يكون من مشطور الرجز أو منهوكة .

أما بداية الشعر وأولياته فإنها بجهولة لم يستطع الحصر ان يبينها ويعين وقتاً محدداً لها ، كما أن مسألة أول من قال الشعر ونطق به بجهولة أيضاً لا يمكن البت فيها ، ولا يمكن قبول تلك الاساطير التي دارت حولها .

أما الصورة التي نشأ فيها الرجز فكانت صورة بدائية بسيطة ثلاثية حالة العرب الأولى حينما بدأوا يحاولون نظم الشعر ، فكان العربي ينظم بيتين أو ثلاثة من الرجز اذا حارب أو شاتم أو فاخر ، أو فيمنا يعن له من أمور الحياة اليومية ، فكانت تلك المقطعات الرجزية القصيرة التي تنبي عن فكرة ساذجة لم تقطع في الثقافة والحضارة اشواطاً بعيدة . واستمر الرجز على هذه الصورة البسيطة الى ان تعددت حاجات العربي ، وتنوعت مطالبه ، فلم يستطع الرجز الايفاء بكل هذه الامور ، وضاق بها ذرعاً ، فأضطر العربي الى استحداث اوزان جديدة تستطيع التعبير عن رغباته واهوائه وأفكاره ، ومن هنا نشأت الأوزان الشعرية الأخرى والتي اطلق عليها جميعاً أسم ( القصيدة ) .

وشاع استعمال القصيد بين العرب وتطور من المقطعات القصيرة الى قصائد طويلة احتوت على عدة اغراض ، وكان آخر تطور وصل اليه

في العصر الجاهلي هو تلك المعلقة البديعة التي مثلت الشعر الجاهلي وهو في أوج رقيه وتقدمه وازدهاره ، واستمر القصيد في التطور حتى يومنا هذا .

هذه حال القصيد ، اما حال الرجز فليست كذلك ، اذ انه ظل يتخبط في دائرة المقطعات القصيرة طيلة حقبة ليست بالقصيرة ، بدأت مع أول بوادر نشوء الرجز ، وانتهت في العصر الاسلامي ، اذ جاء بعض الرجاز الذين تمكنوا من الخروج بالرجز من هذا النطاق الضيق واشراكه مع القصيد في اغراضه وكان الاغلب العجلي هو الذي بدأ هذه المحاولات فقد اخذ ينحو منحى القصيد من حيث اطالة الارجوزة واحتوائها على اكثر من غرض واحد ، وقد قدر لهذا الصنيع ان يبلغ منتهاه وبصل الى أوج تطوره ورقبه على يد العجاج ثم على يد ابنه رؤبة من بعده ثم باقي الرجاز الآخرين الذين برزوا في تلك الفترة .

وفي هذه الفترة تمكن الرجز من خوض كثير من الميادين ، ومعالجة كثير من الاغراض ، وانتشر استعماله بين الناس ، واهتموا به اهتماماً كبيراً ، فاخذوا يحفظون الارجاز الكثيرة ، وخير مثال لهؤلاء الأصمعي الذي كان يروى عنه أنه يحفظ اثني عشر الف أرجوزة ، ومثل ذلك ما يروى عن أبي تمام من أنه كان يحفظ عدداً كبيراً من الارجاز . وهكذا حصل الرجز على مكانة مرموقة وشعبية واسعة ، فكان الخلفاء والامراء والوزراء يقربون الرجاز من مجالسهم ويستأنسون بهم ويطربون الى أنشادهم .

ولكن هذه الشعبية الواسعة اخذت تنقلص شيئاً فشيئاً في منتصف العصر العباسي ، وذلك لأن الشعراء والمعلمين اخذوا يسخرون الرجز



ليؤدي لهم مهمة تعليم الناشئة والطلاب شتى العلوم والفنون ، ومن هنا اخذ الشعراء يتحامون النظم في بحر الرجز ، لأنهم كانوا يرون أن هذا البحر أصبح خاصاً بنظام الألفيات وما بمجراها . وبهذا انتهى أمر الرجز أو كاد من حيث كونه نوعاً من أنواع الشعر ، أما من حيث كونه بحراً من بحور الشعر فقد ظل شائعاً مستعملاً حتى الوقت الحاضر .

أما الخصائص التي تميز بها الرجز ، فكانت تتمثل في تلك الالفاظ الغريبة والكلمات الصعبة والاستعمالات الشاذة ، حتى أن العجاج ورؤبة وغيرهما من الرجاز أولعوا بهذه الاستعمالات فجاءت أراجيزهم ثقيلة على الاسماع لها وقع كوقع الصم الصلاب ، كما انها طلاس لا يمكن حل رموزها أو فهم معانيها ما لم يستعن عليها بمعجم أو قاموس .

ومن هذه الخصائص وزن الرجز الذي يحتوي على اشكال عديدة متنوعة منها القصيرة والمتوسطة والطويلة ، فالرجز يستعمل تماماً ومجزواً ومشطوراً ومنهوكاً ، وهذه ميزة جعلت الرجز صالحاً لخوض كثير من الميادين والاعراض .

وقد استطاع الرجاز ان يبتكروا في هذا الميدان أسلوباً جديداً في افتتاح أراجيزهم ، ذلك انهم استعملوا مطالع دينية خالفوا بها ما ألفه الشعراء وتعودوه من استعمال المطالع الغزلية ، وهذا فتح جديد في عالم الشعر تمكن الرجاز أن يسبقوا المقصدين فيه . فهم قبل أبي نواس خرجوا على سنن الشعراء في هذه المطالع ، وربما يكون أبو نواس قد تأثر بهم حينما دعا الى ترك الوقوف على الاطلال وافتتاح القصائد بالنسيب والغزل . مع هذا فقد سابر الرجاز اذواق الناس في ذلك العصر وافتتحوا كثيراً من أراجيزهم بمطالع غزلية .

أما الأغراض التي عالجها الرجز فكثيرة . شارك القصيد في قسم منها وانفرد بالقسم الآخر . فالطبيعة والسياسة والاجتماع فنون اشترك في معالجتها الرجز والقصيد . أما المتح والحداء والصيد فقد اقتصر على الرجز أو كادت ، لأن الرجز كان أكثر صلاحية وملاءمة في معالجة مثل هذه الأغراض .

وقد صور الرجز بيئة العرب الطبيعية وبرز جوانبها ومعالمها : الصامته منها والحية ، فجاء تعبيراً دقيقاً عن أفكار العرب ونفسياتهم ، وجاء تصويراً واضحاً لتلك البيئة التي عاش في اكنافها العرب . فوصف الحيوانات الأليفة والوحشية وصور اعضاءها وتأثر بما فيها من قوة أو ضعف أو جبن أو ما الى ذلك ، كما ابرز عواطفه وخاججات نفسه ازاء الحيوانات وما يكن لبعضها من حب واعزاز . ثم وصف الزواحف والحشرات والطيور ونوه الى خاصية كل منها : وهو في كل هذا متأثر بما تحمله تلك الحيوانات من صفات .

وأثرت في نفوس الرجاز طبيعتهم الصحراوية وحياتهم البدوية ، فنلونوا بلونها وتطبعوا بطابعها ، فظهر كل هذا في رجزهم ، اذ نجد في هذا الرجز ذكراً كثيراً للصحراء وما يلوح فيها من ظواهر ، فذكر السراب وكنوا به عن شدة الحر ، ووصفوا الجبال وهي تحمل معاني القوة والعظمة والثبات . كما نظروا الى ذكر الارض والتراب وما يتشكل من الرمل . ووصفوا ذرات العرب واخبرونا عن اسمائها .

وجلب انتباه الرجاز الأنواء الجوية وما يحدث خلال العام من رعد وبرق ومطر ، فوصفوا كل هذه المظاهر متأثرين بها منفعلين بمظرها .

ونقل لنا الرجز صوراً لبعض الأشجار والنباتات التي كانت منتشرة  
في جزيرة العرب .

وهكذا جاء رجز الطبيعة تعبيراً صادقاً حياً عن بيئة العرب  
الصحراوية وكل ما ظهر فيها .

أما الأمور السياسية فلم يكن الرجز عاجزاً عن معالجتها إذ أنه  
ذكر بعض التأثيرات السياسية التي تحدث للناس فتؤثر فيهم ، وكانت  
الحرب ظاهرة تخضع في الغالب للسياسة ، فأخذ الرجز بعلاج أمور  
الحرب وعدتها وعتادها ، وكان المقاتل يلجأ إلى إطلاق مكنون قلبه برجز  
يعبر فيه عن روحه الحماسية وحالته النفسية التي يعانيتها في تلك اللحظات .  
ومن هنا كان رجز الحرب مادة كثيرة صورت لنا طرق القتال ووسائله في  
ذلك الوقت كما أنبأنا عن احساس النفوس المقاتلة التي كانت تأخذ لها  
طابعاً خاصاً في أثناء المعركة .

واستطاع الرجز أن يعالج معظم الاغراض التي ظهرت تحت تأثير  
الحياة الاجتماعية التي كان العرب يحيونها . فكان هناك رجز المديح  
الذي تطرق إلى ذكر الصفات المحببة لدى العرب . وكان رجز الرثاء  
الذي تناول الاطراء بصفات المرثي وما يتحلى به من شيم عالية واخلاق  
رفيعة . ورجز الفخر الذي بصور الأمور التي كان العرب يطمحون في  
الانصاف بها . كما كان الهجاء وهو تناول مثالب ونقائص المهجو وفضحها  
وهتك الستر عنها . ثم الرجز الغزلي الذي بين صفات الحسن والجمال  
سواء كان حسيباً أم روحياً . ثم كان هناك رجز الأساطير الذي ذكر لنا  
ما كان شائعاً بين العرب من أساطير آنذاك .

هذه هي الاغراض التي اشترك في تناولها الرجز والقصيد . أما



الأغراض التي اقتضت على الرجز فمنها الحداء الذي كان يستعمله العرب لسوق الجمال وحث الأبل على السير . ثم المتح وهو التغني برجز في أثناء عملية اخراج الماء من البئر بواسطة الداو . وبعد ذلك كان الصيد الذي استخدم فيه الرجز ، إذ كان الصائد يلجأ إليه ليصور أحاسيه ويعبر عنها وهو يرى سهمه ينفذ في جسم الصيد وكان هذا الرجز يصور مهارته وفنه في اصطیاد فريسته .

وهم انما سخروا الرجز دون غيره في هذه الاغراض ، لأن فيه حركة رتيبة متواصلة تشبه الحركات التي تصاحب هذه الاعمال والتي تكون من لوازمها .

أما الرجاز الذين برزوا في ميدان الرجز فكان أشهرهم الأغلب العجلي وكان سابقاً في هذا المضمار ، ثم تلاه العجاج فوطد الأساس الذي وضعه الاغلب . وجاء رؤبة وأتم البناء ، وعلى يديه بلغ الرجز غاية ما يرتجى له من التطور والازدهار ثم كان لأبي النجم العجلي وأبي نخيلة الرجاز فضل كبير في النهوض بالرجز وجعله يطاول القصيد .

وأرجو ان ينال هؤلاء الرجاز نصيبهم من البحث الدقيق العميق ، لأبراز مواهبهم وشاعريتهم وخصائصهم الفنية ، فهم مازالوا مغمورين ، لم ينالوا حقهم من الشهرة التي كانوا يتمتعون بها في زمنهم أو حتى جزءاً ضئيلاً منها .

وختاماً أرجو من الله التوفيق والسداد لكل خير أنه نعم المولى ونعم النصير .

## مصادر البحث ومراجعته

- ١ — ابراهيم : محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي  
أيام العرب في الاسلام ، ط ١ ، م . الحلبي
- ٢ — ابن الاثير : عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم  
الجزري الشيباني ( ت ٦٣٠ هـ ) .  
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، م . الاسلامية بطهران
- ٣ — الاسكندري : احمد ومصطفى عناني  
الوسيط في الادب العربي وتاريخه ، ط ٢ ، م .  
المعارف بمصر
- ٤ — الاشناداني : أبو عثمان سعيد بن هرون ( ت ٢٨٨ هـ )  
معاني الشعر ، قدم له ونظر فيه الدكتور صلاح  
الدين المنجد ، بيروت
- ٥ — الاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي  
( ت ٣٥٦ )  
الاغاني ، وزارة الثقافة المصرية والساسي وبيروت  
حسب ما يذكر في الهامش
- ٦ — الاصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي ( ت ٢١٦ هـ )  
الاصمعيات ، ط ٢ ، م . دار المعارف بمصر
- ٧ — الاعشى : أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل ( ت ٧ هـ )

ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتحقيب الدكتور م  
محمد حسين ، م . النموذجية .

٨ — ابن الورد : وليم

١ — مجموع أشعار العرب — وهو مشتمل على  
ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات  
منسوبة إليه ، ليبسغ ١٩٠٣ م نشر مكتبة  
المثنى — بغداد

٢ — العقد الثمين في ديوان الشعراء الستة الجاهليين

٩ — الألوسي : شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني  
الألوسي ( ت ١٢٧٠ هـ )  
روح المعاني — المطبعة المنيرية بمصر

١٠ — الأمدى : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى ( ت ٣٧٠ هـ )  
المؤتلف والمختلف — تحقيق عبد الستار احمد  
فراج — الحلبي

١١ — الانصاري : أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري  
البصري ( ت ٢١٥ هـ )  
النوادر في اللغة — بيروت سنة ١٨٩٤ م

١٢ — انيس : الدكتور ابراهيم  
موسيقى الشعر — الطبعة الثانية — القاهرة

١٣ — الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب ( ت ٤٠٣ هـ )



اعجاز القرآن - تحقيق احمد صقر - دار  
المعارف بمصر

١٤ - بثينة : جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي  
( ت ٨٢ هـ )

الديوان - تحقيق بطرس البستاني

١٥ - ابن برد : أبو معاذ بشار برد العقيلي ( ت ١٦٧ هـ )  
الديوان - تحقيق ابن عاشور

١٦ - بطي : روفائيل بطي ( ت ١٣٧٥ )

سحر الشعر - الجزء الاول - وهو مجموعة  
مقالات وفصائد عصرية في الشعر والشعراء لنبذة  
من نوابغ ادباء العصر - م الرحمانية بمصر

١٧ - البغدادي : عبد القادر بن عمر ( ت ١٠٩٣ هـ ) وقيل  
( ١٠٧٣ هـ )

خزانة الادب ولب أبواب لسان العرب -  
مطبعة بولاق

١٨ - البكري : ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد  
( ت ٤٨٧ هـ )

١ - سمط اللآلي في شرح امالي القاضي - تحقيق  
عبد العزيز الميعني

٢ - معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع

- تحقيق مصطفى السقا - ط ١ القاهرة  
٣ - التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه -  
المكتب التجاري بيروت

١٩ - البكري : محمد توفيق ( ت ١٣٥١ هـ )

اراجيز العرب - الطبعة الاولى - القاهرة

٢٠ - البلاذري : أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر بن داود  
( ت ٢٧٩ هـ ) تقريرا

١ - فتوح البلدان - دار النشر للجامعيين - بيروت

٢ - انساب الاشراف - نشر مكتبة المثنى - بغداد

٢١ = بروكلمان : كارل

تاريخ الادب العربي - تعريب عبد الحليم  
النجار - دار المعارف بمصر

٢٢ - البيهقي : ابراهيم بن محمد ( كان حيا قبل ٣٢٠ هـ )

المحاسن والمساوي - ط ٠ لايبزك

٢٣ - بيومي : السباعي

تاريخ الادب العربي ط ٢ مطبعة الرسالة

سنة ١٩٥٩ م .

٢٤ - ابو تمام : حبيب بن أوس الطائي ( ت ٢٢٨ هـ وقيل ٢٣١

هـ وقيل ٢٣٢ هـ )

١ - الحماسة - شرح التبريزي سنة ١٢٩٦ هـ

وشرح أديب فاضل

٢ - الديوان - لجنة التأليف والترجمة

٣ - الديوان - تحقيق عبد الحميد بونس - القاهرة

٢٥ - ابن ثابت : حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي (ت ٥٤٤ هـ)

الديوان - دار صادر - بيروت

٢٦ - الشعالي : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل

(ت ٤٢٩ هـ)

بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر - تحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد - ط ٢ مطبعة السعادة

٢٧ - الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)

١ - البيان والتهيين - تحقيق حسن السندوبي

مطبعة الاستقامة ط ٣ وبتحقيق عبد السلام

هارون - القاهرة سنة ١٩٥٠ م . حسبما يذكر

في الهامش

٢ - الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون

مطبعة الحلبي

٢٨ - ابن جعفر : أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)

نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى - مطبعة السعادة

٢٩ - الجندي : علي

شعر الحرب - العصر الجاهلي



٣٠ - ابن جني : ابو الفتح عثمان بن جني الموصلية ( ت ٣٩٢ )  
الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار  
الكتب سنة ١٩٥٦ م

٣١ - الجوهري : ابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي ( ت ٣٩٣  
هـ وقيل ٤٠٠ هـ )  
الصحاح - تحقيق احمد عبد الغفور عطار - ط  
دار الكتاب العربي

٣٢ - حسين : الدكتور طه  
في الادب الجاهلي - الطبعة الثانية

٣٣ - ابن حنبل : احمد بن حنبل الشيباني ( ت ٢٤١ هـ )  
مسند الامام احمد

٣٤ - ابو حيان : أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن  
حيان الاندلسي ( ت ٧٤٥ هـ )  
تفسير البحر المحيط - المطبعة التجارية الكبرى

٣٥ - خفاجي : محمد عبد المنعم  
١ - فن الشعر - ط ١ المطبعة العربية  
سنة ١٩٤٩ م  
٢ - الحياة الادبية في العصر الجاهلي ط ٢  
القاهر ١٩٥٨ م

٣٦ - ابن خلدون : ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

« ت ٨٠٨ هـ »

مقدمة ابن خلدون - مطبعة مصطفى محمد

٣٧ - ابن خلكان : شمس الدين احمد بن ابراهيم الشافعي

« ت ٦٨١ هـ »

وفيات الاعيان - تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد

٣٨ - خلدوسي : الدكتور صفاء

١ - دراسات في الادب المقارن والمذاهب الادبية

مطبعة الرابطة بغداد سنة ١٩٥٨ م

٢ - فن النقطيع الشعري والقافية - مطبعة

المعارف بغداد

٣٩ - ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي

البصري « ت ٣٢١ هـ »

جمهرة اللغة - الطبعة الاولى - حيدر آباد

سنة ١٣٤٥ هـ

٤٠ - الدمهوري : محمد الدمهوري المصري الشافعي « ت ١٢٨٨ هـ »

الارشاد الشافعي على متن الكافي

الطبعة الثانية - مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٧ م

٤١ - الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن المالكي « ت ٩٦٦ هـ »

تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس

- ٤٢ — الدينسوري : أبو حنيفة أحمد بن داود « ت ٢٨٢ هـ »  
 الاخبار الطوال — تصحيح فلاديمير جرجاس —  
 الطبعة الاولى مطبعة بريل — ليدن
- ٤٣ — الذبياني : النابتة « زياد بن معاوية بن ضباب » « ت نحو  
 ١٨ ق . هـ »  
 الديوان — تحقيق كرم البستاني — بيروت
- ٤٤ — الرافعي : مصطفى صادق « ت ١٣٥٦ هـ »  
 تاريخ آداب العرب — ضبط وتصحيح محمد سعيد  
 العريان — مطبعة الاسقامة — الطبعة الثالثة
- ٤٥ — ابن ربيعة : ليبد  
 الديوان — تحقيق احسان عباس — الكويت
- ٤٦ — ابن رشيق : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ( ت ٤٥٦ هـ )  
 وقيل ( ٤٦٣ هـ ) العمدة في محاسن الشعر وآدابه —  
 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
 مطبعة السعادة — ط ٣ ومطبعة حجازي
- ٤٧ — رضا : أحمد  
 معجم متن اللغة — دار مكتبة الحياة — بيروت  
 سنة ١٩٥٨ م
- ٤٨ — ذو الرمة : غيلان بن عقبة ( ت ١١٧ هـ )  
 الديوان — تحقيق كارليل مكارثي



٤٩ — الزبيدي : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي

الملقب بمرتضى . ( ت ١٢٠٥ هـ )

تاج العروس من جواهر القاموس

٥٠ — الزبيدي : أبو بكر

طبقات النحويين والمفويين — تحقيق محمد أبو

الفضل ابراهيم — ط ١

٥١ — الزركلي : خير الدين

الاعلام — الطبعة الثانية

٥٢ — الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن محمد

الخوارزمي ( ت ٥٣٨ هـ )

١ — المستقصى في امثال العرب — تصحيح محمد

عبد الرحمن خان ط الهند

٢ — أماس البلاغة — القاهرة سنة ١٩٦٠ م

٣ — الفائق في غريب الحديث — ط ١ الحلبي

سنة ١٩٤٥ م

٥٣ — الزهيرى : الدكتور محمد غناوي

نقائض جرير والفرزدق

٥٤ — الزيات : أحمد حسن

تاريخ الادب العربي — القاهرة

٥٥ — زيدان : جرجي بن حبيب — ( ت ١٣٣٢ هـ )

تاريخ آداب اللغة العربية - مراجعة شوقي  
ضيف - دار الهلال

٥٦ - السكري : أبو سعيد الحسن بن الحسين - ( ت ٢٧٥ هـ  
وقيل ٢٩٠ هـ وقبل ٢٧٠ هـ )  
شرح أشعار الهذليين - تحقيق عبد الستار أحمد  
فراج - ط المدني

٥٧ - ابن سلام : أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي ( ت ٢٣١ هـ )  
طبقات فحول الشعراء - شرح محمود محمد شاكر -  
دار المعارف بمصر

٥٨ - ابن سنان : أبو محمد عبد الله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي -  
( ت ٤٦٦ هـ ) سر الفصاحة - تحقيق عبد المنعم  
الصعيد م صبيح وأولاده سنة ١٩٥٣ م

٥٩ - ابن سيده : أبو الحسن علي بن اسماعيل الأندلسي « ت ٤٥٨ هـ »  
المختص - الطبعة الأولى بولاق سنة ١٣١٦ هـ

٦٠ - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر « ت ٩١١ هـ »  
١ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها - ط ٤  
الحاي سنة ١٩٥٨ م

٢ - شرح شواهد المغني - المطبعة البهية بمصر  
٦١ - الشافعي : أبو الحسن علي بن محمد « ت ٢٨٨ هـ » وقيل  
« ٣٩٠ هـ »

الديارات - بغداد

٦٢ - الضبي : ابو العباس المفضل بن محمد « ت ١٦٨ هـ »  
المفضليات

٦٣ - ضيف : الدكتور شوقي

١ - تاريخ الادب العربي - العصر الاسلامي  
دار المعارف بمصر

٢ - التطور والتجديد في الشعر الاموي - ط ٢  
دار المعارف بمصر

٣ - في النقد الادبي - دار المعارف بمصر  
سنة ١٩٦٢ م

٦٤ - الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد « ت ٣١٠ هـ »

١ - تاريخ الامم والملوك - مطبعة الاستقامة  
سنة ١٩٣٩ م

٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - طبعة  
ثانية الحاي

٦٥ - ابن العبد : طرفة

الديوان - تحقيق وشرح كرم البستاني ، وتحقيق  
الدكتور علي الجندي

٦٦ - ابن عبد ربه : ابو عمر احمد بن محمد القرطبي « ت ٣٢٨ هـ »

العقد الفريد - شرح وضبط احمد امين واحمد  
الزين وابراهيم الاياري الطبعة الثانية - القاهرة

٦٧ - ابو عبيدة : معمر بن المثنى البصرى « ت ٢٠٩ هـ »

النقائض - طبعة ليدن



٦٨ — ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي  
( ت ٥٧١ هـ )

التاريخ الكبير — طبع روضة الشام سنة ١٣٣٢ هـ

٦٩ — ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ( ت ٧٦٩ هـ )

شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ط ٦  
مطبعة السعادة

٧٠ — ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ( ت ٣٩٥ هـ )

معجم مقاييس اللغة — تحقيق عبد السلام هارون —  
ط ١ دار احياء الكتب

٧١ — الفيروزاباذي : مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم

( ت ٨١٧ هـ )

القاموس المحيط

٧٢ — القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم ( ت ٣٥٦ هـ )

الامالي مع الذيل والنوادر والتنبيه — المكتب  
التجاري بيروت

٧٣ — ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ( ت ٢٧٦ هـ )

وقيل ٢٧٠ هـ وقيل ٢٧١ هـ )

١ — الشعر والشعراء — نشر وتوزيع دار الثقافة

بيروت سنة ١٩٦٤ م

٢ — المعاني الكبير الطبعة الاولى حيد آباد

٣ - المعارف - تحقيق ثروت عكاشة - دار  
الكتب المصرية

٧٤ - القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ( ت ١٧٠ هـ )  
جمهرة أشعار العرب - المطبعة الرحمانية بمصر ،  
ودار صادر - بيروت

٧٥ - القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الانصاري  
( ت ٦٧١ هـ )  
الجامع لأحكام القرآن - الطبعة الاولى - دار  
الكتب المصرية

٧٦ - القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله  
( ت ٨٢١ هـ )  
صبح الاعشى في صناعة الانشا - وزاره الثقافة  
والارشاد القومي بمصر

٧٧ - ابن الكثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي  
الدمشقي ( ت ٧٧٤ هـ )  
تفسير ابن كثير - دار احياء الكتب العربية - القاهرة

٧٨ - الكافي : هشام بن محمد السائب ( ت ٢٠٤ هـ )  
انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها - تحقيق  
أحمد زكي - وهي نسخة مصورة عن طبعه راد الكتب

٧٩ - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الازدي

( ت ٢٨٥ هـ )

الفاضل - تحقيق عبد العزيز الميعني - ط ١ -  
دار الكتب  
الكامل في اللغة والادب

٨٠ - المجذوب : عبد الله الطيب

المرشد الى فهم أشعار العرب وخصائضها - ط ١ -  
القاهرة سنة ١٩٥٥

٨١ - المرتضى : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموصلي ( ت ٤٣٦ هـ )

امالي المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم -  
ط ١ سنة ١٩٥٤ م

٨٢ - المرزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ( ت ٣٨٤ هـ )

١ - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء -  
المطبعة السلفية بمصر

٢ - معجم الشعراء - تحقيق عبد الستار أحمد فراج

٨٣ - المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ( ت ٣٤٦ هـ )

وقيل ( ٣٤٥ هـ )

مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محي  
الدين عبد الحميد مطبعة السعادة سنة ١٣٧٧ هـ

٨٤ - ابن المعتز : أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي

( ت ٢٩٦ هـ )

١ - الديوان - الطبعة الاولى - دمشق



- ٢ - طبقات الشعراء - نشر عباس اقبال
- ٨٥ - المعري : أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان ( ت ٤٤٩ هـ )  
رسالة الغفران - تحقيق الدكتور بنت الشاطيء -  
الطبعة الثانية
- ٨٦ - ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي  
ابن أحمد ( ت ٧١١ هـ )  
لسان العرب - طبع القاهرة وبيروت
- ٨٧ - الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم  
النيسابوري ( ت ٥١٨ هـ )  
بجمع الامثال - تحقيق محمد محي عبد الحميد - القاهرة
- ٨٨ - نلينو : كارلو الفونسو ( ت ١٣٥٧ هـ )  
تاريخ الادب العربية من الجاهلية حتى عصر بني  
امية - نشر مريم نلينو - دار المعارف بمصر  
سنة ١٩٥٤ م
- ٨٩ - ابو نواس : الحسن بن هانئ الحكمي ( ت ١٩٨ هـ ) مع  
اختلاف كبير في سنة وفاته  
الديوان - تحقيق الغزالي دار الكتاب العربي  
بيروت ، ودار صادر
- ٩٠ - نوفل : سيد :  
شعر الطبيعة في الادب العربي - القاهرة

٩١ - هازلت : وليم

مهمة الناقد - ترجمة نظمي خليل - سلسلة كتب  
ثقافية العدد ( ١٤٣ ) الدار القومية للطباعة  
والنشر - القاهرة

٩٢ - ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أبوب الحميري

( ت ٢١٣ هـ وقيل ٢١٨ هـ )

السيرة النبوة - مطبعة حجازي ، وستنفذ

٩٣ - الهمداني : أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد

المعروف ببديع الزمان ( ت ٣٩٨ هـ )

مقامات الهمداني - شرح محمد عبدة - بيروت

٩٤ - باقوت : أبو عبد الله شهاب الدين باقوت بن عبد الله الحموي

الرومي ( ت ٦٢٦ هـ )

١ - معجم البلدان - دار صادر - بيروت

( سنة ١٣٧٤ هـ )

٢ - معجم الأدباء - طبعة مرغليوث

٩٥ - العسقلاني : ابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن

علي الكناني ( ت ٨٥٢ هـ )

الأصابة في تمييز الصحابة - مطبعة مصطفى محمد بمصر

## المخطوطات

- ١ — شرح ديوان العجاج — وهو موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم « ٥١٧ » أدب وقد صور بطريقة « الميكروفلم » .
- ٢ — شرح ديوان رؤبة بن العجاج — وهو موجود بدار الكتب المصرية برقم « ٥١٩ » أدب وقد صور بطريقة « الميكروفلم » .

## الدوريات والمجلات ودوائر المعارف

- ١ — دائرة المعارف الاسلامية — يصدرها باللغة العربية احمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس — المجلد العاشر .
- ٢ — مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق — الجزء السابع — المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٨ .
- ٣ — سلسلة المكتبة الثقافية عدد « ٦٠ » وموضوعها « الشعر الشعبي العربي » تأليف الدكتور حسين نصار — تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .
- ٤ — سلسلة المكتبة الثقافية عدد « ١١٤ » وموضوعها « الشعر بين الجمود والتطور » تأليف العوضي الوكيل — تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر .
- ٥ — مجلة « الشعر » المصرية — تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي بمصر ابريل سنة ١٩٦٥ .



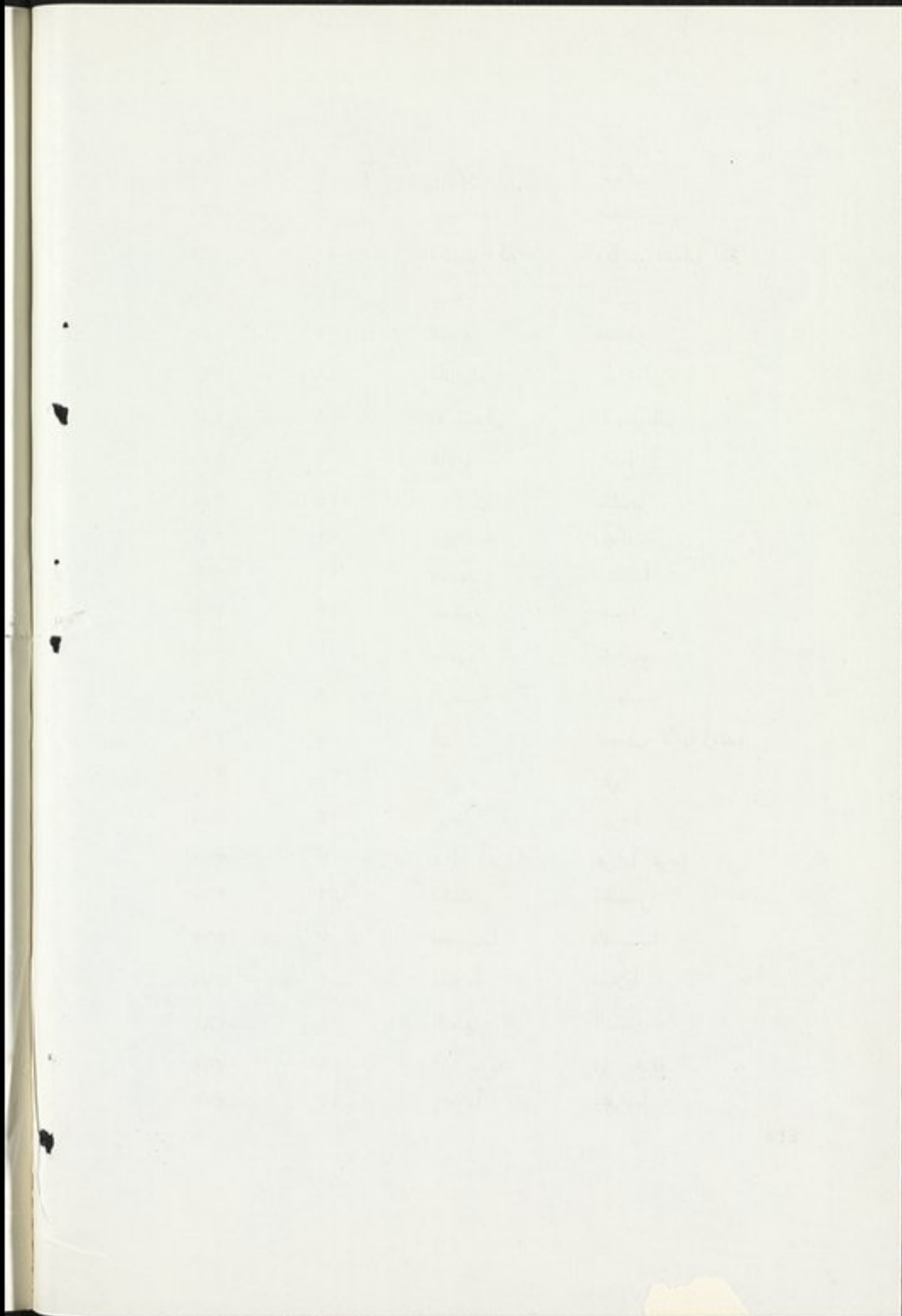
## فهرست الخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٣	٤	بغض	بعض
١٣	٩	عن	عنه
١٤	١٤	رجزا	رجزاه
١٦	٨	الاخير	الاخير
١٧	٤	باديه	بأذيه
٢٢	٧	اغصانا	اغصاناً
٢٤	٣	نظراً	نظر
٣٥	٥	الروابات	الروابات
٣٧	هامش ٢	الشامي - الكافي	الشافي - الكافي
٣٨	٨	يكنب	كتب
٣٨	١٣	يطبق	يطلق
٣٩	١٠	القائل	القائل
٤٠	٢	يكون النبي	يكون كلام النبي
٤٠	١٤	بنافض	بنافض
٤٢	٤	ومضع	موضع
٥٥	٩	اراد	اراده
٦٩	١٠	ولا عبي	ولا عبي
٧١	١٢	الخصم	الخطم

يقرنمون	يقرنمدن	١٣	٧١
زائدة تحذف	هو	١١	٧٢
يحمدونكما	يحمدونكما	١٨	٧٧
سي	سي	٩	٧٨
كثير	كثيراً	١٢	٨٤
استعمال	استعمال	٩	٩٥
بروكلمان	بروكلهان	هامش ٦	٩٥
يحذف لانه زائد	في	١٧	٩٦
ابو نواس المزاج	ابو نواس المزدوج	١٠	١٠٦
التزامه	الرامه	٢	١١١
مطربانه	مطردبانه	٧	١١٥
كل ما تناوله	كل تناوله	١٤	١١٥
الاحلاق	الاحلاق	١	١٢٦
غضبه	عضبه	١٢	١٣١
الثبت - القنت	التبت - والقنت	١٣	١٤٩
تعنت	تعتب	هامش ٣	١٤٩
لبحر	لحر	٧	١٥٩
وسطه تحذف ( وقد )	وسطه - وقد	١٤	١٧٦
انعكس	انعكاس	١	١٨٢
مخطوط	مخفوظ	هامش ١	١٩٩
تنسم	تنسجم	٢	٢٠١
الاصناف	الاصناف	١٤ و ١٥	٢٢٠

حيوان	ديوان	٣	٢٢٤
صفات	حسنات	٩	٢٢٤
وكانت الضان اكثر	وكانت اكثر	١٠	٢٢٥
عذب	عذبه	١٠	٢٢٨
غضنفر	غضنفر	١	٢٤٠
الخراساني	الخراساني	١٨	٢٤٨
الاستبدال	الاستبدال	٨	٢٥٣
وادع	وادح	٦	٢٥٦
بالثبت	وبالثبت	١٤	٢٥٧
ومجالدته	ومجاندته	١٦	٢٦٥
مساعدأ	مساعد	١٦	٢٧٣
تحلوا	تحلقوا	١٣	٢٧٥
مدحهم	مدمهم	١٤	٢٧٥
الوضعية	الوضعية	٨	٢٨٥
تحذف لانها زائدة	ان	٧	٢٩٩
بني	بنفي	١١	٣٠٧
ابرجا	يبرجا	١٣	٣١٥
عرادأ عردا	عراد اعردا	٢	٣٢٩
الجمحي	الجممي	٦	٣٦٧
فاقعنسا	فاقعنسا	٧	٣٦٩
اخلاقأ	اخلامأ	٢	٣٧٧
التحبر	التعبير	١	٣٨٣
ابو نخيلة	ابو نخيلة	٩	٣٩٢
ومجزوأ	ومجزوأ	١٢	٤٠٢





## محتويات الكتاب

١٠ - ٣	المقدمة
١٥٩ - ١١	الباب الاول
٢٢ - ١٣	الفصل الاول - معنى الرجز
٥٤ - ٢٣	الفصل الثاني - الرجز هل هو شعر
٦٤ - ٥٥	الفصل الثالث - وزن الرجز
٨٧ - ٦٥	الفصل الرابع - الرجز ونشأة الشعر
١٢٣ - ٨٨	الفصل الخامس - تطور الرجز
١٣٢ - ١٢٤	الفصل السادس - مكانة الرجز
١٥٩ - ١٣٣	الفصل السابع - خصائص الرجز
٣٥٩ - ١٦٠	الباب الثاني - اغراض الرجز
٢٤٢ - ١٦٣	الفصل الاول - رجز الطبيعة
٢٧٣ - ٢٤٣	الفصل الثاني - الرجز والحياة السياسية
٢٣٠ - ٢٧٤	الفصل الثالث - الرجز والحياة الاجتماعية
٣٥٩ - ٢٣١	الفصل الرابع - الاغراض التي اقتضت على الرجز
٣٩٨ - ٣٦٠	الباب الثالث - اشهر الشعراء
٣٦٥ - ٣٦١	١ - الاغلب العجلي
٣٧٨ - ٣٦٦	٢ - العجاج
٣٨٦ - ٢٧٨	٣ - رؤبة بن العجاج
٣٩٢ - ٣٨٦	٤ - ابو النجم العجلي
٣٩٨ - ٣٩٢	٥ - ابو نخيلة السعدي
٤٠٥ - ٣٩٩	الخاتمة
٤٢٥ - ٤٠٦	المصادر

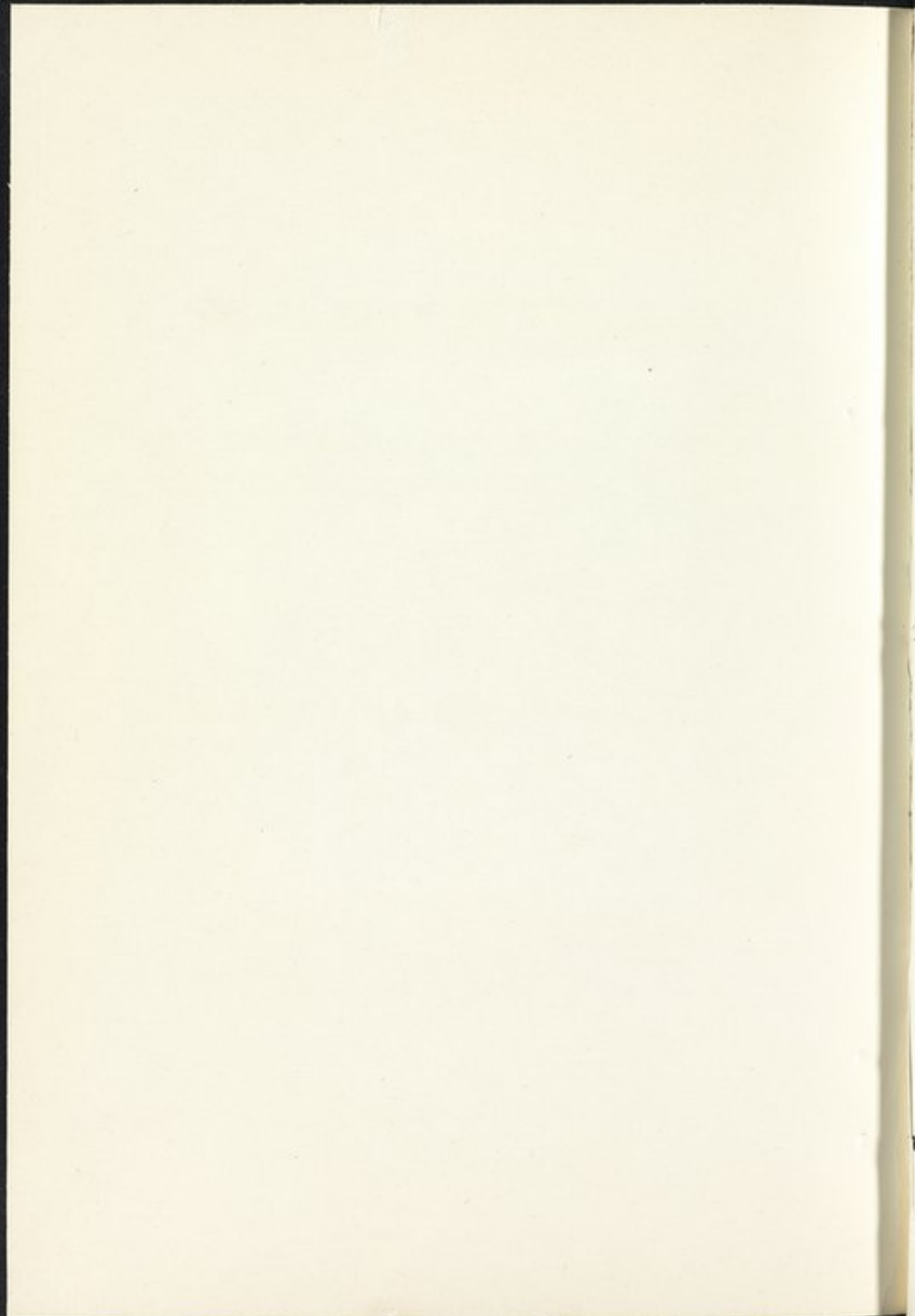
مطبعة الأديب البغدادية

شارع السعدون — صدارة الأديب — هاتف ٩٤٢١٢

١٩٧١/٥/١ — ١٠٠٠ — ٣

رقم الإيداع ٢٧٠ — تاريخ ١٩٧٠/١٢/٩





# AL-RADJAZ

THE ORIGIN OF AL-RADJAZ  
THE MOST FAMOUS POET'S

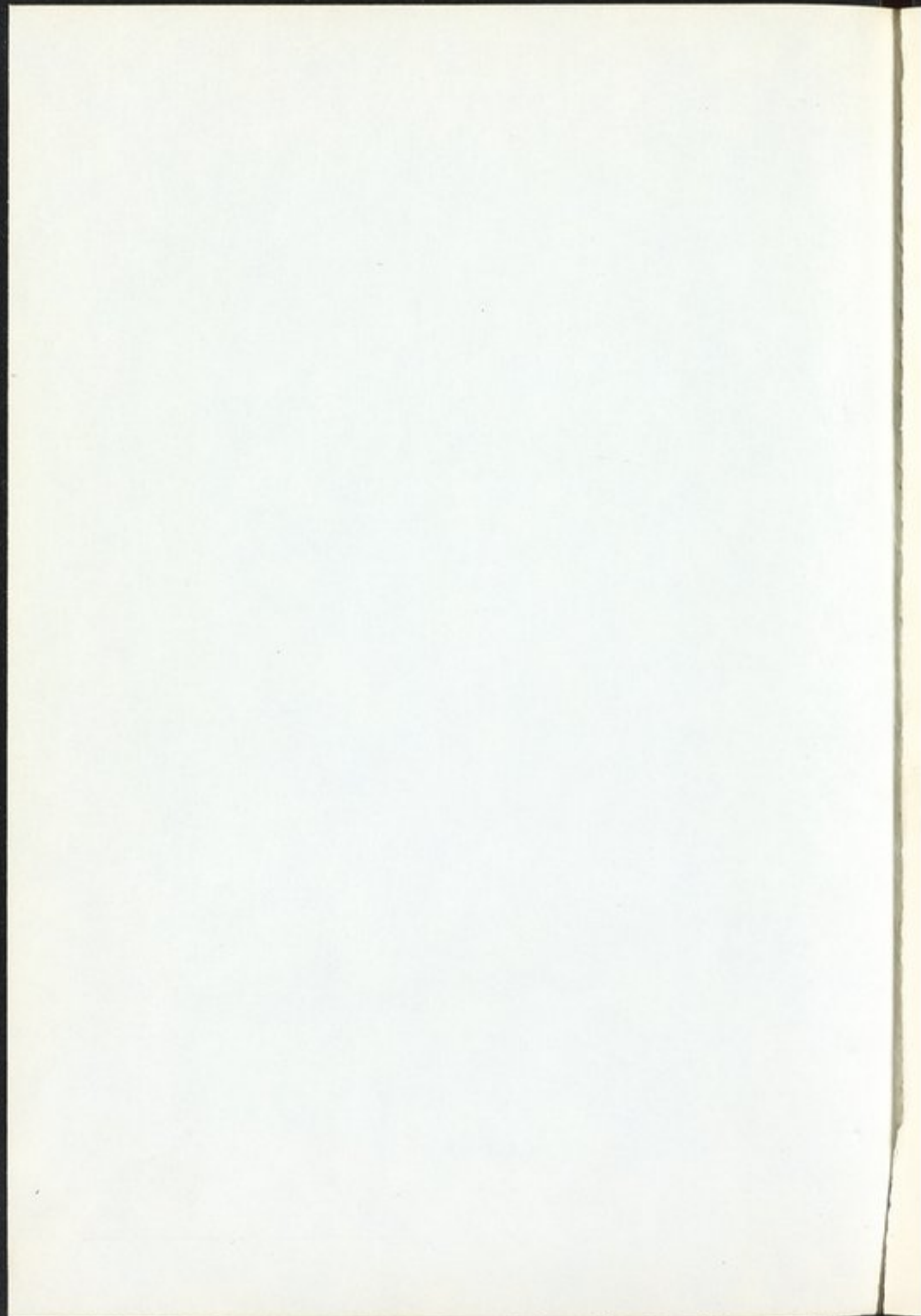
BY

JAMAL NAJIM AL-UBAIDI

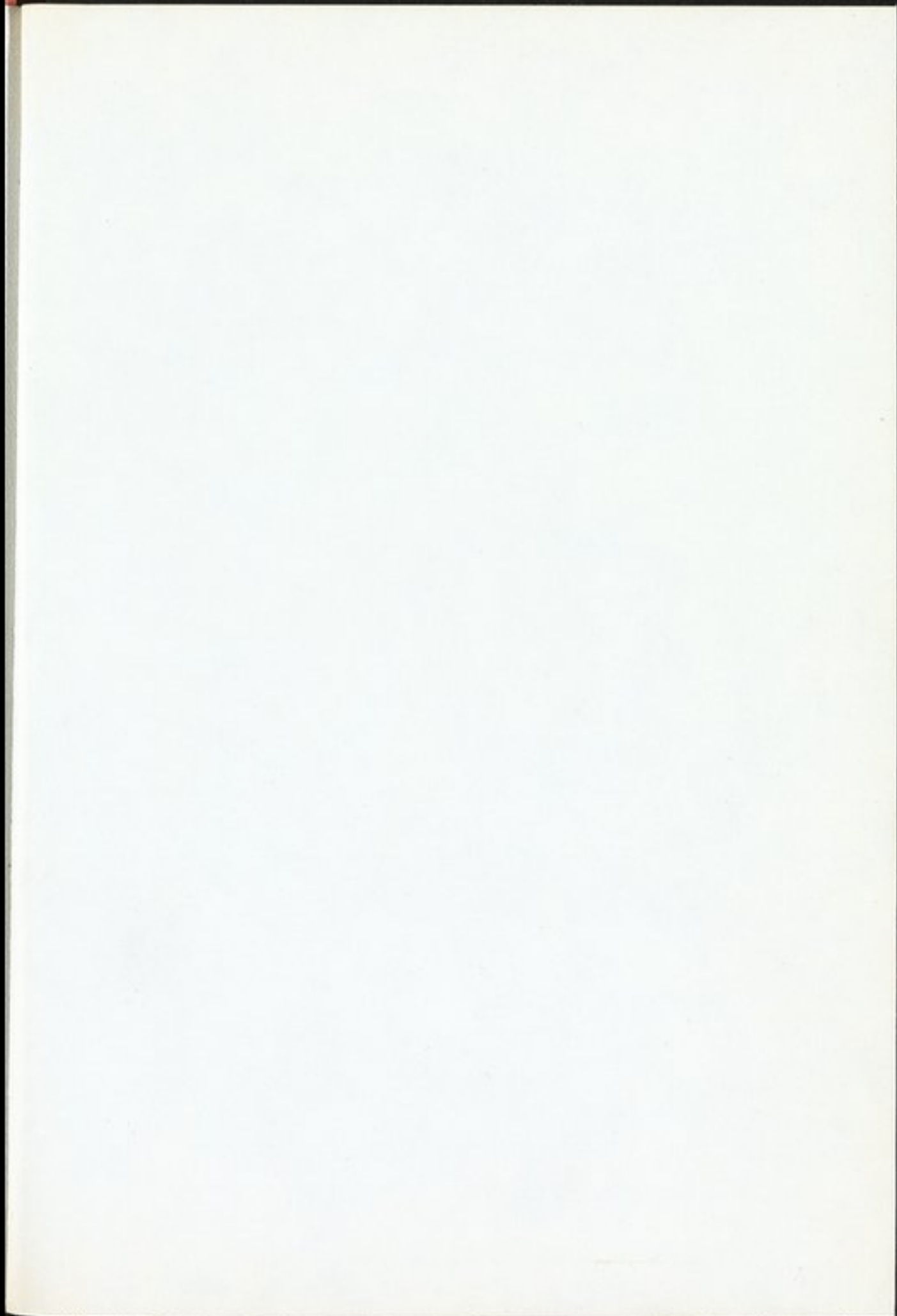
1971

AL-ADIB PRESS - BAGHDAD  
GENERAL BOOKBINDING CO.

139NY2 318 P 6611  
73 4  
QUALITY CONTROL MARK







COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0036760510



P3  
7543  
.U2

JUN 20 1973

